

190603

دليل الهائم
في
صناعة الناثروالناظم

جمعة الفقير اليه تعالى شاكر البتلوني

نظر فيه وضبطه وصححه
العلامة اللغوي الشيخ ابراهيم البازجي

حق طبعه محفوظ

طبع ثانية في بيروت في المطبعة الادبية سنة ١٨٩٠

برخصة مجلس معارف ولاية سورية الجليلة

بِسْمِ اللَّهِ خَيْرِ الْأَسْمَاءِ

أُحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي زَيَّنَ أَجَادَ الْبَلَاغَةِ بِعُتُودِ الْفَصَاحَةِ
وَالْيَانِ وَجَعَلَ اللَّفْظَ دَلِيلًا عَلَى الْمَعَانِي وَالْمَعَانِي دَلِيلًا
عَلَى الْأَحْجَانِ * وَبَعْدُ فَإِنِّي لَمَّا رَأَيْتُ صِنَاعَةَ الْإِنْشَاءِ قَدْ
أَخَذْتُ فِي هَذَا الْعَصْرِ جَمَالَ زُخْرُفِهَا وَمَاسَتْ خُرْدُ
الْفَصَاحَةِ تَجَرُّ عَلَى مُتُونِ الْمَهَارِقِ فَضَلَ مُطَرِّفِهَا فَغَاصَتْ
أَقْلَامُ الْأَدَبَاءِ عَلَى جَوَاهِرِ اللَّفْظِ تَلْتَفِطُهَا مِنْ خِلَالِ
جَدَاوِلِ الْأَسْفَارِ وَأَسْنَتُ فَرَاحِجِ الْأَلْبَاءِ فِي سَنَنِ
الْفَحْدِيِّ عَلَى آثَارِ الْمُتَقَدِّمِينَ فِي هَذَا الْبُضْهَارِ رَأَيْتُ أَنَّ
أُنْحِفَ الْمُنَادِينَ وَمَنْ نَظَّمَتْهُمْ حَلَقَاتُ الْمَدَارِسِ فِي هَذَا
الْعَصْرِ بِسِفْرِ يُسْفِرُ عَنْ جُلِّ آدَابِ الْإِنْشَاءِ وَمَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ
الْمُبْتَدِئُ فِي مُعَانَاةِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ فَجَمَعْتُ لِذَلِكَ هَذَا
الْكِتَابَ مَا خُوِّدَ عَنْ مُصَنَّفَاتِ جِلَّةِ الْعُلَمَاءِ الْمَشْهُورِينَ فِي
الْفَنَيْنِ جَمِيعًا وَرَبَّنَّهْ أَبَوَايَا وَفُصُولًا تَقَلَّتْ فِيهَا نُصُوصُهُمْ

وَرَصَعْتُهَا فِي أَثْنَائِهِ تَرْصِيعًا ثُمَّ أَرَدْتُهَا بِطَائِفَةٍ مِنْ
أَقْوَالِهِمْ فِي ضُرُوبِ الرِّسَائِلِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَغْرَاضِ
الْمُتَرَسِّلِينَ وَالْكِتَابِ لِمَكُونِ مَثَالًا بِجَنْدِهِ السَّالِكِ عَلَى
طَرِيقَتِهِمْ بَعْدَ مُطَالَعَةِ مَا سَبَقَ مِنَ الْأَبْوَابِ وَخَشْنَتُهُ
أَخِيرًا بِتَقَرُّ مُتَفَرِّقَةٍ تَقَلَّتْهَا مِنْ كُتُبِهِمْ فِي مَعَانِ شَيْءٍ مِنْ
الْوَصْفِ يُمْكِنُ أَنْ يَسْتَعِينَ بِهَا الْكَاتِبُ حَيْثُ اضْطُرَّ إِلَيْهَا
أَوْ يَسْتَظْهِرَ بِهَا عَلَى الذِّكْرِ فِيهِنَّ إِلَى تَرَكَيبِ أُخْرَى
مِمَّا يَجْرِي فِي أَسْلُوبِهِ عَلَيْهَا وَلَمَّا تَسَنَّى لِي جَمْعُهُ وَأَنْسَقَ
وَأَنْتَظِمَ شَمْلُ فَرَائِدِهِ عَلَى هَذَا النَّسْقِ وَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيِ
حَضْرَةِ الْعَالِمِ الْعَلَّامَةِ وَالْأَسَازِ اللَّغْوِيِّ الْفَهَامَةِ الشَّيْخِ
إِبْرَاهِيمَ الْبَارِجِيِّ فَسَخَّ اللَّهُ فِي مُدَّتِهِ وَسَأَلْتُهُ أَنْ يَنْظُرَ فِيهِ
قَبْلَ تَمْثِيلِهِ تَسْدِيدًا لِمَنْهَجِهِ وَتَدَارُكًا لِمَا سَقَطَ عَنِّي فِي
بَعْضِ فُصُولِهِ فَجَاءَ بِحَمْدِ اللَّهِ كِتَابًا وَافِيَ الْفَوَائِدِ صَافِي
الْمَوَارِدِ يَنْفَعُ عَلَى فَلَةٍ رَشْحِهِ غَلَّةُ الصَّادِي وَيَنْفَعُ بِإِذْنِ اللَّهِ
الْبَادِي وَالشَّادِي وَقَدْ سَمِعْتُهُ دَلِيلَ الْهَائِمِ فِي صِنَاعَةِ
النَّائِرِ وَالنَّاطِمِ وَأَنَا أَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُفِيدَ بِهِ الطَّلَّابَ
وَيَجْعَلَهُ مُقَدِّمَةً لِحَاجَةِ الثَّوَابِ مِنْهُ وَحُسْنِ تَوْفِيقِهِ

فهرس الكتاب

الباب الاول

صفحة

- | | |
|----|--|
| ١ | الفصل الاول في شرف العلم |
| ٥ | الفصل الثاني فيما ينبغي لطالب العلم |
| ١١ | الفصل الثالث في اوائل العلم ومداخله |
| ١٢ | الفصل الرابع فيما يجب على المعلم وفي وجه الصواب في تعليم الخ |
| ١٥ | الفصل الخامس في استعمال العلم |
| ١٦ | الفصل السادس فيما يجب ان يكون عليه العلماء من الاخلاق الخ |
- الباب الثاني

- | | |
|----|--|
| ١٦ | الفصل الاول في اركان الكتابة |
| ٢١ | الفصل الثاني في ادوات الكتابة |
| | الفصل الثالث في الصناعة اللفظية وفي قسمان |
| ٢٤ | القسم الاول في اللفظة المنفردة |
| ٢٢ | القسم الثاني في الكلام |
| ٤٠ | الفصل الرابع في انقسام الكلام الى فني النظم والنثر |
| ٤٤ | الفصل الخامس في السجع |
| ٤٨ | الفصل السادس في كيفية عمل الشعر ووجه تعلمه |
| | الفصل السابع في النصاحة والبلاغة وفيه قسمان |
| ٥٤ | القسم الاول في النصاحة |
| ٥٨ | القسم الثاني في البلاغة |
| ٦١ | الفصل الثامن في المبادئ والافتتاحات |
| ٦٨ | الفصل التاسع في التخلص والانتضاب |
| ٧٥ | الفصل العاشر في الختام |

القسم الأول

في أدب الكاتب وصناعته
وفيه بابان

الباب الأول

في آداب العلم والتعليم
وفيه ستة فصول

الفصل الأول

في شرف العلم

إِعلم أن العلم أشرف ما رغب فيه الرَّاغبُ. وأفضل ما طلب وجد فيه الطالبُ. وأنفع ما كسبه وأفتناه الكاسبُ. لأنَّ شرفه يُشهر على صاحبه. وفصله يَنبئ على طالبيه. قال عبدُ الملِكِ بنُ مروانَ لِبنيهِ يا بنيَّ تعلَّموا العلمَ فإنَّكم سادةُ قومٍ. وإنَّ كنتم وسطًا سُدَّتم. وإنَّ كنتم سُوقَةً

عَشْتُمْ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ تَعْلَمُ الْعِلْمَ فَإِنَّهُ يَقُولُكَ
وَيُسَدِّدُكَ صَغِيرًا . وَيُقَدِّمُكَ وَيُسَوِّدُكَ كَبِيرًا . وَيُصْلِحُ زَيْفَكَ
وَقَاسِدَكَ . وَيُرْغِمُ عَدُوَّكَ وَحَاسِدَكَ . وَيَقُومُ عِوَجَكَ وَمَيْلَكَ .
وَيُصَحِّحُ هِمَّتَكَ وَأَمْلَكَ . وَقَالَ مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْرِ تَعْلَمُ
الْعِلْمَ فَإِنْ يَكُنْ لَكَ مَالٌ كَانَ لَكَ جَمَالًا . وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ
مَالٌ كَانَ لَكَ مَالًا . وَقَالَ بِمَجِي بْنِ خَالِدٍ لِأَبْنِهِ عَلَيْكَ
بِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْعِلْمِ فَخُذْ مِنْهُ فَإِنَّ الْهَرَاءَ عَدُوٌّ مَا جَاهِلٌ وَأَنَّهُ
أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ عَدُوًّا شَيْءٍ مِنَ الْعِلْمِ . وَأَنشَدَ

تَفَنَّنْ وَخُذْ مِنْ كُلِّ عِلْمٍ فَإِنَّهَا
يَفُوقُ أَمْرُو فِي كُلِّ فَنٍّ لَهُ عِلْمٌ
فَأَنْتَ عَدُوٌّ لِلَّذِي أَنْتَ جَاهِلٌ

بِهِ وَلِئَلَّيْكَ أَنْتَ تَتَفَنَّنُ سِلْمُ
وَقَالَ بَعْضُ الْأَدَبَاءِ كُلُّ عِزٍّ لَا يُوطِدُهُ عِلْمٌ مَذَلَّةٌ وَكُلُّ
عِلْمٍ لَا يُؤَيِّدُهُ عَقْلٌ مُضِلَّةٌ . وَقَالَ بَعْضُ عُلَمَاءِ السَّلَفِ إِذَا
أَرَادَ اللَّهُ بِالنَّاسِ خَيْرًا جَعَلَ الْعِلْمَ فِي مُلُوكِهِمُ وَالْمَلِكَ فِي
عُلَمَائِهِمْ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ الْعِلْمُ عُصْمَةُ الْمُلُوكِ لِأَنَّهُ
يَمْنَعُهُمْ مِنَ الظُّلْمِ . وَيَرْدُّهُمْ إِلَى الْحِلْمِ . وَيَصُدِّقُهُمْ عَنِ

الْأَذْيَةِ وَيَعْطِفُهُمْ عَلَى الرَّعِيَةِ. فَمِنْ حَقِّهِمْ أَنْ يَعْرِفُوا حَقَّهُ
 وَيَسْتَنْبِطُوا أَهْلَهُ. وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ
 الْمَالِ. الْعِلْمُ يَجْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ. الْعِلْمُ حَاكِمُ
 وَالْمَالُ مُحْكَمٌ عَلَيْهِ. مَاتَ خُزَانُ الْأَمْوَالِ وَبَقِيَ خُزَانُ
 الْعِلْمِ. أَعْيَانُهُمْ مَقُودَةٌ. وَأَشْخَاصُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ.
 وَرُبَّمَا أَمْنَعَ الْإِنْسَانُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ لِكِبَرِ سِنِيهِ وَاسْتِحْيَاؤِهِ
 مِنْ تَقْصِيرِهِ فِي صِغَرِهِ أَنْ يَتَعَلَّمَ فِي كِبَرِهِ. فَرَضِي بِالْأَجْهَلِ أَنْ
 يَكُونَ مَوْسُومًا بِهِ وَآثَرُهُ عَلَى الْعِلْمِ أَنْ يَصِيرَ مُبْتَدَأًا بِهِ. وَهَذَا
 مِنْ خِدَاعِ الْأَجْهَلِ وَغُرُورِ الْكَسَلِ لِأَنَّ الْعِلْمَ إِذَا كَانَ فَضِيلَةً
 فَرَّغَبَةُ ذَوِي الْأَسْنَانِ فِيهِ أَوْلَى وَالْإِبْتِدَاءُ بِالْفَضِيلَةِ فَضِيلَةٌ
 وَلَآنَ يَكُونُ شَيْخًا مُتَعَلِّمًا أَوْلَى مِنْ أَنْ يَكُونَ شَيْخًا جَاهِلًا
 وَرُبَّمَا أَمْنَعَ أَيْضًا مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ لِعَذْرِ الْمَادَّةِ وَشَغْلِهِ
 أَكْثَسًا عَنْ التَّمَسُّكِ بِالْعِلْمِ وَهَذَا وَإِنْ كَانَ عَذْرٌ مِنْ غَيْرِهِ
 مَعَ أَنَّهُ فَلَمَّا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَ ذِي شَرِّهِ وَعَيْبٍ وَشَهْوَةٍ
 مُسْتَعِيدَةٍ فَيَنْبَغِي أَنْ يَصْرِفَ إِلَى الْعِلْمِ حَظًّا مِنْ زَمَانِهِ فَلَيْسَ
 كُلُّ الزَّمَانِ زَمَانًا أَكْثَسًا وَلَا يَدُلُّ لِلْمُكْتَسِبِ مِنْ أَوْقَاتِ
 اسْتِرَاحَةٍ وَأَيَّامِ عَطْلَةٍ وَمَنْ صَرَفَ كُلَّ نَفْسِهِ إِلَى الْكُسْبِ حَتَّى

أَمْ يَتْرُكُ لَهَا فَرَاغًا إِلَى غَيْرِهِ فَهُوَ مِنْ عِبِيدِ الدُّنْيَا وَاسْرَاءِ الْحَرَصِ
 وَرَبِّهَا مَنَعَهُ مِنْ طَلَبِ الْعِلْمِ مَا يَنْظُهُ مِنْ صُعُوبَةٍ وَبُعْدِ
 غَايَةٍ وَيَحْشَى مِنْ قَلَّةِ ذَهَبِهِ وَبُعْدِ فِطْتِهِ وَهَذَا الظَّنُّ أَعْدَاؤُ
 ذَوِي النَّقْصِ وَخَيْفَةُ أَهْلِ الْعِزِّ لِأَنَّ الْإِخْبَارَ قَبْلَ الْإِخْبَارِ
 جَهْلٌ وَالْخَشْيَةُ قَبْلَ الْإِتِّلَاءِ عَجْزٌ. وَقَدْ قَالَ الشَّاعِرُ
 لَا تَكُونَنَّ لِلْأُمُورِ هَيُوبًا فَإِلَى خَيْبَةٍ يَصِيرُ الْهَيُوبُ
 وَقِيلَ فِي مَثُورِ الْحِكْمِ كَمْ مِنْ ذَلِيلٍ أَعَزَّهُ عِلْمُهُ. وَمِنْ
 عَزِيزٍ أَذَلَّهُ جَهْلُهُ. وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ لِيْنِيهِ يَا بَنِي تَعَلَّمُوا
 الْعِلْمَ فَإِنْ لَمْ تَنَالُوا بِهِ مِنَ الدُّنْيَا حَظًّا فَلَنْ يَذُمَّ الزَّمَانُ لَكُمْ
 أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ يَذُمَّ الزَّمَانُ بِكُمْ
 وَيَنْبَغِي لِمَنْ زَهَدَ فِي الْعِلْمِ أَنْ يَكُونَ فِيهِ رَاجِيًا. وَلِمَنْ رَغِبَ
 فِيهِ أَنْ يَكُونَ لَهُ طَالِبًا. وَلِمَنْ طَلَبَهُ أَنْ يَكُونَ مِنْهُ مُسْتَكْنَرًا.
 وَلِمَنْ اسْتَكْنَرَهُ أَنْ يَكُونَ بِهِ عَامِلًا. وَأَنْ لَا يَطْلُبَ لِتَرْكِهِ
 أَحْتِجَاجًا وَلَا لِلتَّقْصِيرِ فِيهِ عُذْرًا. وَلَا يُسَوِّفُ نَفْسَهُ بِالْمَوَاعِيدِ
 الْكَاذِبَةِ وَيُهَيِّئُهَا بِأَقْطَاعِ الْأَشْغَالِ الْمُتَّصِلَةِ فَإِنَّ لِكُلِّ
 وَقْتٍ شُغْلًا. وَلِكُلِّ زَمَانٍ عُذْرًا. وَقَالَ الشَّاعِرُ
 نَرُوحُ وَنَعْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشٍ لَا تَنْقُضِي

نُتُوْتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبَقِيَ لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ
وَأَنْ يَقْصِدَ طَلِبَ الْعِلْمِ وَاتَّقَا تَبْسِيرِ اللَّهِ فَاصِدًا وَجْهَ اللَّهِ
تَعَالَى بِنِيَّةٍ خَالِصَةٍ وَعَزِيمَةٍ صَادِقَةٍ وَهُوَ وَلِيُّ التَّوْفِيقِ

الفصل الثاني

فِيمَا يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ

يَنْبَغِي لِطَالِبِ الْعِلْمِ أَنْ لَا يَنْبَغِي فِي طَلَبِهِ . وَيَنْتَهَزِ الْفُرْصَةَ
بِهِ . فَرُبَّمَا شَخَّ الزَّمَانُ بِهَا سَخَّ . وَضَنَّ بِهَا مَخَّ . وَيَنْتَدِي مِنْ
الْعِلْمِ بِأَوَّلِهِ . وَيَأْتِيهِ مِنْ مَدْخَلِهِ . وَلَا يَشَاغَلُ بِطَلَبِ مَا لَا
يَضُرُّهُ جَهْلُهُ . فَيَمْنَعُهُ ذَلِكَ مِنْ إِدْرَاكِ مَا لَا يَسَعُهُ جَهْلُهُ .
فَإِنْ لِكُلِّ عِلْمٍ فُضُولًا مُذْهِلَةً . وَشُدُورًا مُشْغَلَةً . إِنْ صَرَفَ إِلَيْهَا
نَفْسَهُ قَطَعَتْهُ عَنْهَا هُوَ أَهْمُ مِنْهَا . وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ الْعِلْمُ أَكْثَرُ
مِنْ أَنْ يَحْصَى فَنَحْذَرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ أَحْسَنَهُ . وَقَالَ بَعْضُ
الْمُحْكَمَاءِ يَتْرَكَ مَا لَا يَعْنِيكَ . تَدْرِكُ مَا يُعْنِيكَ . وَلَا يَنْبَغِي أَنْ
يَدْعُوهُ ذَلِكَ إِلَى تَرْكِ مَا اسْتَضَعَبَ عَلَيْهِ إِشْعَارًا لِنَفْسِهِ أَنَّ
ذَلِكَ مِنْ فُضُولٍ عَلَيْهِ وَإِعْذَارًا لَهَا فِي تَرْكِ الْإِسْتِغَالِ بِهِ
فَإِنَّ ذَلِكَ مَطِيَّةُ النُّوْكَى وَعِذْرُ الْمُتَصَرِّينَ . وَمَنْ أَخَذَ مِنْ

١
الْعِلْمُ مَا تَسَهَّلَ وَتَرَكَ مِنْهُ مَا تَعَذَّرَ كَانَ كَالْفَنَاصِ إِذَا ائْتَمَعَ
عَلَيْهِ الصِّدْقُ تَرَكَهُ فَلَا يَرْجِعُ إِلَّا خَائِبًا إِذْ لَيْسَ يَرَى الصِّدْقَ
إِلَّا مُتَبَعًا كَذَلِكَ الْعِلْمُ كُلُّهُ صَعْبٌ عَلَى مَنْ جَهْلُهُ سَهْلٌ عَلَى
مَنْ عِلْمُهُ . لِأَنَّ مَعَانِيَهُ الَّتِي يُوَصِّلُ إِلَيْهَا مُشَوَّعَةٌ فِي كَلَامٍ
مُتَرَجِّمٍ عَنْهَا وَكُلُّ كَلَامٍ مُسْتَعْمَلٍ فَهُوَ يَجْمَعُ لَفْظًا مَسْمُوعًا وَمَعْنَى
مَفْهُومًا فَالْلَفْظُ كَلَامٌ يُعْمَلُ بِالسَّمْعِ وَالْمَعْنَى تَحْتَ اللَّفْظِ يُفْهَمُ
بِالْقَلْبِ . وَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْحُكَمَاءِ : الْعُلُومُ مَطَالِعُهَا مِنْ ثَلَاثَةِ
أَوْجِهٍ . قَلْبٍ مُفَكِّرٍ . وَلِسَانٍ مُعْبِرٍ . وَبَيَانٍ مُصَوِّرٍ . فَمَنْ عَمِلَ
الْكَلَامَ يَسْمَعِهِ فَيَفْهَمُ مَعَانِيَهُ بِقَلْبِهِ وَمَنْ فَيَفْهَمُ الْمَعَانِيَ سَطَطَ عَنْهُ
كُلْفَهُ اسْتَخْرَاجِهَا وَبَقِيَ عَلَيْهِ مُعَانَاةُ حِفْظِهَا وَاسْتِثْرَارُهَا لِأَنَّ
الْمَعَانِيَ شَوَارِدُ تَصِلُ بِالْإِغْفَالِ وَالْعُلُومُ وَخَشْيَةُ تَنْفِرُ
بِالْإِرْسَالِ . فَإِذَا حِفْظُهَا بَعْدَ الْفَهْمِ أُنِيسَتْ . وَإِذَا ذَكَرَهَا بَعْدَ
الْأُنْسِ رَسَتْ . وَقَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ مِنْ أَكْثَرِ الْمَذَاكِرَةِ
بِالْعِلْمِ لَمْ يَنْسَ مَا عَلِمَ وَاسْتَفَادَ مَا لَمْ يَعْلَمْ . وَقَالَ الشَّاعِرُ
إِذَا لَمْ يُذَكِّرْ ذُو الْعُلُومِ بِعِلْمِهِ وَلَمْ يَسْتَفِدْ عِلْمًا نَسِيَ مَا تَعَلَّمَ
فَكَمَّ جَامِعٌ لِلْكُتُبِ فِي كُلِّ مَذْهَبٍ يَزِيدُ مَعَ الْأَيَّامِ فِي جَمْعِهِ عَمَى
وَمِنْ لَمْ يَفْهَمْ مَعَانِيَ مَا سَمِعَ كَشَفَ عَنِ السَّبَبِ الْمَانِعِ مِنْهَا

لِيَعْلَمَ الْعِلَّةَ فِي تَعَذُّرِ فَهْمِهَا فَإِنَّ بِمَعْرِفَةِ أَسْبَابِ الْأَشْيَاءِ
وَعِلْمِهَا يُوصَلُ إِلَى ثَلَاثٍ فِي مَا شَذَّ وَصَلَّاحٍ مَا فَسَدَ وَلَيْسَ بِخَلْوٍ
السَّبَبُ الْمَانِعُ مِنْ ذَلِكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ إِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعِلَّةٍ
فِي الْكَلَامِ الْمُرْجَمِ عَنْهَا وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعِلَّةٍ فِي الْمَعْنَى
الْمُسْتَوْدَعِ فِيهِ وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لِعِلَّةٍ فِي السَّامِعِ الْمُسْتَخْرِجِ
فَإِنْ كَانَ السَّبَبُ الْمَانِعُ مِنْ فَهْمِهَا لِعِلَّةٍ فِي الْكَلَامِ الْمُرْجَمِ
عَنْهَا لَمْ يَخْلُ ذَلِكَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْوَالٍ

أَحَدُهَا أَنْ يَكُونَ لِقِصْرِ اللَّفْظِ عَنِ الْمَعْنَى قِصْرُ
تَقْصِيرُ اللَّفْظِ عَنِ ذَلِكَ الْمَعْنَى سَبَبًا مَانِعًا مِنْ فَهْمِ ذَلِكَ الْمَعْنَى
وَهَذَا يَكُونُ مِنْ أَحَدِ وَجْهَيْنِ إِمَّا مِنْ حَصْرِ الْمُتَكَلِّمِ وَعَيْهِ
وَإِمَّا مِنْ بِلَادَتِهِ وَقِلَّةِ فَهْمِهِ

أَحْوَالُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ لِزِيَادَةِ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى
قِصْرُ الزِّيَادَةِ عِلَّةٌ مَانِعَةٌ مِنْ فَهْمِ الْمَقْصُودِ مِنْهُ وَهَذَا قَدْ
يَكُونُ مِنْ أَحَدِ وَجْهَيْنِ إِمَّا مِنْ هَذَرِ الْمُتَكَلِّمِ وَإِكْثَارِهِ وَإِمَّا
لِسُوءِ ظَنِّهِ بِهِمْ سَامِعِهِ

وَأَحْوَالُ الثَّالِثِ أَنْ يَكُونَ لِمَوَاضَعَةٍ يَقْصِدُهَا الْمُتَكَلِّمُ
بِكَلَامِهِ قَاذًا لَمْ يَعْرِفْهَا السَّامِعُ لَمْ يَفْهَمْ مَعَانِيَهُ

وَأَمَّا تَقْصِيرُ اللَّفْظِ وَزِيَادَتُهُ فَمِنْ الْأَسْبَابِ الْخَاصَّةِ دُونَ
الْعَامَةِ لِأَنَّكَ لَسْتَ تَجِدُ ذَلِكَ عَامًا فِي كُلِّ الْكَلَامِ وَإِنَّمَا
تَجِدُهُ فِي بَعْضِهِ فَإِنْ عَدَلْتَ عَنِ الْكَلَامِ الْمُتَقَصِّرِ إِلَى الْكَلَامِ
الْمُسْتَوْفِي وَعَنِ الزَّائِدِ إِلَى الْكَافِي أَرَحْتَ نَفْسَكَ مِنْ تَكْلُفِ
مَا يَكُدُّ خَاطِرَكَ وَإِنْ أَقَمْتَ عَلَى اسْتِخْرَاجِهِ إِمَّا لِلضَّرُورَةِ
دَعَاكَ إِلَيْهِ عِنْدَ إِعْوَازِ غَيْرِهِ أَوْ لِحُبِّهِ دَاخِلَكَ عِنْدَ تَعَذُّرِ
فَهْمِهِ فَانْظُرْ فِي سَبَبِ الزِّيَادَةِ وَالتَّقْصِيرِ فَإِنْ كَانَ التَّقْصِيرُ
لِحَصْرِ الزِّيَادَةِ لِهَذَرِ سَهْلٍ عَلَيْكَ اسْتِخْرَاجُ الْمَعْنَى مِنْهُ لِأَنَّ
مَالَهُ مِنَ الْكَلَامِ مُحْصُولٌ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْغُخْلُ مِنْهُ أَكْثَرَ
مِنَ الصَّحِيحِ وَفِي الْأَكْثَرِ عَلَى الْأَقَلِّ دَلِيلٌ وَإِنْ كَانَتْ
زِيَادَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى لِسَوْطِظَنِ الْمُتَكَلِّمِ بِفَهْمِ السَّامِعِ كَانَ
اسْتِخْرَاجُهُ أَسْهَلَ وَإِنْ كَانَ تَقْصِيرُ اللَّفْظِ عَنِ الْمَعْنَى لِسَوْ
فَهْمِ الْمُتَكَلِّمِ فَهُوَ أَصْعَبُ الْأُمُورِ حَالًا وَابْعُدْهَا اسْتِخْرَاجًا لِأَنَّ
مَا لَمْ يَفْهَمْهُ مُكَلِّمُكَ فَانْتَ مِنْ فَهْمِهِ أَبْعُدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ يَفْرُطُ
ذَكَائِكَ وَجُودَةِ خَاطِرِكَ تَنْبَهُ بِإِشَارَتِهِ عَلَى اسْتِنْبَاطِ مَا عَجَزَ
عَنْهُ وَاسْتِخْرَاجِ مَا قَصَرَ فِيهِ فَتَكُونُ فَضِيلَةُ الْأَسْتِيفَاءِ لَكَ وَحَقُّ
الْتِقَادِ لَهُ فَهَذَا تَعْلِيلُ مَا فِي الْكَلَامِ مِنَ الْأَسْبَابِ الْمَانِعَةِ

مِنْ فَهَمٍ مَعَانِيهِ

وَأَمَّا الْمَانِعُ مِنْ حِفْظِهِ بَعْدَ تَصَوُّرِهِ وَفَهْمِهِ فَهُوَ النَّسْيَانُ
الْحَادِثُ عَنْ غَفْلَةِ التَّقْصِيرِ وَإِهْمَالِ التَّوَانِي فَيَنْبَغِي لِمَنْ بُلِيَ
بِهِ أَنْ يَسْتَدْرِكَ تَقْصِيرَهُ بِكَثْرَةِ الدَّرْسِ وَيُوقِظَ غَفْلَتَهُ بِإِدَامَةِ
النَّظَرِ فَقَدْ قِيلَ لَا يُدْرِكُ الْعِلْمُ مَنْ لَا يُطِيلُ دَرْسَهُ وَيَكْدُ
نَفْسَهُ. وَكَثْرَةُ الدَّرْسِ كَذَلَا يَصِيرُ عَلَيْهِ إِلَّا مَنْ يَرَى الْعِلْمَ
مَغْنَمًا. وَالتَّجَاهُلُ مَغْرَمًا. فَيَحْتَمِلُ تَعَبَ الدَّرْسِ لِيُدْرِكَ رَاحَةَ
الْعِلْمِ وَيَنْفِي عَنْهُ مَعْرَةَ التَّجْهَلِ فَإِنَّ نَيْلَ الْعَظِيمِ بِأَمْرِ عَظِيمٍ
وَعَلَى قَدَرِ الرَّغْبَةِ تَكُونُ الْمَطَالِبُ وَبِحَسَبِ الرَّاحَةِ يَكُونُ
التَّعَبُ. وَقَدْ قِيلَ طَلَبُ الرَّاحَةِ قِلَّةُ الْإِسْتِرَاحَةِ. وَرُبَّمَا
اسْتَقْبَلَ الْمُتَعَلِّمُ الدَّرْسَ وَالْحِفْظَ وَاتَّكَلَ بَعْدَ فَهْمِ الْمَعَانِي
عَلَى الرُّجُوعِ إِلَى الْكُتُبِ وَالْمُطَالَعَةِ فِيهَا عِنْدَ الْحَاجَةِ فَلَا
يَكُونُ إِلَّا كَمَنْ أَطْلَقَ مَا صَادَهُ ثِقَةً بِأَلْقَدْرَةِ عَلَيْهِ بَعْدَ الْإِمْتِنَاعِ
مِنْهُ فَلَا تُعْنِيهِ الثِّقَةُ إِلَّا خَجَلًا وَالتَّفْرِيطُ إِلَّا نَدَمًا. وَهَذِهِ حَالٌ
قَدْ يَدْعُو إِلَيْهَا أَحَدُ ثَلَاثَةِ أَشْيَاءَ. إِمَّا الضَّعْفُ مِنَ مُعَانَاةِ
الْحِفْظِ وَمُرَاعَاةِهِ وَطُولُ الْأَمَلِ فِي التَّوَقُّفِ عَلَيْهِ عِنْدَ نَشَاطِهِ
وَفَسَادُ الرَّأْيِ فِي عَزِيمَتِهِ وَلَيْسَ يَعْلَمُ أَنَّ الضَّجُورَ خَائِبٌ

وَأَنَّ الطَّوِيلَ الْأَمْلَ مَغْرُورٌ وَأَنَّ الْفَاسِدَ الرَّأْيَ مُصَابٌ.
وَالْعَرَبُ تَقُولُ فِي أَمْثَالِهَا حَرْفٌ فِي فَلَيْكَ خَيْرٌ مِنْ أَلْفٍ فِي
كُنَيْكَ . وَقَالَ الشَّافِعِيُّ

عَلَيَّ مَعِيَ حَيْثُمَا يَمُوتُ يَنْفَعُنِي

قَلْبِي وَعَالَمُهُ لَا بَطْنُ صُدُوقِي

إِنْ كُنْتُ فِي الْبَيْتِ كَانَ الْعِلْمُ فِيهِ مَعِيَ

أَوْ كُنْتُ فِي السُّوقِ كَانَ الْعِلْمُ فِي السُّوقِ

وَرُبَّمَا أَغْنَى الْمَتَعَلِّمُ بِالْحِفْظِ مِنْ غَيْرِ تَصَوُّرٍ وَلَا فَهْمٍ

حَتَّى يَصِيرَ حَافِظًا لِلْأَفَافِ الْمَعَانِي قِيمًا بِلَاوْنِهَا وَهُوَ لَا

يَتَصَوَّرُهَا وَلَا يَفْهَمُ مَا تَضَمَّنَهَا . يَرَوِي بَعْضُ رَوِيٍّ وَبَعْضُهُ عَنْ غَيْرِ

خَبْرَةٍ . وَرُبَّمَا أَشْهَدَ عَلَى حِفْظِهِ وَتَصَوُّرِهِ وَأَغْلَى تَقْيِيدِ الْعِلْمِ

فِي كُنْيَةِ ثِقَةٍ بِمَا اسْتَقَرَّ فِي ذَهْنِهِ . وَهَذَا خَطَأٌ لِمَنْ لَانَ الشَّكْلُ

مُعْتَرِضٌ وَالنِّسْبَانِ طَارِقٌ . وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ إِنَّ هَذِهِ

الْأَكَابِ نَوَافِرُ تَنْدَعَنْ عَقْلَ الْأَذْهَانِ فَأَجْعَلُوا الْكُتُبَ عَنْهَا

حُمَاةً . وَالْأَفْلَامَ لَهَا رُعَاةً

وَأَمَّا الشَّرْطُ الَّذِي يَتَوَقَّرُ بِهَا عِلْمُ الطَّالِبِ وَيَنْتَهِي مَعَهَا

كَمَالُ الرَّغْبِ . مَعَ مَا يُلَاحَظُ بِهِ مِنَ التَّوْفِيقِ وَيَهْدُ بِهِ مِنَ

الْمَعُونَةَ فَتَسَعُّ شُرُوطُ
 أَحَدَهَا الْعَقْلُ الَّذِي يُدْرِكُ بِحَقَائِقِ الْأُمُورِ * وَالثَّانِي
 الْفِطْنَةُ الَّتِي تَصَوِّرُ بِهَا غَوَامِضَ الْعُلُومِ * وَالثَّالِثُ الذِّكَاةُ
 الَّذِي يَسْتَفِرُّ بِهِ حِفْظُ مَا تَصَوَّرَهُ وَفَهْمُ مَا عَلِمَهُ * وَالرَّابِعُ
 الشَّهْوَةُ الَّتِي يَدُومُ بِهَا الطَّلَبُ وَلَا يُسْرَعُ إِلَيْهِ الْمَلَلُ *
 وَالْخَامِسُ الْإِكْتِفَاءُ بِمَادَّةٍ تُغْنِيهِ عَنْ كَلَفِ الطَّلَبِ *
 وَالسَّادِسُ الْفَرَاغُ الَّذِي يَكُونُ مَعَهُ التَّوَقُّرُ وَبَحْصُ
 الْأَسْتِكْثَارِ * وَالسَّابِعُ عَدَمُ الْقَوَاطِعِ الْمُذْهِلَةِ مِنْ هُمُومِ
 وَأَمْرَاضٍ * وَالثَّامِنُ طُولُ الْعُمُرِ وَاتِّسَاعُ الْمُدَّةِ لِيَنْتَهِيَ
 بِالْأَسْتِكْثَارِ إِلَى مَرَاتِبِ الْكَمَالِ * وَالتَّاسِعُ الظَّنُّ بِعَالِمٍ
 سَمَحَ بِعِلْمِهِ مَتَّانٍ فِي تَعْلِيمِهِ . فَإِذَا اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الشُّرُوطَ
 التِّسْعَةَ فَهُوَ أَسْعَدُ طَالِبٍ وَأَنْجَحُ مُتَعَلِّمٍ . فَاحْفَظُوا بِاللهِ التَّوْفِيقُ

الفصل الثالث

في أوائل العلم ومداخله

وَأَعْلَمُ أَنَّ لِلْعُلُومِ أَوَائِلَ تُؤَدِّي إِلَى أَوَاخِرِهَا وَمَدَاخِلَ
 تُنْضِي إِلَى حَقَائِقِهَا . فَلْيَبْتَدِئِ طَالِبُ الْعِلْمِ بِأَوَائِلِهَا لِيَنْتَهِيَ إِلَى

أَوَآخِرَهَا وَبِمَدَاخِلِهَا لِيُنْضِيَ إِلَى خَوَائِطِهَا. وَلَا يَطْلُبِ إِلَّا خَيْرَ قَبْلِ
 الْأَوَّلِ. وَلَا الْحَقِيقَةَ قَبْلَ الْمَدْخَلِ. فَلَا يُدْرِكُ الْآخِرَ وَلَا يَعْرِفُ
 الْحَقِيقَةَ لِأَنَّ الْبِنَاءَ عَلَى غَيْرِ أَمْرٍ لَا يُبْنَى. وَالشَّهْرُ مِنْ غَيْرِ غَرَسٍ
 لَا يَجْنَى
 (من كتاب ادب الدنيا والدين)

الفصل الرابع

فِي مَا يَجِبُ عَلَى الْمُعَلِّمِ وَفِي وَجْهِ الصَّوَابِ فِي تَعْلِيمِ الْعُلُومِ وَطَرِيقِ إِفَادَتِهِ
 إَعْلَمُ أَنَّ تَلْقِينَ الْعُلُومِ لِلْمُتَعَلِّمِينَ إِنَّمَا يَكُونُ مُنْفِذًا إِذَا
 كَانَ عَلَى التَّدْرِجِ شَيْئًا فَشَيْئًا وَقَلِيلًا قَلِيلًا يُلْقَى عَلَيْهِ أَوَّلًا
 مَسَائِلَ مِنْ كُلِّ بَابٍ مِنَ الْفَنِّ هِيَ أَصُولُ ذَلِكَ الْبَابِ وَيُقَرَّبُ
 لَهُ فِي شَرْحِهَا عَلَى سَبِيلِ الْأَجْمَالِ وَيُرَاعَى فِي ذَلِكَ قُوَّةُ عَقْلِهِ
 وَاسْتِعْدَادُهُ لِتَقْبُولِ مَا يَرُدُّ عَلَيْهِ حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ الْفَنِّ وَعِنْدَ
 ذَلِكَ يَحْصُلُ لَهُ مَلَكَةٌ فِي ذَلِكَ الْعِلْمِ إِلَّا أَنَّهَا جُزْئِيَّةٌ وَضَعِيفَةٌ
 وَغَايَتُهَا أَنَّهَا هَيَأَتُهُ لِفَهْمِ الْفَنِّ وَتَحْصِيلِ مَسَائِلِهِ ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ
 إِلَى الْفَنِّ ثَانِيَةً فَيَرْفَعُهُ فِي التَّلْقِينَ عَنْ تِلْكَ الرُّتْبَةِ إِلَى أَعْلَى
 مِنْهَا وَيَسْتَوْفِي الشَّرْحَ وَالْبَيَانَ وَتَخْرُجُ عَنِ الْأَجْمَالِ وَيَذْكُرُ
 لَهُ مَا هُنَاكَ مِنَ الْخِلَافِ وَوَجْهِهِ إِلَى أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَى آخِرِ

الْفَنِّ فَتَجُودُ مَلَكَتُهُ ثُمَّ يَرْجِعُ بِهِ وَقَدْ شَدَا فَلَا يَتْرُكُ عَوِيصًا وَلَا
بُهِمًا وَلَا مُغْلَقًا إِلَّا وَضَحَهُ وَفَتَحَ لَهُ مُغْلَقَهُ فَيَخْلُصُ مِنَ الْفَنِّ وَقَدْ
أَسْتَوَى عَلَى مَلَكَتِهِ هَذَا وَجْهَ التَّعْلِيمِ الْمُهَيْدِ وَهُوَ كَمَا رَأَيْتَ
إِنَّمَا يَخْصُلُ فِي ثَلَاثِ تَكَرُّرَاتٍ وَقَدْ يَخْصُلُ لِلْبَعْضِ فِي أَقَلِّ
مِنْ ذَلِكَ بِحَسَبِ مَا يَخْلُقُ لَهُ وَيَتَّبِعُ عَلَيْهِ وَقَدْ شَاهَدْنَا كَثِيرًا
مِنَ الْمُعَلِّمِينَ لِهَذَا الْهَدْيِ الَّذِي أَدْرَكْنَا بِجَهْلُونَ طُرُقَ التَّعْلِيمِ
وَإِفَادَتِهِ وَبُخْصُرُونَ الْمُتَعَلِّمَ فِي أَوَّلِ تَعْلِيمِهِ الْمَسَائِلَ الْمُغْلَقَةَ
مِنَ الْعِلْمِ وَيَطَالِبُونَهُ بِإِحْضَارِ ذَهْنِهِ فِي حَلِّهَا وَبِحَسْبُونِ ذَلِكَ
مَرَّةً عَلَى التَّعْلِيمِ وَصَوَابًا فِيهِ وَيَكْلِفُونَهُ وَعَنَى ذَلِكَ وَتَحْصِيلَهُ
وَبِخَاطُطُونَ عَلَيْهِ بِمَا يُلْقُونَ لَهُ مِنْ غَايَاتِ الْفُنُونِ فِي مَبَادِيهَا
وَقَبْلَ أَنْ يَسْتَعِدَّ لِنَهْجِهَا فَإِنْ قَبُولَ الْعِلْمِ وَالِاسْتِعْدَادَاتِ لِنَهْجِهِ
تَنْشَأَ تَدْرِيجًا وَيَكُونُ الْمُتَعَلِّمُ أَوَّلَ الْأَمْرِ عَاجِزًا عَنِ النَّهْجِ
بِالْجُمْلَةِ إِلَّا فِي الْأَقَلِّ وَعَلَى سَبِيلِ الْقُرْبِ وَالْإِجْمَالِ
وَبِالْأَمْثَالِ الْحَسِبَةِ ثُمَّ لَا يَزَالُ الْإِسْتِعْدَادُ فِيهِ يَتَدَرَّجُ قَلِيلًا
قَلِيلًا بِخَالَفَةِ مَسَائِلِ ذَلِكَ الْفَنِّ وَتَكَرُّرِهَا عَلَيْهِ وَالِاتِّقَالَ
فِيهَا مِنَ الْقُرْبِ إِلَى الْإِسْتِعْيَابِ الَّذِي فَوْقَهُ حَتَّى تَنِمَّ الْمَلَكََةُ
فِي الْإِسْتِعْدَادِ ثُمَّ فِي التَّحْصِيلِ وَبِحَبِطِ هُوَ بِمَسَائِلِ الْفَنِّ وَإِذَا

الْقِيَمَتِ عَلَيْهِ الْغَايَاتُ فِي الْبِدَائِعِ وَهُوَ حَبِئْدٌ عَاجِزٌ عَنِ
الْفَهْمِ وَالْوَعْيِ وَبَعِيدٌ عَنِ الْأَسْتِعْدَادِ لَهُ كُلُّ ذِهْنُهُ عَنْهَا وَحَسِبَ
ذَلِكَ مِنْ صُعُوبَةِ الْعِلْمِ فِي نَفْسِهِ فَتَكَاسَلَ عَنْهُ وَانْحَرَفَ عَنْ
قَبُولِهِ وَتَهَادَى فِي هِجْرَانِهِ وَإِنَّمَا أُنِيَ ذَلِكَ مِنْ سُوءِ التَّعْلِيمِ
وَلَا يَنْبَغِي لِلْمُعَلِّمِ أَنْ يَزِيدَ مُتَعَلِّمَهُ عَلَى فَهْمِ كِتَابِهِ الَّذِي أَكَبَّ
عَلَى التَّعْلِيمِ مِنْهُ بِحَسَبِ طَاقَتِهِ وَعَلَى نِسْبَةِ قَبُولِهِ لِلتَّعْلِيمِ مُبْتَدِئًا
كَانَ أَوْ مُتَمْتِهًا وَلَا يَخْلُطُ مَسَائِلَ الْكِتَابِ بِغَيْرِهَا حَتَّى يَبْعِيَهُ
مِنْ أَوَّلِهِ إِلَى آخِرِهِ وَبِحُصْلِ اغْرَاضِهِ وَيَسْتَوِلِي مِنْهُ عَلَى مَلَكَةٍ
بِهَا يَنْفِذُ فِي غَيْرِهِ لِأَنَّ الْمُتَعَلِّمَ إِذَا حَصَلَ مَلَكَةٌ مَا فِي عِلْمِهِ
مِنَ الْعُلُومِ اسْتَعَدَّ بِهَا لِقَبُولِ مَا بَقِيَ وَحَصَلَ لَهُ نَشَاطٌ فِي طَلَبِ
الزَّيْدِ وَالنُّهْوضِ إِلَى مَا فَوْقَ حَتَّى يَسْتَوِلِي عَلَى غَايَاتِ الْعِلْمِ
وَإِذَا خَلَطَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ تَعَجَّرَ عَنِ الْفَهْمِ وَأَدْرَكَهُ الْكَلَالُ
وَأَنْطَمَسَ فِكْرُهُ وَتَبَسَّ مِنَ التَّحْصِيلِ وَهَجَرَ الْعِلْمَ وَالتَّعْلِيمَ
وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَكَذَلِكَ يَنْبَغِي لَكَ أَنْ لَا تُطَوِّلَ عَلَى
الْمُتَعَلِّمِ فِي الْفَنِّ الْوَاحِدِ بِتَفْرِيقِ الْعِبَاجِلِ وَتَقْطِعَ مَا بَيْنَهَا
لِأَنَّهُ ذَرْبَةٌ إِلَى النِّسْبَانِ وَأَقْطَاعِ مَسَائِلِ الْفَنِّ بَعْضُهَا مِنْ
بَعْضٍ فَيَعْسُرُ حُصُولُ الْمَلَكَةِ بِتَفْرِيقِهَا وَإِذَا كَانَتْ أَوَائِلُ

الْعِلْمُ وَأَوَّخِرُهُ حَاضِرَةٌ عِنْدَ الْفِكْرِ مُجَابَةٌ لِلنِّسْبَانِ كَانَتْ
 الْمَلَكَةُ أَيْسَرَ حُصُولًا وَأَحْكَمَ أَرْتِبَاطًا وَأَقْرَبَ صِبْغَةً لِأَنَّ
 الْمَلَكَاتِ إِنَّمَا تَحْصُلُ بِتَتَابُعِ الْفِعْلِ وَتَكَرُّرِهِ وَإِذَا تُنَوِّسِي
 الْفِعْلُ تُنَوِّسِيَتِ الْمَلَكَةُ النَّاشِئَةُ عَنْهُ وَاللَّهُ عَلِمَكُمْ مَا لَمْ تَكُونُوا
 تَعْلَمُونَ. وَمِنْ الْمَذَاهِبِ الْحَمِيدَةِ وَالطَّرِيقِ الْوَاجِبَةِ فِي التَّعْلِيمِ
 أَنْ لَا يَخْلُطَ عَلَى الْمُتَعَلِّمِ عِلْمَانِ مَعًا فَإِنَّهُ حَيْثُ ذِ قُلْ أَنْ يَظْفَرُ
 بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا لَهَا فِيهِ مِنْ تَقْسِيمِ الْبَالِ وَأَنْصِرَافِهِ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ
 مِنْهُمَا إِلَى تَقَرُّبِ الْآخَرِ فَيَسْتَغْلِقَانِ مَعًا وَيَسْتَضَعِبَانِ وَيَعُودُ مِنْهُمَا
 بِالنَّحْبَةِ. وَإِذَا تَفَرَّغَ الْفِكْرُ لِلتَّعْلِيمِ مَا هُوَ بِسَبِيلِهِ مُقْتَصِرًا عَلَيْهِ
 قَرُبًا كَانَ ذَلِكَ أَجْدَرَ لِحَصِيلِهِ وَاللَّهُ سُجَّانُهُ وَتَعَالَى الْمَوْفِقُ
 لِلصَّوَابِ

(عن ابن خلدون)

الفصل الخامس

في استعمال العلم

قَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ نَهْرَةُ الْعِلْمِ أَنْ يُعْمَلَ بِهِ. وَنَهْرَةُ
 الْعَمَلِ أَنْ يُوجَرَ عَلَيْهِ. وَقِيلَ مِنْ تَمَامِ الْعِلْمِ اسْتِعْمَالُهُ. وَمِنْ
 تَمَامِ الْعَمَلِ اسْتِفْلَالُهُ. فَمَنْ اسْتَعْمَلَ عِلْمَهُ لَمْ يَخْلُ مِنْ رَشَادٍ.

وَمَنْ اسْتَقْلَّ عَمَلَهُ لَمْ يَقْصِرْ عَنْ مُرَادٍ. وَقَالَ أَبُو تَهَامٍ الطَّائِي
وَلَمْ يُجِدْ دُأْمِنْ عَالِمٍ غَيْرِ عَامِلٍ خَلَقَا وَلَا مِنْ عَامِلٍ غَيْرِ عَالِمٍ
رَأَوْا طُرُقَاتِ الْعَجْزِ عَوَجَافَ طَبِيعَةٍ وَأَفْطَحُ عَجْزٍ عِنْدَهُمْ عَجْزُ حَازِمٍ
وَقِيلَ فِي مَشْوَْرِ الْحَكَمِ لَمْ يَتَفَنَّجْ بِعِلْمِهِ مَنْ تَرَكَ الْعَمَلَ بِهِ.
وَقِيلَ فِي مَشْوَْرِ الْحَكَمِ أَيْضًا النَّارُ لَا يَنْقُصُهَا مَا أُخِذَ مِنْهَا وَلَكِنْ
يُجَدِّدُهَا أَنْ لَا تَجِدَ حَطْبًا كَذَلِكَ الْعِلْمُ لَا يُفْنِيهِ الْإِفْتِسَاسُ وَلَكِنْ
فَقَدَّ الْحَامِلِينَ لَهُ سَبَبُ عَدَمِهِ. فَإِيَّاكَ وَالتَّجَلَّ بِمَا تَعْلَمُ

الفصل السادس

فِيمَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الْفَدِيرَةِ بِهِمْ
أَمَّا مَا يَجِبُ أَنْ يَكُونَ عَلَيْهِ الْعُلَمَاءُ مِنَ الْأَخْلَاقِ الَّتِي
بِهِمْ الْبَقُ وَلَهُمْ الْأَزْمُ فَالْتَوَاضَعُ وَمُجَابَنَةُ الْعَجَبِ. لِأَنَّ التَّوَاضَعَ
عَطُوفٌ وَالْعَجَبُ مَنَفَرَةٌ وَهُوَ بِكُلِّ أَحَدٍ قَسِيحٌ وَبِالْعُلَمَاءِ أَفْجَحٌ لِأَنَّ
النَّاسَ بِهِمْ يَقْتَدُونَ. وَكَثِيرًا مَا يَدْخُلُهُمُ الْإِعْجَابُ لِتَوْحِيدِهِمْ
بِفَضِيلَةِ الْعِلْمِ وَلَوْ أَنَّهُمْ نَظَرُوا حَقَّ النَّظَرِ وَعَمِلُوا بِمُوجِبِ
الْعِلْمِ لَكَانَ التَّوَاضَعُ بِهِمْ أَوَّلَى وَمُجَابَنَةُ الْعَجَبِ بِهِمْ أُخْرَى
لِأَنَّ الْعَجَبَ نَقْصٌ يَنَاقِي الْفَضْلَ وَيَأْكُلُ الْخُصَنَاتِ كَمَا تَأْكُلُ

النَّارُ الْحَطَبَ فَلَا يَفِي مَا أَدْرَكُوهُ مِنْ فَضِيلَةِ الْعِلْمِ بِمَا حَفِظَهُمْ
 مِنْ نَقْصِ الْعَجَبِ * وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ تَعْلَمُوا الْعِلْمَ
 وَتَعْلَمُوا لِلْعِلْمِ السَّكِينَةَ وَالْحِلْمَ وَتَوَاضَعُوا لِمَنْ تُعَلِّمُونَ وَلِتَوَاضِعَ
 لَكُمْ مَنْ يُعَلِّمُونَهُ وَلَا تَكُونُوا مِنْ جَبَابِرَةِ الْعُلَمَاءِ فَلَا يَقُومُ عَلَيْكُمْ
 بِجَهْلِكُمْ * وَقَالَ الشَّعْبِيُّ الْعِلْمُ ثَلَاثَةٌ أَشْبَارٍ فَمَنْ نَالَ مِنْهُ شَيْئًا
 سَمِعَ بِأَنفِهِ وَظَنَّ أَنَّهُ نَالَهُ وَمَنْ نَالَ الشَّيْبَ الثَّلَاثِي صَغُرَتْ
 إِلَيْهِ نَفْسُهُ وَعَلِمَ أَنَّهُ لَمْ يَنْلَهُ وَأَمَّا الشَّيْبُ الثَّلَاثُ فَهِيَ هَاتِ لَا
 يَنَالُهُ أَحَدٌ أَبَدًا

وَمِنْ أَوْضَحِ ذَلِكَ بَيَانًا اسْتِعَاذَةُ الْجَا حِظِّ فِي كِتَابِ الْبَيَانِ
 حَيْثُ يَقُولُ اللَّهُ إِنَّا نَعُودُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْقَوْلِ كَمَا نَعُودُ بِكَ
 مِنْ فِتْنَةِ الْعَمَلِ وَنَعُودُ بِكَ مِنْ أَنْ تَكْلُفَ لِمَا لَا تُحْسِنُ كَمَا
 نَعُودُ بِكَ مِنَ الْعَجَبِ بِمَا تُحْسِنُ وَنَعُودُ بِكَ مِنْ شَرِّ السَّلَاطَةِ
 وَالْهَذَرِ كَمَا نَعُودُ بِكَ مِنْ شَرِّ الْعِيِّ وَالْحَصْرِ * وَقَالَ بَعْضُ
 الْحُكَمَاءِ مِنَ الْعِلْمِ أَنْ لَا تَتَكَلَّمَ فِيهَا لَا تَعْلَمْ بِكَلَامٍ مَنْ يَعْلَمْ
 فَحَسْبُكَ جَهْلًا مِنْ عَقْلِكَ أَنْ تَنْطِقَ بِهَا لَا تَنْهَمُ * وَلَقَدْ أَحْسَنَ
 زُرَّارَةُ بْنُ زَيْدٍ حَيْثُ يَقُولُ

إِذَا مَا أَتَيْتَ عَلَيَّ تَأَهَيْتُ عِنْدَهُ أَطَالَ فَأَمَلَى أَوْ تَنَاهَى فَأَقْصَرَ

وَيُخْبِرُنِي عَنْ غَائِبِ الْمَرْءِ فِعْلُهُ

كَفَى الْفِعْلُ عَمَّا غَيَّبَ الْمَرْءُ مُخْبِرًا

وَقَالَ بَعْضُ الْبُلْغَاءِ مِنْ فَضْلِ عَلَيْكَ اسْتِقْلَالُكَ لِعَلَيْكَ
وَمِنْ كَمَالِ عَقْلِكَ اسْتَظْهَارُكَ عَلَى عَقْلِكَ . وَلَا يَنْبَغِي لِلْعَالِمِ
أَنْ يَجْهَلَ مِنْ نَفْسِهِ مَبْلَغَ عِلْمِهَا وَلَا يَنْجَاوَزَ بِهَا قَدْرَ حَقِّهَا وَلَا أَنْ
يَكُونَ بِهَا مُتَصِرًا فَيُذْعِنَ بِالْإِثْبَادِ أَوْ لِي مِنْ أَنْ يَكُونَ بِهَا
مُجَاوِزًا فَيَكْفُفَ عَنِ الْإِزْدِيَادِ لِأَنَّ مَنْ جَهَلَ حَالَ نَفْسِهِ كَانَ
لِغَيْرِهَا أَجْهَلَ * وَقَدْ قَسَمَ التَّحْلِيلُ بْنُ أَحْمَدَ أَحْوَالَ النَّاسِ
فِيمَا عَلَيْهِمْ أَوْ جَهْلُهُ أَرْبَعَةَ أَقْسَامٍ مُتَقَابِلَةٍ لَا يَخْلُو الْإِنْسَانُ
مِنْهَا . فَقَالَ الرَّجَالُ أَرْبَعَةٌ رَجُلٌ يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي
فَذَلِكَ عَالِمٌ فَاسْأَلُوهُ . وَرَجُلٌ يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ يَدْرِي
فَذَلِكَ نَاسٍ فَذَكَّرُوهُ . وَرَجُلٌ لَا يَدْرِي وَيَدْرِي أَنَّهُ لَا يَدْرِي
فَذَلِكَ مُسْتَرْشِدٌ فَأَرْشِدُوهُ . وَرَجُلٌ لَا يَدْرِي وَلَا يَدْرِي أَنَّهُ
لَا يَدْرِي فَذَلِكَ جَاهِلٌ فَأَرْفُضُوهُ * وَأَنْشَدَ أَبُو الْقَاسِمِ الْأَمِيدِيُّ
إِذَا كُنْتَ لَا تَدْرِي وَلَمْ تَكُ بِالَّذِي

يَسْأَلُ مَنْ يَدْرِي فَكَيْفَ إِذَنْ تَدْرِي

(من كتاب ادب الدنيا والدين)

الباب الثاني

وفيه عشرة فصول

الفصل الأول

في أركان الكتابة

إِعْلَمَ أَنَّ أَرْكَانَ الْكِتَابَةِ الَّتِي لَا بُدَّ مِنْ مُرَاعَاتِهَا فِي كُلِّ كِتَابٍ بِلَاغِيٍّ ذِي شَأْنٍ ثَلَاثَةٌ

الْأَوَّلُ أَنْ يَكُونَ مَطْلَعُ الْكِتَابِ عَلَيْهِ حِدَةٌ وَرَشَاقَةٌ فَإِنَّ الْكَاتِبَ مَنْ أَجَادَ الْمَطْلَعِ وَالْمَنْطَعِ أَوْ يَكُونَ مَبْنِيًّا عَلَى مَقْصِدِ الْكِتَابِ وَلِهَذَا بَابٌ يُسَمَّى بَابَ الْمَبَادِي وَالْإِفْتِنَاحَاتِ^(١) فَلْيَحْذَ حَذُوهُ وَهَذَا الرُّكْنُ يَشْتَرِكُ فِيهِ الْكَاتِبُ وَالشَّاعِرُ

الرُّكْنُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ خُرُوجُ الْكِتَابِ مِنْ مَعْنَى إِلَى مَعْنَى بِرَابِطَةٍ لِيَكُونَ رِقَابُ الْمَعَانِي آخِذَا بَعْضَهَا بِبَعْضٍ وَلَا تَكُونَ مُتَضَبَّةً وَلِذَلِكَ بَابٌ مُفْرَدٌ أَيْضًا يُسَمَّى بَابَ التَّخْلِصِ وَالْإِقْتِصَابِ^(٢) وَهَذَا الرُّكْنُ أَيْضًا يَشْتَرِكُ فِيهِ الْكَاتِبُ وَالشَّاعِرُ

١ انظر الفصل الثامن من هذا الباب ٢ انظر الفصل التاسع

من هذا الباب

الرُّكْنُ الثَّالِثُ أَنْ تَكُونَ الْفَاطُ الْكِتَابِ غَيْرَ مُخَلِّفَةٍ
 بِكَثْرَةِ الْإِسْتِعْمَالِ. وَلَا أُرِيدُ بِذَلِكَ أَنْ تَكُونَ الْفَاطُ غَرِيبَةً
 فَإِنَّ ذَلِكَ عَيْبٌ فَاحِشٌ بَلْ أُرِيدُ أَنْ تَكُونَ الْفَاطُ الْمُسْتَعْمَلَةُ
 مَسْبُوكَةً سَبْكَاً غَرِيباً يَظُنُّ السَّامِعُ أَنَّهَا غَيْرُ مَا فِي أَيْدِي
 النَّاسِ وَهِيَ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ. وَهَنَّاكَ مُعْتَرِكُ النَّصَاحَةِ
 الَّذِي تَظْهَرُ فِيهِ الْخَوَاطِرُ بِرَاعَتِهَا وَالْأَقْلَامُ شَجَاعَتِهَا كَمَا
 قَالَ الْجَمْرِيُّ

بِالْفَظِ يَقْرُبُ فَمَهُ فِي بُعْدِهِ عَنَّا وَيَبْعُدُ نَبْلَهُ فِي قُرْبِهِ
 وَهَذَا الْمَوْضِعُ بَعِيدُ الْمَنَالِ كَثِيرُ الْأَشْكَالِ بَحْثُاجٌ إِلَى لُطْفِ
 ذَوْقٍ وَشَهَامَةٍ خَاطِرٍ وَهُوسِيَّةٍ بِالشَّيْءِ الَّذِي يُقَالُ إِنَّهُ لَا
 دَاخِلَ الْعَالَمِ وَلَا خَارِجَ الْعَالَمِ. فَلَفْظُهُ هُوَ الَّذِي يُسْتَعْمَلُ
 وَلَيْسَ بِالَّذِي يُسْتَعْمَلُ أَيُّ إِنْ مَفْرَدَاتِ الْفَاطِ فِي الْمُسْتَعْمَلَةِ
 الْمَالُوفَةِ وَلَكِنَّ سَبْكَهُ وَتَرْكِيبَهُ هُوَ الْغَرِيبُ الْعَجِيبُ. وَإِذَا
 سَمَوْتَ أَيْهَا الْكَاتِبُ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ وَأَسْتَطَعْتَ طَعْمَ
 هَذَا الْكَلَامِ الْمَشَارِ إِلَيْهِ عِلِمْتَ حَيْثُ ذَاكَ أَنَّ كَالرُّوحِ السَّائِكَةِ
 فِي بَدَنِكَ أَلِّي قَالَ اللَّهُ فِيهَا قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَلَيْسَ
 كُلُّ خَاطِرٍ بِرَاقٍ إِلَى هَذِهِ الدَّرَجَةِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ

بِشَاءِ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ . وَمَعَ هَذَا فَلَا تَظُنَّ أَهْمًا
النَّاظِرُ فِي كِتَابِي أَنِّي أَرَدْتُ بِهَذَا الْقَوْلِ إِهْمَالَ جَانِبِ الْمَعْنَى
بِحَيْثُ يُؤْتَى بِاللَّفْظِ الْمَوْصُوفِ بِصِفَاتِ الْحُسْنِ وَالْمَلَاةِ وَلَا
يَكُونُ نَحْنُهُ مِنَ الْمَعْنَى مَا يُمَانِلُهُ وَيُسَارِيهِ فَإِنَّهُ إِذَا كَانَ كَذَلِكَ
كَانَ كَصُورَةٍ حَسَنَةٍ بَدِيعَةٍ فِي حُسْنِهَا إِلَّا أَنَّ صَاحِبَهَا بَلِيدٌ
أَبْلَهُ . وَهَذَا الرُّكْنُ أَيْضًا يَشْرِكُ فِيهِ الْكَاتِبُ وَالشَّاعِرُ
(انتهى عن المثل السائر ببعض تصرف)

الفصل الثاني

في أدوات الكتابة

قَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُحَمَّدٍ الشَّيْبَانِيُّ إِنْ كَانَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ
طَلَبِ أَدَوَاتِ الْكِتَابَةِ فَتَصَغَّ مِنْ رَسَائِلِ الْمُتَقَدِّمِينَ مَا يُعْتَمَدُ
عَلَيْهِ وَمِنْ رَسَائِلِ الْمُتَأَخِّرِينَ مَا يُرْجَعُ إِلَيْهِ وَمِنْ نَوَادِرِ
الْكَلَامِ مَا تَسْتَعِينُ بِهِ وَمِنْ الْأَشْعَارِ وَالْأَخْبَارِ وَالسِّيَرِ
وَالْأَسْمَاءِ مَا يَنْسَجُ بِهِ مَنْطِقُكَ وَيَطُولُ بِهِ قَلَمُكَ . وَانْظُرْ فِي
كُتُبِ الْمَقَامَاتِ وَالتَّخَطُّبِ وَمَجَاوِيَةِ الْعَرَبِ فِي حُرُوبِهِمْ
وَأَمْثَالِ الْفَرَسِ وَرَسَائِلِهِمْ وَعُهُودِهِمْ وَسِيَرِهِمْ وَوَقَائِعِهِمْ

وَمَكَابِدِهِمْ فِي حُرُوبِهِمْ بَعْدَ أَنْ تَكُونَ مَتَوَسِّطًا عِلْمَ النَّحْيِ
وَالْغَرِيبِ وَكُتُبَ السَّجَلَاتِ وَالْأَمَانَاتِ لِيَكُونَ مَاهِرًا تَنْزِعُ
آيَ الْقُرْآنِ فِي مَوَاضِعِهَا وَأَخِلَافَ الْأَمْثَالِ فِي أَمَاكِينِهَا
وَقَرَضَ الشَّعْرِ الْحَيِّدِ وَعِلْمَ الْعَرُوضِ فَإِنَّ تَضْمِينَ الْمَثَلِ
السَّائِرِ وَالْبَيْتِ الْغَابِرِ الْبَارِعِ مِمَّا يَزِينُ كِتَابَكَ مَا لَمْ تُخَاطِبْ
خَلِيقَةً أَوْ مَلِكًا جَلِيلَ الْقَدْرِ فَإِنَّ أَجِلَابَ الشَّعْرِ فِي كُتُبِ
الْمُخْلَفَاءِ عَيْبٌ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْكَاتِبُ هُوَ الْفَارِضُ لِلشَّعْرِ
وَالصَّانِعُ لَهُ فَإِنَّ ذَلِكَ يَزِيدُ فِي أَهْنِهِ

وَإِذَا اخْتَجَّتْ إِلَى مَخَاطِبَةِ الْمُلُوكِ وَالْوُزَرَاءِ وَالْعُلَمَاءِ
وَالْكَتَّابِ وَالْمُخْطَبَاءِ وَالْأَدَبَاءِ وَالشُّعْرَاءِ وَأَوْسَاطِ النَّاسِ
وَسُوقَتِهِمْ فَخَاطِبٌ كَلَّا عَلَى قَدْرِ أَهْنِهِ وَجَلَالَتِهِ وَعُلُوِّهِ
وَأَرْفَاعِهِ وَفُطْنِهِ وَاتِّبَاهِهِ وَتَخَيُّرِ مِنَ الْأَلْفَاظِ أَرْجَحَهَا لَفْظًا
وَأَجْزَلَهَا وَأَشْرَفَهَا جَوْهَرًا وَأَكْرَمَهَا حَسَبًا وَالْبَيْتَ فِي مَكَانِهَا
وَأَشْكَلَهَا فِي مَوْضِعِهَا فَإِنْ حَاوَلْتَ صَنَعَ رِسَالَةٍ فَرِنِ اللَّفْظَةَ
قَبْلَ أَنْ تُخْرِجَهَا بِبَيْرَانِ التَّنْصِيفِ إِذَا عَرَضَتْ وَعَايِرِ الْكَلِمَةِ
بِمَعْيَارِهَا إِذَا سَمَحْتَ فَإِنَّهُ رَبُّهَا مَرَّةً بِكَ مَوْضِعٌ يَكُونُ مُخْرَجُ
الْكَلَامِ فِيهِ إِذَا كَتَبْتَ أَنَا فَاعِلٌ أَحْسَنَ مِنْ أَنْ تَكْتُبَ أَنَا

أَفْعُلْ وَمَوْضِعٌ آخَرُ يَكُونُ فِيهِ اسْتَفْعَلْتُ أَحَلَى مِنْ فَعَلْتُ .
 فَأَدِيرُ الْكَلَامَ عَلَى أَعْكَائِهِ وَقَلْبِهِ عَلَى جَمِيعِ وُجُوهِهِ فَأَيُّ لَفْظَةٍ
 رَأَيْتَهَا لَا تَقَعُ بِالْمَكَانِ الَّذِي نَدَبْتَهَا إِلَيْهِ فَأَنْزِعْهَا إِلَى الْمَكَانِ
 الَّذِي أَرَدْتَهَا لَهُ وَأَوْضِعْهَا فِيهِ وَلَا تَجْعَلِ اللَّفْظَةَ قَلْبَةً فِي
 مَوْضِعِهَا نَافِرَةً عَنْ مَكَانِهَا فَإِنَّكَ مَتَى فَعَلْتَ هَجَبْتَ الْمَوْضِعَ
 الَّذِي حَاولْتَ تَحْسِينَهُ وَأَفْسَدْتَ الْمَكَانَ الَّذِي أَرَدْتَ
 إِصْلَاحَهُ . فَإِنَّ وَضْعَ الْأَلْفَاظِ فِي غَيْرِ أَمَاكِنِهَا وَقَصْدَكَ بِهَا
 إِلَى غَيْرِ مَصَابِيهَا إِنَّمَا هُوَ كَتَرْفِيعِ الثَّوْبِ الَّذِي لَمْ تُشَابِهْهُ
 رِفَاعَهُ وَلَمْ تَقَارِبْ أَجْزَآؤُهُ وَخَرَجَ مِنْ حَدِّ الْجِدَّةِ وَتَغَيَّرَ
 حُسْنُهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ

إِنَّ الْجِدِيدَ إِذَا مَا زِيدَ فِي خَلْقِ
 يُبَيِّنُ لِلنَّاسِ أَنَّ الثَّوْبَ مَرْفُوعُ
 كَذَلِكَ كُلَّمَا أَحَلَوْا الْكَلَامَ وَعَذَّبَ وَرَاقَ وَسَهَّلَتْ
 غَوَّارِجُهُ كَانَ أَسْهَلَ وَلُوجَا فِي الْأَسْمَاعِ وَأَشَدَّ اتِّصَالًا بِالْقُلُوبِ
 وَأَخَفَّ عَلَى الْأَفْوَاهِ وَلَا سِيَّمَا إِنْ كَانَ الْمَعْنَى الْبَدِيعُ مُتَرَجِّمًا
 بِلَفْظٍ مُؤَنِّقٍ شَرِيفٍ وَمُعَايِرٍ ابْكِلامٍ عَذْبٍ لَمْ يَسِمَهُ التَّكْلِيفُ
 بِمِثْلِهِ وَلَمْ يُفْسِدْهُ التَّعْقِيدُ بِاسْتِهْلَاقِهِ

وَقَدْ رَأَيْتُهُمْ شَبَّهُوا الْمَعْنَى الْخَفِيَّةَ بِالرُّوحِ الْخَفِيِّ وَاللَّفْظَ
الظَّاهِرَ بِالْجَسَمَانِ الظَّاهِرِ وَإِذَا مَا يَنْهَضُ بِالْمَعْنَى الشَّرِيفِ
الْمَجْزُولِ لَفْظٌ شَرِيفٌ جَزَلٌ أَمْ تَكُنِ الْعِبَارَةُ وَاضِحَةً وَلَا النِّظَامُ
مُتَّسِقًا وَتَضَاءَلِ الْمَعْنَى الْحَسَنُ تَحْتَ اللَّفْظِ الْقَبِيحِ كَتَضَاعُؤُلِ
الْحُسْنَاءِ فِي الْأَطْهَارِ الرَّثِيَّةِ (انتهى ملخصاً عن العقد الفريد)

الفصل الثالث

في الصناعة اللفظية وهي فisman

القسم الأول

في اللفظة المفردة

إِعْلَمَ أَنَّهُ يَخْتِجُ صَاحِبُ هَذِهِ الصَّنَاعَةِ فِي تَأْلِيفِهِ إِلَى ثَلَاثَةِ
أَشْيَاءَ. الْأَوَّلُ مِنْهَا اخْتِيَارُ الْأَلْفَاظِ الْمَفْرَدَةِ. وَحُكْمُ ذَلِكَ
حُكْمُ اللَّائِي الْمُبَدَّءَةِ فَإِنَّهَا تُخَيَّرُ وَتُسْقَى قَبْلَ النَّظْمِ. الثَّانِي
نَظْمُ كُلِّ كَلِمَةٍ مَعَ اخْتِيَارِهَا فِي الْمَشَاكِلَةِ لَهَا لِئَلَّا يَجِيءَ الْكَلَامُ
قَلْبًا نَافِرًا عَنْ مَوَاضِعِهِ وَحُكْمُ ذَلِكَ حُكْمُ الْعَقْدِ الْمَنْظُومِ فِي
اِقْتِرَانِ كُلِّ لَوْوَةٍ مِنْهُ بِاخْتِيَارِ الْمَشَاكِلَةِ لَهَا. الثَّالِثُ الْغَرَضُ

الْمَقْصُودُ مِنْ ذَلِكَ الْكَلَامِ عَلَى اخْتِلَافِ أَنْوَاعِهِ وَحُكْمُ
 ذَلِكَ حُكْمُ الْمَوْضِعِ الَّذِي يُوضَعُ فِيهِ الْعِنْدُ الْمَنْظُومُ فَتَارَةً
 يُجْعَلُ إِكْلِيلًا عَلَى الرَّأْسِ وَتَارَةً يُجْعَلُ فِلَادَةً فِي الْعُنُقِ وَتَارَةً
 يُجْعَلُ شَنْفًا فِي الْأُذُنِ وَلِكُلِّ مَوْضِعٍ مِنْ هَذِهِ الْمَوَاضِعِ هَيْئَةٌ
 مِنَ الْحُسْنِ تَخْصُهُ. فَهَذِهِ ثَلَاثَةُ أَشْيَاءَ لَا بُدَّ لِلْخَطِيبِ وَالشَّاعِرِ
 مِنَ الْعِنَايَةِ بِهَا وَهِيَ الْأَصْلُ الْمُعْتَمَدُ عَلَيْهِ فِي تَأْيِيفِ الْكَلَامِ
 مِنَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ. فَالْأَوَّلُ وَالثَّانِي مِنْ هَذِهِ الثَّلَاثَةِ الْمَذْكُورَةِ
 هُمَا الْمُرَادُ بِالْفَصَاحَةِ. وَالثَّلَاثَةُ بِجُمْلَتِهَا هِيَ الْمُرَادُ بِالْبَلَاغَةِ.
 وَهَذَا الْمَوْضِعُ يُضِلُّ فِي سُلُوكِ طَرِيقِهِ الْعُلَمَاءُ بِصِنَاعَةِ صَوِّغِ
 الْكَلَامِ مِنَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ فَكَثِيفَ الْجَهَالِ الَّذِينَ لَمْ تَنْفَعَهُمْ
 رَاحَتُهُ. وَمَنْ الَّذِي يُؤْنِيهِ اللَّهُ فِطْرَةً نَاصِعَةً يَكَادُرُ بِهَا يَضِيُّ
 وَلَوْ لَمْ تَمَسَّهُ نَارٌ حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى أَسْرَارِ مَا يَسْتَعْمِلُهُ مِنْ
 الْأَلْفَاظِ فَيَضَعَهَا فِي مَوَاضِعِهَا

وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْ تَقْدِمَتِي مِنْ عُلَمَاءِ الْبَيَانِ لِلْأَلْفَاظِ الْمَفْرَدَةِ
 خَصَائِصَ وَهَيْئَاتٍ تُتَصِفُ بِهَا وَاخْتَلَفُوا فِي ذَلِكَ وَاسْتَحْسَنَ
 أَحَدُهُمْ شَيْئًا فَخَوَّلَفَ فِيهِ وَكَذَلِكَ اسْتَفْجَمَ الْآخَرُ شَيْئًا فَخَوَّلَفَ
 فِيهِ. وَلَوْ حَقَّقُوا النَّظَرَ وَوَقَفُوا عَلَى السِّرِّ فِي اتِّصَافِ بَعْضِ

الْأَلْفَاظُ بِالْحُسْنِ وَبَعْضُهَا بِالْقَبْحِ لَمَا كَانَ بَيْنَهُمْ خِلَافٌ فِي
 شَيْءٍ مِنْهَا. وَقَدْ أَشْرْتُ إِلَى ذَلِكَ فِي الْفَصْلِ الثَّامِنِ مِنْ مُقَدِّمَةِ
 كِتَابِي هَذَا الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَى ذِكْرِ الْفَصَاحَةِ (١) وَفِي الْوُقُوفِ
 عَلَيْهِ وَالْإِحَاطَةِ بِهِ غَنَى عَنْ غَيْرِهِ. وَلَكِنْ لَا بُدَّ أَنْ نَذْكُرَ هُنَا
 تَفْصِيلًا لِمَا أَجْمَلْنَاهُ هُنَاكَ لِأَنَّا ذَكَّرْنَا فِي ذَلِكَ الْفَصْلِ أَنَّ
 الْأَلْفَاظَ دَاخِلَةً فِي حَيْزِ الْأَصْوَاتِ لِأَنَّهَا مُرَكَّبَةٌ مِنْ مَخَارِجِ
 الْأَحْرُوفِ فَمَا اسْتَلَدَّهُ السَّمْعُ مِنْهَا فَهُوَ الْحُسْنُ وَمَا كَرِهَهُ وَنَبَا
 عَنْهُ فَهُوَ الْقَبْحُ. وَإِذَا ثَبَتَ ذَلِكَ فَلَا حَاجَةَ إِلَى مَا ذَكَرَ مِنْ
 تِلْكَ الْتَخَصُّصِ وَالْهَيْئَاتِ الَّتِي أوردَهَا عُلَمَاءُ الْبَيَانِ فِي
 كُتُبِهِمْ لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ اللَّفْظُ لَذِينَا فِي السَّمْعِ كَارَةً حَسَنًا
 وَإِذَا كَانَ حَسَنًا دَخَلَتْ تِلْكَ الْتَخَصُّصَاتُ وَالْهَيْئَاتُ فِي
 ضَمَنِ حُسْنِهِ

وَقَدْ رَأَيْتُ جَمَاعَةً مِنَ الْجُهَالِ إِذَا قِيلَ لِأَحَدِهِمْ إِنَّ
 هَذِهِ اللَّفْظَةَ حَسَنَةٌ وَهَذِهِ قَبِيحَةٌ أَنْكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ كُلُّ الْأَلْفَاظِ
 حَسَنٌ وَالْوَاضِعُ لَمْ يَضَعْ إِلَّا حَسَنًا وَمَنْ يَبْلُغُ جَهْلُهُ إِلَى أَنْ
 لَا يَفَرِّقُ بَيْنَ لَفْظَةِ الْغُصْنِ وَلَفْظَةِ الْعُسْلُوجِ وَيَبْنِي لَفْظَةً

الْمَدَامَةِ وَلَفْظَةُ الْإِسْفِيطُ وَيَنْ لَفْظَةُ السِّيفِ وَلَفْظَةُ الْخَشَلِيلِ
وَيَنْ لَفْظَةُ الْأَسَدِ وَلَفْظَةُ الْفَدْوَكْسِ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُخَاطَبَ
بِخُطَابٍ وَلَا بِجَوَابٍ بِجَوَابٍ

وَقَدْ بَقِيََتْ هُنَاكَ أَوْصَافٌ أُخْرَى يَنْبَغِي أَنْ يُنَبِّهَ عَلَيْهَا.
فِيهَا أَنْ لَا تَكُونَ الْكَلِمَةُ وَخَشِيَّةً. وَقَدْ خَفِيَ الْوَحْشِيُّ عَلَى
جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُتَمَيِّينَ إِلَى صِنَاعَةِ النِّظْمِ وَالنَّثْرِ وَظَنُوهُ الْمُسْتَفْجِ
مِنَ الْأَلْفَافِ وَلَيْسَ كَذَلِكَ بَلِ الْوَحْشِيُّ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ أَحَدُهُمَا
غَرِيبٌ حَسَنٌ وَالْآخَرُ غَرِيبٌ قَبِيحٌ وَذَلِكَ أَنَّهُ مُسَوَّبٌ إِلَى
اسْمِ الْوَحْشِ الَّذِي يَسْكُنُ الْفَنَارَ وَلَيْسَ بِأَيْسَرَ وَكَذَلِكَ
الْأَلْفَافُ الَّتِي لَمْ تَكُنْ مَأْنُوسَةً إِلَّا سَعَمَالٍ. وَلَيْسَ مِنْ شَرَطِ
الْوَحْشِ أَنْ يَكُونَ مُسْتَفْجًا بَلِ أَنْ يَكُونَ نَافِرًا لَا يَأْلُ الْإِنْسَ
فَنَارَةً يَكُونُ حَسَنًا وَنَارَةً يَكُونُ قَبِيحًا. وَعَلَى هَذَا فَإِنْ أَحَدُ قِسْمِي
الْوَحْشِيِّ وَهُوَ الْغَرِيبُ الْحَسَنُ يَخْتَلِفُ بِأَخْتِلَافِ النِّسَبِ
وَالْإِضَافَاتِ وَأَمَّا الْقِسْمُ الْآخَرُ مِنَ الْوَحْشِيِّ الَّذِي هُوَ قَبِيحٌ
فَإِنَّ النَّاسَ فِي اسْتِقْبَاحِهِ سَوَاءٌ وَلَا يَخْتَلِفُ فِيهِ عَرَبِيٌّ بِأَدٍ وَلَا
فَرَوِيٌّ مُتَحَضِّرٌ. وَأَحْسَنُ الْأَلْفَافِ مَا كَانَ مَأْلُوفًا مُتَدَاوِلًا لِأَنَّهُ
لَمْ يَكُنْ مَأْلُوفًا مُتَدَاوِلًا إِلَّا لِمَكَانٍ حُسْنِهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى

ذَلِكَ فِي بَابِ الْفَصَاحَةِ ^(١). فَإِنَّ أَرْبَابَ الْمُخَطَّابَةِ وَالشَّعْرِ
نَظَرُوا إِلَى الْأَلْفَاظِ وَتَقَبَّلُوا عَنْهَا ثُمَّ عَدَلُوا إِلَى الْأَحْسَنِ مِنْهَا
فَأَسْتَعْمَلُوهُ وَتَرَكَوا مَا سِوَاهُ وَهُوَ أَيْضًا يَنْفَاوَتْ فِي دَرَجَاتٍ
حُسْنِهِ قَالَ لَفَاطُ إِذَنْ تَنْقَسِمُ ثَلَاثَةً أَقْسَامٍ فِسْمَانِ حَسَنَانِ
وَفِسْمٍ فَصِيحٍ. فَالْفِسْمَانِ الْحَسَنَانِ أَحَدُهُمَا مَا تَدَاوَلَ اسْتِعْمَالُهُ
الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ مِنَ الزَّمَنِ الْقَدِيمِ إِلَى زَمَانِنَا هَذَا وَلَا يُطْلَقُ
عَلَيْهِ أَنَّهُ وَحْشِيٌّ. وَالْآخَرُ مَا تَدَاوَلَ اسْتِعْمَالُهُ الْأَوَّلُ دُونَ
الْآخِرِ وَخُتِلَفَ فِي اسْتِعْمَالِهِ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الزَّمَنِ وَأَهْلِهِ وَهَذَا
هُوَ الَّذِي لَا يُعَابُ اسْتِعْمَالُهُ عِنْدَ الْعَرَبِ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ
وَحْشِيًّا وَهُوَ عِنْدَنَا وَحْشِيٌّ. وَقَدْ تَضَمَّنَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مِنْهُ
كَلِمَاتٍ مَعْدُودَةٌ وَهِيَ الَّتِي يُطْلَقُ عَلَيْهَا غَرِيبُ الْقُرْآنِ.
وَكَذَلِكَ تَضَمَّنَ الْحَدِيثُ النَّبَوِيُّ مِنْهُ شَيْئًا وَهُوَ الَّذِي يُطْلَقُ
عَلَيْهِ غَرِيبُ الْحَدِيثِ

وَلَا يَسْبِقُ وَهْمُكَ أَيُّهَا الْمُنَاطِلُ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ الَّذِي
غَلَبَ عَلَيْهِ غِلْظُ الطَّبَعِ وَتَحَاجَةُ الذِّهْنِ بِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ
تَسْتَعْمِلُ مِنَ الْأَلْفَاظِ كَذَا وَكَذَا فَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ حَسَنٌ بَلْ

يَنْبَغِي أَنْ تَعْلَمَ أَنَّ الَّذِي نَسْتَحْسِنُهُ نَحْنُ فِي زَمَانِنَا هَذَا هُوَ
الَّذِي كَانَ عِنْدَ الْعَرَبِ مُسْتَحْسَنًا وَالَّذِي نَسْتَقْبِهُ هُوَ الَّذِي
كَانَ عِنْدَهُمْ مُسْتَقْبًا. وَالْأَسْتِعْمَالُ لَيْسَ بِدَلِيلٍ عَلَى الْحَسَنِ
فَإِنَّا نَحْنُ نَسْتَعْمِلُ الْآنَ مِنَ الْكَلَامِ مَا لَيْسَ بِحَسَنِ وَإِنَّمَا
نَسْتَعْمِلُهُ لِضُرُورَةٍ فَلَيْسَ اسْتِعْمَالُ الْحَسَنِ بِمُمْكِنٍ فِي كُلِّ
الْأَحْوَالِ. وَهَذَا طَرِيقٌ يَضِلُّ بِغَيْرِ الْعَارِفِ بِمَسَالِكِهِ وَمَنْ لَمْ
يَعْرِفْ صِنَاعَةَ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ وَمَا يَجِدُهُ صَاحِبُهَا مِنَ الْكُلْفَةِ فِي
صَوْغِ الْأَلْفَاظِ وَخِيَارِهَا فَإِنَّهُ مَعذُورٌ فِي أَنْ يَقُولَ مَا قَالَ
لَا يَعْرِفُ الشُّوقَ إِلَّا مَنْ يَكَايِدُهُ وَلَا الصَّبَابَةَ إِلَّا مَنْ يُعَانِيهَا
وَمَعَ هَذَا فَإِنَّ قَوْلَ الْقَائِلِ بِأَنَّ الْعَرَبَ كَانَتْ تَسْتَعْمِلُ مِنَ
الْأَلْفَاظِ كَذَا وَكَذَا وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ حَسَنٌ قَوْلٌ فَاسِدٌ لَا
يَصْدُرُ إِلَّا عَنِ جَاهِلٍ فَإِنَّ اسْتِحْسَانَ الْأَلْفَاظِ وَاسْتِقْبَالَهَا لَا
يُؤْخَذُ بِالتَّقْلِيدِ مِنَ الْعَرَبِ لِأَنَّهُ شَيْءٌ لَيْسَ لِلتَّقْلِيدِ فِيهِ مَجَالٌ
وَإِنَّمَا هُوَ شَيْءٌ لَهُ خَصَائِصٌ وَهَيْئَاتٌ وَعَلَامَاتٌ إِذَا وَجِدَتْ
عِلْمٌ حُسْنُهُ مِنْ قُبْحِهِ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى ذَلِكَ فِي بَابِ
النِّصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ. وَأَمَّا الَّذِي تَقِلَّدُ الْعَرَبَ فِيهِ مِنَ الْأَلْفَاظِ
فَإِنَّمَا هُوَ الْإِسْتِشْهَادُ بِأَشْعَارِهَا عَلَى مَا يُنْقَلُ مِنْ لُغَتِهَا وَآخِذٌ

بِأَقْوَالِهَا فِي الْأَوْضَاعِ التَّعْوِيَةِ فِي رَفْعِ الْفَاعِلِ وَنَصْبِ
 الْمَفْعُولِ وَجَرِّ الْمُضَافِ إِلَيْهِ وَجَزْمِ الشَّرْطِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ
 وَمَا عَدَاهُ فَلَا وَحُسْنُ الْأَلْفَاظِ وَفُجْهَاتُهَا لَيْسَ إِضَافِيًّا إِلَى زَيْدٍ
 دُونَ عَمْرٍو أَوْ إِلَى عَمْرٍو دُونَ زَيْدٍ لِأَنَّهُ وَصَفَ ذَوَوِي لَا
 يَتَغَيَّرُ بِالْإِضَافَةِ. أَلَا تَرَى أَنَّ لَفْظَةَ الْمَرْزَةِ مَثَلًا حَسَنَةً عِنْدَ
 النَّاسِ كَافَّةً مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ وَهَلُمَّ جَرًّا لَا يَخْتَلِفُ أَحَدٌ فِي
 حُسْنِهَا. وَكَذَلِكَ لَفْظَةُ الْبُعَايِ فَإِنَّهَا فَيِّجَةٌ عِنْدَ النَّاسِ كَافَّةً
 مِنَ الْعَرَبِ وَغَيْرِهِمْ فَإِذَا اسْتَعْمَلْتَهَا الْعَرَبُ لَا يَكُونُ اسْتِعْمَالُهُمْ
 إِيَّاهَا مُخْرِجًا لَهَا عَنِ الْقَبْحِ وَلَا يُلْتَفَتُ إِذْنٌ إِلَى اسْتِعْمَالِهِمْ
 إِيَّاهَا بَلْ يُعَابُ اسْتِعْمَالُهَا وَيُغْلَظُ لَهُ التَّكْبِيرُ حَيْثُ اسْتَعْمَلَهَا
 فَلَا تَنْظُرَنَّ أَنَّ الْوَحْشِيَّ مِنَ الْأَلْفَاظِ مَا يَكْرَهُهُ سَمْعُكَ
 وَيَقْتُلُ عَلَيْكَ النُّطْقُ بِهِ وَإِنَّمَا هُوَ الْغَرِيبُ الَّذِي يَقُولُ
 اسْتَعْمَلْهُ فَتَارَةً يَخِفُّ عَلَى سَمْعِكَ وَلَا تَحْدِيهِ كَرَاهَةٌ وَتَارَةً يَقْتُلُ
 عَلَى سَمْعِكَ وَتَحْدِيهِ كَرَاهَةٌ. وَذَلِكَ فِي اللَّفْظِ عَيَّانٌ أَحَدُهُمَا
 أَنَّهُ غَرِيبٌ لَا اسْتِعْمَالَ وَالْآخَرُ أَنَّهُ قَبِيلٌ عَلَى السَّمْعِ كَرِيهٌ
 عَلَى الذَّوْقِ. وَإِذَا كَانَ اللَّفْظُ بِهَذِهِ الصِّفَةِ فَلَا مَزِيدَ عَلَى
 فِظَاطَتِهِ وَغِلَاطَتِهِ وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى الْوَحْشِيَّ الْفَلِيطَ وَيُسَمَّى

أَيْضًا الْمُتَوَعَّرَ وَلَيْسَ وَرَأَاهُ فِي الْقُبْحِ دَرَجَةٌ أُخْرَى وَلَا يَسْتَعْمِلُهُ
 إِلَّا أَجْهَلُ النَّاسِ مِمَّنْ لَمْ يَخْطُرْ بَيِّنَاتُهُ شَيْءٌ مِنْ مَعْرِفَةِ هَذَا
 الْفَنِّ أَصْلًا. فَإِنْ قِيلَ فَمَا هَذَا النَّوعُ مِنَ الْأَلْفَافِ. قُلْتُ قَدْ
 ثَبَتَ لَكَ أَنَّهُ مَا كَرِهَهُ سَمْعُكَ وَثَقُلَ عَلَى لِسَانِكَ النُّطْقُ بِهِ.
 وَسَاءَ ضَرْبُ لَكَ فِي ذَلِكَ مَثَلًا فَمِنْهُ مَا وَرَدَ لَنَا بَطْ شَرًّا فِي
 كِتَابِ الْخَمَاسَةِ

يُظَلُّ بِمَوَاقِفٍ وَيُبْسِي بِغَيْرِهَا

جَيْشًا وَيَعْرِوْرِي ظُهُورَ الْمَسَالِكِ

فَإِنَّ لَفْظَةَ جَيْشٍ مِنَ الْأَلْفَافِ الْمُنْكَرَةِ الْقَبِيحَةِ. وَيَا لِلَّهِ
 الْعَجَبُ أَلَيْسَ أَنَّهَا بِمَعْنَى فَرِيدٍ وَفَرِيدٌ لَفْظَةٌ حَسَنَةٌ رَائِقَةٌ وَلَكِنْ
 وَضِعَتْ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَوْضِعَ جَيْشٍ لَهَا اخْتِلَافٌ شَيْءٌ مِنْ وَرْزِهِ.
 فَتَأْ بَطْ شَرًّا مَلُومٌ مِنْ وَجْهَيْنِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ
 اسْتَعْمَلَ الْقُبْحَ وَالْآخَرُ أَنَّهُ كَانَتْ لَهُ مَدْرُوحَةٌ عَنِ اسْتِعْمَالِهِ
 فَلَمْ يَعْدِلْ عَنْهُ. وَمِمَّا هُوَ أَفْجُ مِنْهَا مَا وَرَدَ لِأَبِي تَهَامٍ قَوْلُهُ
 قَدْ قُلْتُ لَهَا أَطْلَحِمُ الْأَمْرَ وَأَنْبَعَثُ

عَشَوَاءَ تَالِيَةٍ غُبَسَا نَهَارِيسَا

فَلَفْظَةُ أَطْلَحِمُ مِنَ الْأَلْفَافِ الْمُنْكَرَةِ الَّتِي جَمَعَتِ الْوَصْفَيْنِ

الْقَيْمِينَ فِي أَنَّهَا غَرِيبَةٌ وَأَنَّهَا غَلِيظَةٌ فِي السَّمْعِ كَرِيبَةٌ عَلَى
الدُّوقِ . وَكَذَلِكَ لَفْظَةُ دَهَارِيسَ أَيْضًا . وَعَلَى هَذَا وَرَدَ قَوْلُهُ
مِنْ آيَاتٍ يَصِفُ فَرَسًا مِنْ جَمَلَتِهَا

نَعِمَ مَتَاعُ الدُّنْيَا حَبَاكَ بِهِ أَرْوَعُ لَا جِيدَرٌ وَلَا جِسْرُ
فَلَفْظَةُ جِيدَرٍ غَلِيظَةٌ . وَأَغْلَظَ مِنْهَا قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُنَبِّئِ
جَحَّتْ وَهُمْ لَا يَجْفَحُونَ بِهَا بِهِمْ

شِيمَ عَلَى الْحَسْبِ الْأَغَرِ دَلَالٌ

فَإِنَّ لَفْظَةَ جَحَّ مَرَّةً الطَّعْمِ وَإِذَا مَرَّتْ عَلَى السَّمْعِ أَقْشَعَرُ
مِنْهَا وَأَبُو الطَّيِّبِ فِي اسْتِعْمَالِهَا كَأَسْتَعْمَالِ تَابَطَ شَرًّا لَفْظَةً
جَحِيشَ . فَإِنَّ تَابَطَ شَرًّا كَانَتْ لَهُ مَدْرُوحَةٌ عَنْ اسْتِعْمَالِ
تِلْكَ اللَّفْظَةِ كَمَا أَشَرْنَا إِلَيْهِ فِيهَا تَقَدَّمَ وَكَذَلِكَ أَبُو الطَّيِّبِ
فِي اسْتِعْمَالِ هَذِهِ اللَّفْظَةِ الَّتِي هِيَ جَحَّتْ فَإِنَّ مَعْنَاهَا فَخَرَتْ
وَالْجَحُّ الْفَخْرُ يُقَالُ جَحَّ فُلَانٌ إِذَا فَخَرَ وَلَوْ اسْتَعْمَلَ عِوَضًا
عَنْ جَحَّتْ فَخَرَتْ لَا سَتَقَامَ وَزُنُ الْبَيْتِ وَحَظِي فِي اسْتِعْمَالِهِ
يَا لَأَحْسَنِ وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ يَذْهَبُ هَذَا وَأَمثَالُهُ عَلَى مِثْلِ هُوَ لَاءُ
الْفُحُولِ مِنَ الشُّعْرَاءِ . وَهَذَا الَّذِي ذَكَرْتُهُ وَمَا يَجْرِي مَجْرَاهُ مِنَ
الْأَلْفَاظِ هُوَ الْوَحْشِيُّ الْغَلِيظُ الَّذِي لَيْسَ لَهُ مَا يُدَانِيهِ فِي قَبِيحِهِ

وَكَرَاهَتِهِ وَهَذِهِ الْأَمْثَلَةُ دَلِيلٌ عَلَى مَا أَرَدْنَاهُ. وَالْعَرَبُ إِذَنْ
لَا تُنَلِّمُ عَلَى اسْتِعْمَالِ الْغَرِيبِ الْحَسَنِ مِنَ الْأَلْفَاظِ وَإِنَّمَا
تُنَلِّمُ عَلَى الْغَرِيبِ الْفَصِيحِ وَأَمَّا الْحَضَرِيُّ فَإِنَّهُ يُنَلِّمُ عَلَى
اسْتِعْمَالِ الْفَسِيحِينَ مَعًا وَهُوَ فِي أَحَدِهِمَا أَشَدُّ مَلَامَةً مِنْهُ فِي
الْآخَرِ

(عن المثل السائر)

الْقِسْمُ الثَّانِي

فِي الْكَلَامِ

فَدَرَأْتُ جَمَاعَةً مِنْ مُدْعِي هَذِهِ الصَّنَاعَةِ يَتَقَدُّونَ أَنَّ
الْكَلَامَ الْفَصِيحَ هُوَ الَّذِي يَعْرِضُ فِيهِ وَيَعْدُ مَتَنَاوِلُهُ وَإِذَا رَأَوْا
كَلَامًا وَحْشِيًّا غَامِضَ الْأَلْفَاظِ يُعْجِبُونَ بِهِ وَيَصِفُونَهُ بِالْفَصَاحَةِ
وَهُوَ بِالضِدِّ مِنْ ذَلِكَ لِأَنَّ الْفَصَاحَةَ هِيَ الظُّهُورُ وَالْبَيَانُ
لَا الْغُمُوضُ وَالْخَفَاءُ. وَسَأُبَيِّنُ لَكَ مَا تَعَمَّدُ عَلَيْهِ فِي هَذَا
الْمَوْضِعِ فَأَقُولُ الْأَلْفَاظُ تَنْقَسِمُ فِي الْإِسْتِعْمَالِ إِلَى جَزَلَةٍ
وَرَفِيقَةٍ وَلِكُلِّ مِنْهُمَا مَوْضِعٌ يُحْسَنُ اسْتِعْمَالُهُ فِيهِ. فَأَتَجَزَّلُ
مِنْهَا بِاسْتِعْمَالِ فِي وَصْفِ مَوَاقِفِ الْحُرُوبِ وَفِي قَوَارِعِ
الْتِهِيدِ وَالْخَوْفِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ. وَأَمَّا الرَّفِيقُ مِنْهَا فَإِنَّهُ

يُسْتَعْمَلُ فِي وَصْفِ الْأَشْوَاقِ وَذِكْرِ أَيَّامِ الْعِبَادِ وَفِي اسْتِجْلَابِ
 الْمَوَدَّاتِ وَمُلَاتِنَاتِ الْأَسْتِعْطَافِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ . وَلَسْتُ
 أَغْنِي بِأَلْفِجَزٍ مِنَ الْأَلْفَافِ أَنْ يَكُونَ وَخْشِيًا مُتَوَعِّرًا عَلَيْهِ
 عُجْبِيَّةُ الْبِدَاوَةِ بَلْ أَغْنِي بِأَلْفِجَزٍ أَنْ يَكُونَ مَتِينًا عَلَى عُدُوِّهِ
 فِي الْفَمِ وَلِلذَاتِهِ فِي السَّمْعِ . وَكَذَلِكَ لَسْتُ أَغْنِي بِالرَّقِيقِ
 أَنْ يَكُونَ رَكِيكًا سَفْسَافًا وَإِنَّمَا هُوَ اللَّطِيفُ الرَّفِيقُ الْحَاشِيَةُ
 النَّاعِمُ الْمَلْبَسُ كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ

نَاعِمَاتُ الْأَطْرَافِ لَوْ أَنَّهَا تَأْتِي بَسُ أَغْنَتْ عَنِ الْمَلَأَةِ الرِّقَاقِ
 وَسَأُضْرِبُ لَكَ مِثَالًا لِلْجَزْلِ مِنَ الْأَلْفَافِ وَالرَّقِيقِ فَأَقُولُ
 أَنْظِرْ إِلَى قَوَارِعِ الْقُرْآنِ عِنْدَ ذِكْرِ الْحِسَابِ وَالْعَذَابِ
 وَالْمِيزَانِ وَالصِّرَاطِ وَعِنْدَ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَمَفَارِقَةِ الدُّنْيَا وَمَا
 جَرَى هَذَا الْعَجْرَى فَإِنَّكَ لَا تَرَى شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ وَخْشِيًا
 الْأَلْفَافِ وَلَا مُتَوَعِّرًا . ثُمَّ أَنْظِرْ إِلَى ذِكْرِ الرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ
 وَالْمَغْفِرَةِ وَالْمُلَاطَفَاتِ فِي خُطَابِ الْأَنْبِيَاءِ وَخُطَابِ
 الْمُنَبِّينَ وَالنَّاتِبِينَ مِنَ الْعِبَادِ وَمَا جَرَى هَذَا الْعَجْرَى فَإِنَّكَ
 لَا تَرَى شَيْئًا مِنْ ذَلِكَ ضَعِيفَ الْأَلْفَافِ وَلَا سَفْسَافًا . فَمِثَالُ
 الْأَوَّلِ وَهُوَ أَلْفِجَزٌ مِنَ الْأَلْفَافِ قَوْلُهُ تَعَالَى وَنُفِخَ فِي الصُّورِ

فَصَعَقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ
ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ
بِنُورٍ رِيحًا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءُ وَقُضِيَ
بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ
وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا
حَتَّى إِذَا جَاءَهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ
رُسُلٌ مِنْكُمْ قُلُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُوكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ
هَذَا قَالُوا بَلَى وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ
فَقِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوًى
لِلْمُتَكِبِّرِينَ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا
جَاءَهَا فَتَحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ
فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ
وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَّبِعُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ
الْعَامِلِينَ فَتَأَمَّلْ هَذِهِ الْآيَاتِ الْمُضْمِنَةَ ذِكْرَ الْخَشَرِ عَلَى
تَفَاصِيلِ أَحْوَالِهِ وَذِكْرَ النَّارِ وَالْجَنَّةِ وَانْظُرْ هَلْ فِيهَا كَلْفَةٌ
إِلَّا وَهِيَ سَهْلَةٌ مُسْتَعْدَّةٌ عَلَى مَا يَهَامِنُ الْجَزَالَ وَكَذَلِكَ وَرَدَ
قَوْلُهُ تَعَالَى وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ

وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ
الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيهَا شُرَكَاءَ لَقَدْ قَطَعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ
مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ. وَأَمَّا مِثَالُ الثَّانِي وَهُوَ الرَّفِيقُ مِنَ الْأَلْفَاظِ
فَقَوْلُهُ تَعَالَى فِي مَخَاطَبَةِ النَّبِيِّ وَالضُّحَى وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَّأَمَا
وَدَعَاكَ رَبُّكَ وَمَا قُلَى إِلَى آخِرِ السُّورَةِ. وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ
تَعَالَى فِي تَرْغِيبِ الْمَسْئَلَةِ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي
قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِي إِذَا دَعَانِ. وَهَكَذَا تَرَى سَبِيلَ
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ فِي كَلَامِ هَذَيْنِ الْمُحَاوَلَيْنِ مِنَ الْمُجَزَّالَةِ وَالرِّقَّةِ.
وَكَذَلِكَ كَلَامُ الْعَرَبِ الْأَوَّلِ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ مِمَّا وَرَدَّ
عَنْهَا نَثْرًا وَيَكْفِي مِنْ ذَلِكَ كَلَامُ فَيْصَةَ بْنِ نُعَيْمٍ لَهَا قَدِيمٌ
عَلَى أَمْرِئِ الْفَيْسِ فِي أَشْيَاحِ ابْنِي أَسَدٍ بِسَأَلُونَهُ الْعَفْوَ عَنْ
دَمِ أَبِيهِ فَقَالَ لَهُ إِنَّكَ فِي الْعَلَلِ وَالْقَدَرِ مِنَ الْمَعْرِفَةِ
بِتَصْرِيفِ الدَّهْرِ وَمَا تُحَدِّثُهُ أَيَّامُهُ وَتَتَقَلُّ بِهِ أَحْوَالُهُ بِحَيْثُ لَا
تَحْتَاجُ إِلَى تَذْكِيرٍ مِنْ وَاعِظٍ وَلَا تَبْصِيرٍ مِنْ مُجَرِّبٍ. وَلَكَ مِنْ
سُودِدِ مَنْصِبِكَ وَشَرَفِ أَعْرَافِكَ وَكَرَمِ أَصْلِكَ فِي الْعَرَبِ
مُحَمَّدٌ بِجَسَدٍ مَا حِيلَ عَلَيْهِ مِنْ إِفَالَةِ الْعَثَرَةِ وَالرُّجُوعِ عَنِ
الْهَفْوَةِ وَلَا تَجَاوِزِ الْهَمَمِ إِلَى غَايَةِ الْإِرْجَعِ إِلَيْكَ فَوَجَدْتَ

عِنْدَكَ مِنْ فَضِيلَةِ الرَّأْيِ وَبَصِيرَةِ الْفَهْمِ وَكَرَمِ الصَّغْمِ مَا
يَطُولُ رَغْبَانِهَا وَيَسْتَعْرِقُ طَلِبَانِهَا. وَقَدْ كَانَ الَّذِي كَانَ مِنْ
الْمُخْطَبِ الْحَلِيلِ الَّذِي عَمَّتْ رَزِيئَتُهُ نِزَارًا وَالْبَسَنَ وَلَمْ
تُخْصَصْ بِذَلِكَ كِنْدَةُ دُونَنَا لِلشَّرَفِ الْبَارِعِ الَّذِي كَانَ لِحَجْرِ
وَلَوْ كَانَ يُفْدَى هَالِكٌ بِالْأَنْفُسِ الْبَاقِيَةِ بَعْدَهُ لَمَا خَلَّتْ أَكَارِمُنَا
بِهَا عَلَى مِثْلِهِ وَلَكِنَّهُ مَضَى بِهِ سَبِيلٌ لَا تَرْجِعُ أَخْرَاهُ عَلَى أَوْلَاهُ
وَلَا يَلْحَقُ أَفْصَاهُ أَدْنَاهُ. فَأَحْمَدُ الْحَالَاتِ فِي ذَلِكَ أَنْ تَعْرِفَ
الْوَاجِبَ عَلَيْكَ فِي إِحْدَى خِلَالِ ثَلَاثٍ إِمَّا أَنْ تَخْتَارَ مِنْ
بَنِي أَسَدٍ أَشْرَفَهَا بَيْتًا وَأَعْلَاهَا فِي بِنَاءِ الْمَكْرُمَاتِ صَوْنًا فَتَقُوهُ
إِلَيْكَ يَنْسَعِهِ تَذَهَبُ مَعَ شَفَرَاتِ حُسَامِكَ بِبَاقٍ فَصَرَّتِهِ
فَتَقُولُ رَجُلٌ أَمْنَعِينَ بِهَا لِكَ عَزِيزٍ فَلَمْ يَسْتَلْ سَخِيمَتَهُ إِلَّا بِمُكْنَتِهِ
مِنْ الْإِنْتِقَامِ. وَإِمَّا فِدَاءً بِمَا يَرُوحُ عَلَى بَنِي أَسَدٍ مِنْ نَعِيمِهَا
فَهِيَ الْوَفْءُ تُجَاوِزُ الْخُمْسَةَ فَيَكُونُ ذَلِكَ فِدَاءً تَرْجِعُ بِهِ
الْقَضْبُ إِلَى أَجْفَانِهَا. وَإِمَّا أَنْ تُوَادِعَنَا إِلَى أَنْ تَضَعَ الْحَوَامِلُ
فَتُسَدَّلُ الْأُزُرُ وَتَعْقَدَ الْخُمُرُ فَوْقَ الرِّيَاطِ. قَالَ فَبِكِي سَاعَةً
ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ الْعَرَبُ أَنَّهُ لَا كُفُوَ لِحَجْرِ فِي
دَمٍ وَهِيَ لَنْ أَعْنَاضَ جَمَلًا وَلَا نَاقَةً فَأَكْتَسَبَ بِهِ سَبَةَ الْأَيْدِ

وَفَتَّ الْعَصْدُ وَأَمَّا النَّظْرَةُ فَقَدْ أَوْجَبَتْهَا الْأَجِنَّةُ فِي بُطُونِ
أُمَمَاتِهَا وَلَكِنْ أَكُونُ لِعَظِيمِهَا سَبَبًا وَسَتَعْرِفُونَ طَلَائِعَ كِنْدَةٍ
مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ تَحْمِلُ فِي الْقُلُوبِ حَقًّا وَفَوْقَ الْأَسِنَّةِ عِلْقًا
إِذَا جَالَتْ الْخَيْلُ فِي مَازِقِ

نُصَافِحٍ فِيهِ الْمَنَآيَا النَّفُوسَا

أَتَقِيمُونَ أَمْ تَنْصَرِفُونَ. قَالُوا بَلْ تَنْصَرِفُ يَا سَوَادَ الْإِخْيَارِ
وَأَبْلَى الْإِحْتِرَارِ بِمَكْرِهِ وَأَذْيِهِ وَحَرْبِ وَبَلِيَّةٍ ثُمَّ تَهَضُّوا
عَنْهُ وَقَبِيصَةً يَتَمَثَّلُ

لَعَلَّكَ أَنْ تَسْتَوْخِمَ الْوِزْدَ إِنْ عَدَتْ

كُنَائِنًا فِي مَازِقِ الْحَرْبِ تَمْطُرُ

فَقَالَ أَمْرُو الْقَيْسِ لَا وَاللَّهِ وَلَكِنْ أَسْتَعِذُّهُ فَرُودًا يَنْفِرُجَ
لَكَ دُجَاهًا مِنْ فُرْسَانِ كِنْدَةٍ وَكُنَائِبِ حَمِيرٍ وَلَقَدْ كَانَ ذَكَرُ
غَيْرِ هَذَا بِيَأُولَى إِذْ كُنْتَ نَازِلًا بِرَبْعِي وَلَكِنَّكَ قُلْتَ فَأَوْجِبْتَ
فَلَنَنْظُرُ إِلَى هَذَا الْكَلَامِ مِنَ الرَّجُلَيْنِ قَبِيصَةً وَأَمْرِي الْقَيْسِ
حَتَّى يَدْعَ الْمُنْعَمِيُّونَ تَعْمَتَهُمْ فِي أَسْتِعْمَالِ الْوَحْشِيِّ مِنَ
الْأَلْفَافِ فَإِنَّ هَذَا الْكَلَامَ قَدْ كَانَ فِي الزَّمَنِ الْقَدِيمِ قَبْلَ
الْإِسْلَامِ بِمَا شَاءَ اللَّهُ

وَإِذَا كَانَ هَذَا قَوْلَ سَاكِنٍ فِي الْفَلَاةِ لَا يَرَى إِلَّا شِجَمَةً
أَوْ قَبْصُومَةً وَلَا يَأْكُلُ إِلَّا ضَبًّا أَوْ يَرْبُوعًا فَمَا بَالُ قَوْمٍ
سَكَنُوا الْمُحْضَرَ وَوَجَدُوا رِقَّةَ الْعَيْشِ يَتَعَاطُونَ وَحَشِيَّ الْأَلْفَاظِ
وَشُظْفَ الْعِبَارَاتِ وَمَا يُجْلِدُ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا مَا جَاهِلٌ بِأَسْرَارِ
النَّصَاحَةِ وَإِنَّمَا عَاجِزٌ عَنِ سُلُوكِ طَرِيقِهَا. فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ
مِمَّنْ شَدَّ شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْأَدَبِ يُمَكِّنُهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْوَحْشِيِّ
مِنْ الْكَلَامِ وَذَاكَ أَنَّهُ يَلْتَقِطُهُ مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ أَوْ يَلْتَفِتُهُ
مِنْ أَرْبَابِهَا. وَأَمَّا النَّصِيحُ الْمُتَّصِفُ بِصِفَةِ الْمَلَاحَةِ فَإِنَّهُ لَا
يَقْدِرُ عَلَيْهِ وَلَوْ قَدَرَ عَلَيْهِ لَمَا عِلِمَ أَتَى يَضَعُ يَدَهُ فِي نَائِلِيهِ
وَسَبْكِهِ فَإِنْ مَارَى فِي ذَلِكَ مُمَارًا فَلْيَنْظُرْ إِلَى أَشْعَارِ عُلَمَاءِ
الْأَدَبِ مِمَّنْ كَانَ مُشَارًا إِلَيْهِ حَتَّى يَعْلَمَ صِحَّةَ مَا ذَكَرْتُهُ.
هَذَا أَتَى دُرَيْدٌ قَدْ قِيلَ إِنَّهُ أَشْعَرُ عُلَمَاءِ الْأَدَبِ وَإِذَا
نَظَرْتَ إِلَى شِعْرِهِ وَجَدْتَهُ بِالنِّسْبَةِ إِلَى شِعْرِ الشُّعْرَاءِ الْعَجِيدِينَ
مُخْطَاطًا أَنْ أُولَئِكَ الشُّعْرَاءُ لَمْ يَعْرِفُوا مِنْ عِلْمِ الْأَدَبِ
عَشْرَ مِثَالِ مَا عَلَيْهِ. هَذَا الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَخْنَفِ قَدْ كَانَ
مِنْ أَوَائِلِ الشُّعْرَاءِ الْعَجِيدِينَ وَشِعْرُهُ كَمَثَرِ نَسِيمٍ عَلَى
عَذَبَاتِ أَغْصَانٍ وَكُلُوهَاتِ طَلٍّ عَلَى طُرُرٍ رِيحَانٍ وَلَيْسَ فِيهِ

لَفْظَةٌ وَاحِدَةٌ غَرِيبَةٌ بِحِجَابٍ إِلَى اسْتِخْرَاجِهَا مِنْ كُتُبِ اللُّغَةِ
(انتهى ملخصاً عن المثل السائر)

الفصل الرابع

في انقسام الكلام إلى فني النظم والنثر

إِعْلَمْ أَنَّ لِسَانَ الْعَرَبِ وَكَلَامَهُمْ عَلَى فَنَيْنِ فَنِ الشِّعْرِ
الْمَنْظُومِ وَهُوَ الْكَلَامُ الْمَوْزُونُ الْمُعْقَفُ وَمَعْنَاهُ الَّذِي تَكُونُ
أَوْزَانُهُ كُلُّهَا عَلَى رَوِيٍّ وَاحِدٍ وَهُوَ الْقَافِيَةُ. وَفَنِ النَّثْرِ وَهُوَ
الْكَلَامُ غَيْرُ الْمَوْزُونِ. وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفَنَيْنِ يَشْتَمِلُ عَلَى
فُنُونٍ وَمَذَاهِبٍ فِي الْكَلَامِ. فَأَمَّا الشِّعْرُ فَمِنْهُ الْمَدْحُ وَالْهَيْجَاءُ
وَالرِّثَاءُ. وَأَمَّا النَّثْرُ فَمِنْهُ السَّجْعُ الَّذِي يُؤْتَى بِهِ قِطْعًا وَيُلْتَزَمُ
فِي كُلِّ كَلِمَتَيْنِ مِنْهُ قَافِيَةٌ وَاحِدَةٌ وَيُسَمَّى سَجْعًا وَمِنْهُ الْمُرْسَلُ
وَهُوَ الَّذِي يُطْلَقُ فِيهِ الْكَلَامُ إِطْلَاقًا وَلَا يَقْطَعُ أَجْزَاءً بَلْ
يُرْسَلُ إِرْسَالًا مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ بِقَافِيَةٍ وَلَا غَيْرِهَا. وَيُسْتَعْمَلُ
فِي الْخُطْبِ وَالْدُّعَاءِ وَتَرْغِيبِ الْجُمْهُورِ وَتَرْهِيْبِهِمْ. وَأَمَّا
الْقُرْآنُ فَهُوَ وَإِنْ كَانَ مِنَ الْمَثُورِ إِلَّا أَنَّهُ خَارِجٌ عَنْ
الْوَصْفَيْنِ وَلَيْسَ يُسَمَّى مَرْسَلًا مُطْلَقًا وَلَا مُسَجَّعًا بَلْ تَفْصِيلُ

آيَاتٍ يَتَّبِعِي إِلَى مَقَاطِعِ يَشْهَدُ الذُّوقُ بِأَنْتَهَاءِ الْكَلَامِ عِنْدَهَا
 ثُمَّ يَعَادُ الْكَلَامُ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى بَعْدَهَا وَيَتَنَبَّهُ مِنْ غَيْرِ
 التَّزَامِ حَرْفٍ يَكُونُ سَجْعًا أَوْ قَافِيَةً وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى اللَّهُ
 نَزَلَ أَحْسَنَ الْمُحَدِّثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَشْعُرُ مِنْهُ جُلُودُ
 الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ. وَقَالَ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ. وَيُسَمَّى آخِرُ
 الْآيَاتِ مِنْهُ فَوَاصِلٌ إِذْ لَيْسَتْ أَسْجَاعًا وَلَا التَّزِمَ فِيهَا مَا
 يُلتَزَمُ فِي السَّجْعِ وَلَا هِيَ أَيْضًا قَوَافٍ. وَأُطْلِقَ اسْمُ الْمَثَانِي عَلَى
 آيَاتِ الْقُرْآنِ كُلِّهَا عَلَى الْعُمُومِ لِمَا ذَكَرْنَاهُ وَأَخْصَصْتُ بِأَمْرِ
 الْقُرْآنِ لِلْعَلْبَةِ فِيهَا كَالْتَّجْمِ لِلثَّرْيَا وَلِهَذَا سُمِّيَتْ السَّجْعُ الْمَثَانِي.
 وَأَنْظُرْ هَذَا مَعَ مَا قَالَهُ الْمَفْسِرُونَ فِي تَعْلِيلِ تَسْمِيَّتِهَا بِالْمَثَانِي
 يَشْهَدُ لَكَ الْحَقُّ بِرُجْحَانِ مَا قُلْنَاهُ. وَأَعْلَمُ أَنَّ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْ
 هَذِهِ الْفُنُونِ أَسَالِيبَ تَخْصُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِهِ وَلَا تَصْلُحُ لِلْفَنِّ
 الْآخَرِ وَلَا تُسْتَعْمَلُ فِيهِ مِثْلُ النَّسِيبِ الْخُصَّ بِالشَّعْرِ
 وَالتَّحْمِيدِ وَالِدُّعَاءِ الْخُصَّ بِالْمُحْطَبِ وَالِدُّعَاءِ الْخُصَّ
 بِالْمُخَاطَبَاتِ وَأَمْثَالِ ذَلِكَ. وَقَدْ اسْتَعْمَلَ الْمَتَأَخِّرُونَ
 أَسَالِيبَ الشَّعْرِ وَمَوَازِينَهُ فِي الْمَشُورِ مِنْ كَثَرَةِ الْأَسْجَاعِ
 وَالتَّزَامِ التَّقْنِيَةِ وَتَقْدِيمِ النَّسِيبِ بَيْنَ يَدَيِ الْأَغْرَاضِ وَصَارَ

هَذَا الْمَشُورُ إِذَا نَامَلْتَهُ مِنْ بَابِ الشَّعْرِ وَفِيهِ وَلَمْ يَفْتَرِقَا إِلَّا
فِي الْوَزْنِ. وَاسْتَمَرَ الْمُنَاقِحُونَ مِنَ الْكُتَّابِ عَلَى هَذِهِ
الطَّرِيقَةِ وَاسْتَعْمَلُوهَا فِي الْخُطَابَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ وَقَصَرُوا
الْإِسْتِعْمَالَ فِي الْمَشُورِ كُلِّهِ عَلَى هَذَا الْفَنِّ الَّذِي أَرْضَوْهُ
وَخَلَطُوا الْأَسَالِيبَ فِيهِ وَهَجَرُوا الْمُرْسَلَ وَتَنَاسَوْهُ وَخُصُوصًا
أَهْلَ الْمَشْرِقِ وَصَارَتْ الْخُطَابَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ لِهَذَا الْعَهْدِ
عِنْدَ الْكُتَّابِ الْغَفْلُ جَارِيَةٌ عَلَى هَذَا الْأُسْلُوبِ الَّذِي أَشْرْنَا
إِلَيْهِ. وَهُوَ غَيْرُ صَوَابٍ مِنْ جِهَةِ الْبَلَاغَةِ لِمَا يَلَاحِظُ فِي
تَطْبِيقِ الْكَلَامِ عَلَى مُقْتَضَى الْحَالِ مِنْ أَحْوَالِ الْخُطَّابِ
وَالْخُطَّابِ. وَهَذَا الْفَنُّ الْمَشُورُ الْمَقْنَى أَدْخَلَ الْمُنَاقِحُونَ
فِيهِ أَسَالِيبَ الشَّعْرِ فَوَجَبَ أَنْ نُنْزِعَ الْخُطَابَاتُ السُّلْطَانِيَّةُ
عَنْهُ إِذَا سَالِبُ الشَّعْرِ تَنَافَيْهَا اللَّوْذِغِيَّةُ وَخَلَطَ الْحَجْدَ بِالْهَزْلِ
وَالْإِطْنَابُ فِي الْأَوْصَافِ وَضَرْبُ الْأَمْثَالِ وَكَثْرَةُ التَّشْبِيهَاتِ
وَالْإِسْتِعَارَاتِ حَيْثُ لَا تَدْعُو ضَرُورَةٌ إِلَى ذَلِكَ فِي الْخُطَّابِ
وَالْعَمُودُ فِي الْخُطَابَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ التَّرْسُلُ وَهُوَ إِطْلَاقُ
الْكَلَامِ وَإِرْسَالُهُ مِنْ غَيْرِ تَسْجِيعٍ إِلَّا فِي الْأَقْلِ النَّادِرِ
وَحَيْثُ تُرْسِلُهُ الْمَلِكَةُ إِرْسَالًا مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ لَهُ ثُمَّ إِعْطَاءُ

الْكَلَامَ حَقَّةً فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى أَحْوَاحٍ فَإِنَّ الْمَقَامَاتِ
 مُخْتَلِفَةً وَلِكُلِّ مَقَامٍ أُسْلُوبٌ بَخْصَةٌ مِنْ إِنْطَابٍ أَوْ إِنْجَازٍ أَوْ
 حَذْفٍ أَوْ إِثْبَاتٍ أَوْ تَصْرِيحٍ أَوْ إِشَارَةٍ وَكِتَابَةٍ وَاسْتِعَارَةٍ
 وَأَمَّا إِجْرَاءُ الْخُطَابَاتِ السُّلْطَانِيَّةِ عَلَى هَذَا النُّحْوِ الَّذِي هُوَ
 عَلَى أَسَالِيبِ الشَّعْرِ فَمَذْمُومٌ وَمَا حَمَلَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْعَصْرِ
 إِلَّا أَسْنِيْلَاءَ الْعُجْبَةِ عَلَى السَّنَنِهِمْ وَقُصُورُهُمْ لِذَلِكَ عَنْ
 إِعْطَاءِ الْكَلَامِ حَقَّةً فِي مُطَابَقَتِهِ لِمُقْتَضَى أَحْوَاحٍ فَعَجَزُوا عَنْ
 الْكَلَامِ الْمُرْسَلِ لِبُعْدِ أَمْدِهِ فِي الْبَلَاغَةِ وَأَنْفَسَاحِ خَطْوَتِهِ
 وَوَلَعُوا بِهَذَا الْمُسَجَّعِ يُلَفِّقُونَ بِهِ مَا نَقَصَهُمْ مِنْ تَطْبِيقِ الْكَلَامِ
 عَلَى الْمَقْصُودِ وَمُقْتَضَى أَحْوَاحٍ فِيهِ وَتَجَبُّرُوهُ بِذَلِكَ الْقَدْرِ
 مِنَ التَّزْيِينِ بِالْأَسْبَاجِ وَالْأَلْقَابِ الْبَدِيعَةِ وَيَغْنَلُونَ عَمَّا
 سِوَى ذَلِكَ. وَكَثُرَ مَنْ أَخَذَ بِهَذَا الْفَنِّ وَبَالَغَ فِيهِ فِي سَائِرِ
 الْأَنْحَاءِ كَلَامِهِمْ كُتُبُ الْمَشْرِقِ وَشُعْرَاؤُهُ لِهَذَا الْعَهْدِ حَتَّى
 إِنَّهُمْ لَيُخْلُونَ بِالْإِعْرَابِ فِي الْكَلِمَاتِ وَالنَّصْرِيفِ إِذَا دَخَلَتْ
 لَهُمْ فِي تَجْنِيسٍ أَوْ مُطَابَقَةٍ لَا يَجْتَمِعَانِ مَعَهَا فَيَرْجَحُونَ ذَلِكَ
 الصِّفَتَ مِنَ التَّجْنِيسِ وَيَدْعُونَ الْإِعْرَابَ وَيُفْسِدُونَ بِنِيتِهِ
 الْكَلِمَةَ عَسَاهَا تُصَادِفُ التَّجْنِيسَ فَنَأْمَلُ ذَلِكَ بِمَا قَدَمْنَاهُ

لَكَ تَتَفَعَّلُ عَلَى صِحَّةٍ مَا ذَكَرْنَاهُ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ إِلَى الصَّوَابِ
بِهِنَّ وَكَرَمِهِ وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ
(عن ابن خلدون)

الفصل الخامس

في السجع

إِعْلَمْ أَنَّ السَّجْعَ قَدْ يَنْتَسِمُ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ. الْأَوَّلُ أَنْ
يَكُونَ الْفَصْلَانِ مُتَسَاوَيْنَيْنِ لَا يَزِيدُ أَحَدُهُمَا عَلَى الْآخَرِ كَقَوْلِهِ
تَعَالَى فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَهْزُ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ. وَقَوْلِهِ
تَعَالَى وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا. فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا. فَالْمُغِيرَاتِ
ضُبْحًا. فَأَثَرُنَ بِهِ تَعْمًا. فَوْسَطُنَ بِهِ جَمْعًا. أَلَا تَرَى كَيْفَ
جَاءَتْ هَذِهِ الْفُصُولُ مُتَسَاوِيَةً الْأَجْزَاءُ حَتَّى كَانَتْهَا أَفْرَعَتْ
فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ. وَأَمْثَالُ ذَلِكَ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ كَثِيرَةٌ
وَهُوَ أَشْرَفُ السَّجْعِ مَنَزَلَةٌ لِلْإِعْدَالِ الَّذِي فِيهِ

الْقِسْمُ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ الْفَصْلُ الثَّانِي أَطْوَلَ مِنَ
الْأَوَّلِ لَا طَوْلًا يَخْرُجُ بِهِ عَنِ الْإِعْدَالِ خُرُوجًا كَثِيرًا فَإِنَّهُ
يَقْجُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيُسْتَكْرَهُ وَيُعْدُّ عَيْبًا. فِيمَا جَاءَ مِنْ ذَلِكَ
قَوْلُهُ تَعَالَى بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ

سَعِيرًا. إِذَا رَأَوْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغِيْظًا وَزَفِيرًا.
وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَاكَ ثُبُورًا. أَلَا
تَرَى أَنَّ الْفَصْلَ الْأَوَّلَ ثَمَانِي لَفْظَاتٍ وَالْفَصْلَ الثَّانِي
وَالثَّلَاثَ تِسْعَ تِسْعٍ. وَيُسْتَنْثَى مِنْ هَذَا الْقِسْمِ مَا كَانَ مِنَ السَّجْعِ
عَلَى ثَلَاثٍ فَقَرِّبَانِ الْقِطْرَيْنِ الْأَوَّلَيْنِ مُحْسَبَانِ فِي عِدَّةٍ وَاحِدَةٍ
ثُمَّ تَأْتِي الثَّلَاثَةُ فَيَنْبَغِي أَنْ نَكُونَ طَوِيلَةً طَوِيلًا يَزِيدُ عَلَيْهِمَا
فَإِذَا كَانَتِ الْأُولَى وَالثَّانِيَةُ أَرْبَعَ لَفْظَاتٍ أَرْبَعَ لَفْظَاتٍ
تَكُونُ الثَّلَاثَةُ عَشَرَ لَفْظَاتٍ أَوْ إِحْدَى عَشْرَةَ. إِلَّا أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي
أَنْ نَجْعَلَ ذَلِكَ قِيَاسًا مُطَرِّدًا فِي السَّجَعَاتِ الثَّلَاثِ أَيْنَ
وَقَعَتْ مِنَ الْكَلَامِ بَلْ نَعْلَمُ أَنَّ الْمَجَازَ يُعْمُ الْمُجَانِبِينَ مِنْ
الْتِسَاوِي فِي السَّجَعَاتِ الثَّلَاثِ وَمِنْ زِيَادَةِ السَّجْعَةِ الثَّلَاثَةِ.
أَلَا تَرَى أَنَّهُ قَدْ وَرَدَ ثَلَاثُ سَجَعَاتٍ مُتَسَاوِيَاتٍ فِي الْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ
فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ. وَطَلْحٍ مَبْضُودٍ. وَظِلٍّ مَمْدُودٍ. فَهَذِهِ السَّجَعَاتُ
كُلُّهَا مِنْ لَفْظَتَيْنِ لَفْظَتَيْنِ وَلَوْ جُعِلَتِ الثَّلَاثَةُ مِنْهَا خَمْسَ
لَفْظَاتٍ أَوْ سِتًّا لَمَا كَانَ ذَلِكَ مَعْيَبًا
الْقِسْمُ الثَّلَاثُ أَنْ يَكُونَ الْفَصْلُ الْآخِرُ أَقْصَرَ مِنْ

الْأَوَّلِ وَهُوَ عِنْدِي عَيْبٌ فَاحْشُوا سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ السَّجْعَ
يَكُونُ قَدْ اسْتَوْفَى أَمَدَهُ مِنَ الْفَصْلِ الْأَوَّلِ بِحُكْمِ طُولِهِ ثُمَّ
يُجِيءُ الْفَصْلَ الثَّانِيَ قَصِيرًا عَنِ الْأَوَّلِ فَيَكُونُ كَالشَّيْءِ الْمُبْتَوَّرِ
فَيَقِفُ الْإِنْسَانُ عِنْدَ سَمَاعِهِ كَمَنْ يُرِيدُ الْإِنْتِهَاءَ إِلَى غَايَةِ
فِعْثَرٍ ذُوْنَهَا

وَإِذَا انْتَهَيْنَا إِلَى هَهنا وَبَيْنَا أَقْسَامَ السَّجْعِ وَلَبَّهِ وَفُشْرَهُ
فَسَتَقُولُ فِيهِ قَوْلًا كَلِمًا وَهُوَ أَنَّ السَّجْعَ عَلَى اخْتِلَافِ أَقْسَامِهِ
ضَرْبَانِ أَحَدُهُمَا يُسَمَّى السَّجْعَ الْقَصِيرَ وَهُوَ أَنْ تَكُونَ كُلُّ
وَاحِدَةٍ مِنَ السَّجْعَتَيْنِ مُؤَلَّفَةً مِنَ الْفَاطِظِ قَلِيلَةٍ وَكَلِمًا قَلَّتْ
الْأَلْفَاطُ كَانَ أَحْسَنَ لِقُرْبِ الْفَوَاصِلِ الْمَسْجُوعَةِ مِنْ سَمْعِ
السَّامِعِ وَهَذَا الضَّرْبُ أَوْعَرُ السَّجْعِ مَذْهَبًا وَأَبْعَدُهُ مَتَنَاوَلًا
وَلَا يَكَادُ اسْتِعْمَالُهُ بَعْدَ الْإِنَادِرَاءِ وَالضَّرْبُ الْآخَرُ يُسَمَّى
السَّجْعَ الطَّوِيلَ وَهُوَ ضِدُّ الْأَوَّلِ لِأَنَّهُ أَهْلُ مَتَنَاوَلًا وَإِنَّمَا
كَانَ الْقَصِيرُ مِنَ السَّجْعِ أَوْعَرًا مَسْلُكًا مِنَ الطَّوِيلِ لِأَنَّ الْمَعْنَى
إِذَا صِغَ بِالْفَاطِظِ قَصِيرَةٍ عَزَّ مُؤَانَاةُ السَّجْعِ فِيهِ لِقَصَرِ تِلْكَ
الْأَلْفَاطِ وَصِغِ الْعَجَالِ فِي اسْتِجْلَالِهِ وَأَمَّا الطَّوِيلُ فَإِنَّ
الْأَلْفَاطَ تَطُولُ فِيهِ وَيُسْتَجْلَبُ لَهُ السَّجْعُ مِنْ حَيْثُ وَلَيْسَ كَمَا

يُقَالُ وَكَانَ ذَلِكَ سَهْلًا. وَكُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَذَيْنِ الضَّرْبَيْنِ
تَفَاوُثٌ دَرَجَاتُهُ فِي عِدَّةِ الْأَلْفَاظِ. أَمَّا السَّجْعُ الْقَصِيرُ فَأَحْسَنُهُ
مَا كَانَ مُؤَلَّفًا مِنْ لَفْظَيْنِ لَفْظَيْنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَالْمُرْسَلَاتِ
عُرْفًا. فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا. وَقَوْلِهِ تَعَالَى يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ. قُمْ
فَأَنذِرْ. وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ. وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ. وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ. وَمِنْهُ
مَا يَكُونُ مُؤَلَّفًا مِنْ ثَلَاثَةِ الْأَفْظِ وَأَرْبَعَةٍ وَخَمْسَةٍ وَكَذَلِكَ
الْعَشْرَةُ وَمَا زَادَ عَلَى ذَلِكَ فَهُوَ مِنَ السَّجْعِ الطَّوِيلِ. فَمِمَّا جَاءَ
مِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى. مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى.
وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى. وَقَوْلُهُ تَعَالَى أَفْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَنْشَقَّ
النَّجْمُ وَإِنْ يَدُ الْآبَةِ يَعْزِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَعْتَبٌ. وَكَذَّبُوا
وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَعْتَبٌ. وَأَمَّا السَّجْعُ الطَّوِيلُ فَإِنَّ
دَرَجَاتِهِ تَفَاوُثٌ فِي الطُّولِ أَيْضًا فَمِنْهُ مَا يَقْرُبُ مِنَ السَّجْعِ
الْقَصِيرِ وَهُوَ أَنْ يَكُونَ ثَلَاثَةً مِنْ إِحْدَى عَشْرَةٍ إِلَى اثْنَيْ
عَشْرَةٍ لَفْظَةً وَأَكْثَرُهُ خَمْسَ عَشْرَةٍ لَفْظَةً كَقَوْلِهِ تَعَالَى وَلَكِنَّ
أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَكَفُورٌ
وَلَكِنَّ أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسْتَهٍ لَيَقُولُنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ
عَنِّي إِنَّهُ لَنَرُوحٌ مُحُورٌ. فَالْأَوَّلَى إِحْدَى عَشْرَةَ لَفْظَةً وَالثَّانِيَةُ

ثَلَاثَ عَشْرَةَ لَفْظَةً . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ
 مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ
 رَؤُوفٌ رَحِيمٌ . فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ . وَمِنَ السَّجْعِ الطَّوِيلِ
 مَا يَكُونُ ثَالِثَةً مِنَ الْعِشْرِينَ لَفْظَةً فَمَا حَوْلَهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى
 إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَيْتُمْ كَثِيرًا فَنُفِثْتُمْ
 وَلَتَنَارَظْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ .
 وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَقَلِيلَكُمُ فِي أَعْيُنِهِمْ
 لِيَقْضِيَ اللَّهُ أُمُورًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ . وَمِنَ
 السَّجْعِ الطَّوِيلِ أَيْضًا مَا يَزِيدُ عَلَى هَذِهِ الْعِدَّةِ الْمَذْكُورَةِ وَهُوَ
 غَيْرُ مُضَبُّوطٍ

(عن المثل السائر)

الفصل السادس

فِي كَيْفِيَّةِ عَمَلِ الشَّعْرِ وَوَجْهِ تَعْلِيهِ

إِعْلَمْ أَنَّ لِعَمَلِ الشَّعْرِ وَإِحْكَامِ صِنَاعِهِ شُرُوطًا أَوَّلَهَا
 الْحِفْظُ مِنْ جَنْسِهِ أَيْ مِنْ جَنْسِ شَعْرِ الْعَرَبِ حَتَّى تَنْشَأَ فِي
 النَّفْسِ مَلَكَةٌ يُسَمَّى عَلَى مَنَوَالِهَا وَتُخَيَّرُ الْحَفُوظُ مِنَ الْحَرِّ

النَّحْيِ الْكَثِيرِ الْأَسَالِبِ. وَهَذَا الْمَحْفُوظُ الْمُخْتَارُ أَقْلُ مَا
 يَكْفِي فِيهِ شِعْرُ شَاعِرٍ مِنَ الْقَوْلِ الْإِسْلَامِيِّينَ مِثْلُ ابْنِ أَبِي
 رَبِيعَةَ وَكُنَيْرٍ وَنَدِي الرُّمَّةِ وَجَرِيرٍ وَأَبِي نُوَّاسٍ وَحَبِيبِ
 وَالتَّجَرِّيِّ وَالرَّضِيِّ وَأَبِي فِرَاسٍ وَأَكْثَرُهُ شِعْرُ كِتَابِ
 الْأَغَانِي لِأَنَّهُ جَمَعَ شِعْرَ أَهْلِ الطَّبَقَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ كُلِّهِ وَالْمُخْتَارَ
 مِنْ شِعْرِ الْجَاهِلِيَّةِ. وَمَنْ كَانَ خَالِيًا مِنَ الْمَحْفُوظِ فَتَطْبَعُهُ قَاصِرٌ
 رَدِيٌّ وَلَا يُعْطِيهِ الرُّزْنُ وَالْحَلَاوَةُ إِلَّا كَثَرَةُ الْمَحْفُوظِ.
 فَمَنْ قَلَّ حِفْظُهُ أَوْ عُدِمَ لَمْ يَكُنْ لَهُ شِعْرٌ وَإِنَّمَا هُوَ نَظْمٌ
 سَاقِطٌ وَاجْتِنَابُ الشِّعْرِ أَوْلَى يَمْنٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مَحْفُوظٌ. ثُمَّ بَعْدَ
 الْإِمْلَاءِ مِنَ الْحِفْظِ وَتَحْدِيدِ الْقَرِيجَةِ لِلنَّسْجِ عَلَى الْمِنَوَالِ يُقْبَلُ
 عَلَى النَّظْمِ وَبِالْإِكْتِنَارِ مِنْهُ تَسْتَحْكِمُ مَلَكَتُهُ وَتَرْسُخُ وَرُبَّمَا
 يَقَالُ إِنَّ مِنْ شَرْطِهِ نِسْيَانُ ذَلِكَ الْمَحْفُوظِ لِتُنْفِخَ رُسُومُهُ
 الْخَرَفِيَّةُ الظَّاهِرَةُ إِذْ هِيَ صَادَةٌ عَنْ اسْتِعْمَالِهَا بَعِيْنَهَا فَإِذَا نَسِيَهَا
 وَقَدْ تَكَيَّفَتِ النَّفْسُ بِهَا انْتَقَشَ الْأُسْلُوبُ فِيهَا كَأَنَّهُ مَنَوَالٌ
 يَأْخُذُ فِي النَّسْجِ عَلَيْهِ بِأَمْثَالِهَا مِنْ كَلِمَاتٍ أُخْرَى ضَرُورَةٌ.
 ثُمَّ لَا بُدَّ لَهُ مِنَ الْخَلْوَةِ وَاسْتِحْجَادِ الْمَكَانِ الْمَنْظُورِ فِيهِ مِنَ
 الْمِيَاهِ وَالْأَزْهَارِ وَكَذَا الْمَسْبُوعِ لِاسْتِنَارَةِ الْقَرِيجَةِ بِاسْتِجْمَاعِهَا

وَتَشْيِطُهَا بِمَلَاذِ الشُّرُورِ ثُمَّ أَجَمَعَ هَذَا كُلَّهُ فَشَرَطَهُ أَنْ يَكُونَ
عَلَى جِهَامٍ وَنَشَاطٍ فَذَلِكَ أَجْمَعُ لَهُ وَأَنْشَطُ لِلْفَرِيحَةِ أَنْ تَأْتِيَ
بِمِثْلِ ذَلِكَ الْمِنْوَالِ الَّذِي فِي حِفْظِهِ قَالُوا وَخَيْرُ الْأَوْقَاتِ
لِذَلِكَ أَوْقَاتُ الْبَكْرِ عِنْدَ الْهَيُوبِ مِنَ النَّوْمِ وَفَرَاغِ الْمَعْدَةِ
وَنَشَاطِ الْفِكْرِ وَفِي هَؤُلَاءِ الْجِهَامُ وَرُبَّمَا قَالُوا إِنْ مِنْ
بَوَاقِيهِ الْعَشَقِ وَالْإِتِّشَاءِ ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ رَشِيْقٍ فِي كِتَابِ
الْعُمْدَةِ وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي أَنْفَرَتْ بِهِ هَذِهِ الصَّنَاعَةُ وَإِعْطَاءُ
حَتَمِهَا وَلَمْ يَكْتُبْ فِيهَا أَحَدٌ قَبْلَهُ وَلَا بَعْدَهُ مِثْلَهُ قَالُوا فَإِنْ
اسْتَضَعَبَ عَلَيْهِ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ فَلْيَتَرَكْهُ إِلَى وَقْتٍ آخَرَ وَلَا
يُكْرَهُ نَفْسَهُ عَلَيْهِ وَلَكِنْ بِنَاءُ الْبَيْتِ عَلَى الْخَافِيَةِ مِنْ أَوَّلِ
صَوْعِهِ وَنَسْجِهِ يَضَعُهَا وَيَبْنِي الْكَلَامَ عَلَيْهَا إِلَى آخِرِهِ لِأَنَّهُ
إِنْ غَفَلَ عَنْ بِنَاءِ الْبَيْتِ عَلَى الْخَافِيَةِ صَعَبَ عَلَيْهِ وَضَعُهَا فِي
مَحَلِّهَا فَرُبَّمَا تَحْيِي نَافِرَةٌ فَلِقَّةٌ وَإِذَا سَمِعَ الْخَاطِرُ بِالْبَيْتِ وَلَمْ
يُنَاسِبِ الَّذِي عِنْدَهُ فَلْيَتَرَكْهُ إِلَى مَوْضِعِهِ الْأَلْبَنِ بِه فَإِنْ كُلَّ
بَيْتٍ مُسْتَقِلٍّ بِنَفْسِهِ وَلَمْ يَتَبَقِ إِلَّا الْمُنَاسَبَةُ فَلْيَخْتِمْ فِيهَا كَمَا
بِشَاءَ وَلْيَرْاجِعْ شِعْرَهُ بَعْدَ الْخُلَاصِ مِنْهُ بِالنَّجْعِ وَالنَّقْدِ وَلَا
يَضُرَّ بِهِ عَلَى التَّرَكِّ إِذَا لَمْ يَبْلُغِ الْإِجَادَةَ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ

مَقْنُونٌ بِشِعْرِهِ إِذْ هُوَ بَنَاتُ فِكْرِهِ وَاخْتِرَاعُ فِرَاجِهِ وَلَا
يَسْتَعْمِلُ فِيهِ مِنَ الْكَلَامِ إِلَّا الْأَفْصَحَ مِنَ التَّرَاكِبِ وَالتَّخَالِصَ
مِنَ الضَّرُورَاتِ اللَّسَانِيَةِ فَلْيَهْجُرْهَا فَإِنَّهَا تَنْزِلُ بِالْكَلامِ عَنْ
طَبَقَةِ الْبَلَاغَةِ . وَقَدْ حَظَرَ أَئِمَّةُ اللِّسَانِ عَلَى الْمَوْلِدِ أَنْ تَكَابَ
الضَّرُورَةُ إِذْ هُوَ فِي سَعَةِ مِنْهَا بِالْعُدُولِ عَنْهَا إِلَى الطَّرِيقَةِ
الْمُهْلِي مِنَ الْمَلَكَةِ . وَيجْتَنِبُ أَيْضًا الْمُعَقَّدَ مِنَ التَّرَاكِبِ
جَهْدَهُ وَإِنَّمَا يَقْصِدُ مِنْهَا مَا كَانَتْ مَعَانِيهِ تُسَابِقُ الْفَافَظَةَ إِلَى
الْفَهْمِ . وَكَذَلِكَ كَثْرَةُ الْمَعَانِي فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ فَإِنَّ فِيهَا نَوْعَ
تَعْقِيدٍ عَلَى الْفَهْمِ . وَإِنَّمَا الْخُفَارُ مِنْ ذَلِكَ مَا كَانَتْ الْفَافَظَةُ
طَبَقًا عَلَى مَعَانِيهِ أَوْ أَوفَى فَإِنْ كَانَتْ الْمَعَانِي كَثِيرَةً كَانَتْ حَشْوًا
وَأَسْتَعْمِلُ الذِّهْنَ بِالْفُحُوصِ عَلَيْهَا فَمَنْعَ الذُّوقَ عَنِ اسْتِيفَاءِ
مُدْرِكِهِ مِنَ الْبَلَاغَةِ . وَلَا يَكُونُ الشِّعْرُ سَهْلًا إِلَّا إِذَا كَانَتْ
مَعَانِيهِ تُسَابِقُ الْفَافَظَةَ إِلَى الذِّهْنِ وَلِهَذَا كَانَ شَيْخُ خُفَارِ رَحِمَهُمُ
اللَّهُ يَعْيُوبُ بْنُ شَعْرٍ أَبِي بَكْرٍ بْنُ خَفَاجَةَ شَاعِرَ شَرْقِ الْأَنْدَلُسِ
لِكَثْرَةِ مَعَانِيهِ وَأَزْدِحَامِهَا فِي الْبَيْتِ الْوَاحِدِ كَمَا كَانُوا يَعْيُوبُونَ
شِعْرَ الْمُتَنَبِّئِ وَالْمَعْرِيِّ بِعَدَمِ النَّسْجِ عَلَى الْأَسَالِيبِ الْعَرَبِيَّةِ

كَمَا مَرَّ فَكَانَ شِعْرُهُمَا كَلَامًا مَنْظُومًا نَازِلًا عَنْ طَبَقَةِ الشِّعْرِ
 وَالتَّحَاكِيمِ بِذَلِكَ هُوَ الذَّوْقُ. وَلْيُجَنَّبِ الشَّاعِرُ أَيْضًا التَّخَوُّشَ
 مِنَ الْأَلْفَافِ وَالْمَقْصَرِ وَكَذَلِكَ السُّوْقِي الْمُبْتَدِلُ فَإِنَّهُ يَنْزِلُ
 بِالنَّكَلَامِ عَنْ طَبَقَةِ الْبَلَاغَةِ أَيْضًا فَيَصِيرُ مُبْتَدِلًا وَيَقْرُبُ مِنْ
 عَدَمِ الْإِفَادَةِ كَقَوْلِهِمُ النَّارُ حَارَّةٌ وَالسَّمَاءُ فَوْقَنَا وَبِمَقْدَارِ
 مَا يَقْرُبُ مِنْ طَبَقَةِ عَدَمِ الْإِفَادَةِ يَبْعُدُ عَنْ رُبَّةِ الْبَلَاغَةِ إِذْ
 هُمَا طَرَفَانِ. وَلِهَذَا كَانَ الشِّعْرُ فِي الرِّبَائِيَّاتِ وَالنَّبَوِيَّاتِ
 قَلِيلَ الْأَجَادَةِ فِي الْغَالِبِ وَلَا يَحْدِثُهُ إِلَّا الْفُحُولُ لِأَنَّ مَعَانِيَهَا
 مُتَدَاوِلَةٌ بَيْنَ التَّجْمُورِ فَتَصِيرُ مُبْتَدِلَةٌ لِذَلِكَ. وَإِذَا تَعَذَّرَ
 الشِّعْرُ بَعْدَ هَذَا كُلِّهِ فَلْيُرَاضْهُ وَبِعَاوِدْهُ فَإِنَّ الْقَرِيبَةَ مِثْلُ
 الضَّرْعِ يَدِيرُ بِالْأَمْتَرَاءِ وَيَجِفُّ بِالْأَتْرَافِ. وَبِالْجُمْلَةِ فَهَذِهِ
 الصَّنَاعَةُ وَتَعْلَمُهَا مُسْتَوْفَى فِي كِتَابِ الْعُمْدَةِ لِابْنِ رَشِيْقٍ
 وَقَدْ ذَكَرْنَا مِنْهَا مَا حَضَرَنَا بِحَسَبِ الْجُهْدِ وَمَنْ أَرَادَ أَسْتِيفَاءَ
 ذَلِكَ فَعَلَيْهِ بِذَلِكَ الْكِتَابِ فَفِيهِ الْبَغْيَةُ مِنْ ذَلِكَ وَهَذِهِ
 نَبْذَةٌ كَافِيَةٌ وَاللَّهُ الْمُعِينُ

(عن ابن خلدون)

قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ عَيَّادٍ الْجُبَيْرِيُّ كُنْتُ فِي حَدَاتِي أَرُومَ
 الشَّعْرِ وَكُنْتُ أَرْجُ فِيهِ إِلَى طَبْعِي وَلَمْ أَكُنْ أَقِفُ عَلَى
 تَسْهِيلِ مَا خَذِهِ وَوُجُوهُ أَقْضَايِهِ حَتَّى قَصَدْتُ أَبَا تَمَامٍ
 وَانْقَطَعْتُ فِيهِ إِلَيْهِ وَاتَّكَلْتُ فِي تَعْرِيفِهِ عَلَيْهِ فَكَانَ أَوَّلُ مَا
 قَالَ لِي يَا أَبَا عِبَادَةَ تَخَيَّرِ الْأَوْقَاتِ وَأَنْتَ قَلِيلُ الْهُدُومِ صِفَرٌ
 مِنَ الْغُمُومِ وَاعْلَمْ أَنَّ الْعَادَةَ جَرَتْ فِي الْأَوْقَاتِ أَنْ يَقْصِدَ
 الْإِنْسَانُ لِنِائِلِ شَيْءٍ أَوْ حِفْظِهِ فِي وَقْتِ السَّحَرِ وَذَلِكَ أَنَّ
 النَّفْسَ تَكُونُ قَدْ أَخَذَتْ حَظَّهَا مِنَ الرَّاحَةِ وَقَسَطَهَا مِنَ النَّوْمِ
 وَإِنْ أَرَدْتَ التَّشْيِيبَ فَأَجْعَلِ اللَّفْظَ رَفِيقًا وَالْهَمْعَى رَشِيقًا
 وَأَكْثِرْ فِيهِ مِنْ بَيَانِ الصَّبَابَةِ وَتَوَجُّعِ الْكَأَبَةِ وَفَلَقِ الْأَشْوَاقِ
 وَلَوْعَةِ الْفِرَاقِ فَإِذَا أَخَذْتَ فِي مَدِجِ سَيِّدِ ذِي أَبَادٍ فَأَشْهَرِ
 مَنَافِيهِ وَأَظْهَرِ مَنَاسِيهِ وَأَبْنِ مَعَالِمَهُ وَشَرَفِ مَقَامِهِ وَتَضِدِ
 الْمَعَالِي وَأَحْذِرِ الْعُجُوهَ مِنْهَا وَإِيَّاكَ أَنْ تَشِبَّ شِعْرَكَ
 بِالْأَلْفَاظِ الرَّدِيئَةِ وَكُنْ كَأَنَّكَ خَبَاطٌ يَقْطَعُ الثِّيَابَ عَلَى
 مَقَادِيرِ الْأَجْسَادِ وَإِذَا عَارَضَكَ الضَّجْرُ فَارْخِ نَفْسَكَ وَلَا
 تَعْمَلْ شِعْرَكَ إِلَّا وَأَنْتَ فَارِغُ الْقَلْبِ وَأَجْعَلْ شَهْوَتَكَ لِقَوْلِ

الشَّعْرَ الذَّرِيْعَةَ إِلَى حُسْنِ نَظَرِهِ فَإِنَّ الشَّهْوَةَ نِعَمَ الْمَعِينِ
وَجُمْلَةُ الْحَالِ أَنْ تَغْتَبِرَ شِعْرَكَ بِمَا سَلَفَ مِنْ شِعْرِ الْمَاضِينَ
فَمَا اسْتَحْسَنَ الْعُلَمَاءُ فَأَقْصِدْهُ وَمَا تَرَكَوْهُ فَأَجْنِبْهُ تَرْتُدُّ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ. قَالَ فَأَعْمَلْتُ نَفْسِي فِي مَا قَالَ فَوَقَفْتُ عَلَى
السِّيَاسَةِ
(من كتاب زهر الآداب)

الفصل السابع

في النَّصَاحَةِ وَالْبَلَاغَةِ وَفِيهِ فِئْتَانِ

الْقِسْمُ الْأَوَّلُ

في النَّصَاحَةِ

إِعْلَمْ أَنَّ هَذَا بَابٌ مُتَعَذِّرٌ عَلَى الْوَالِحِ وَمَسْلُوكٌ مُتَوَعِّرٌ عَلَى
النَّاهِجِ وَلَمْ يَزَلِ الْعُلَمَاءُ مِنْ قَدِيمِ الْوَقْتِ وَحَدِيثِهِ يُكْثِرُونَ
الْقَوْلَ فِيهِ وَالْبَحْثَ عَنْهُ وَلَمْ أَجِدْ مِنْ ذَلِكَ مَا يُعُولُ عَلَيْهِ إِلَّا
الْقَلِيلَ. وَغَايَةُ مَا يُقَالُ فِي هَذَا الْبَابِ أَنَّ النَّصَاحَةَ هِيَ
الظُّهُورُ وَالْيَبَانُ فِي أَصْلِ التَّوَضُّعِ اللَّغْوِيِّ يُقَالُ أَفْصَحَ

الصَّحِيحُ إِذَا ظَهَرَ ثُمَّ إِنَّهُمْ يَقِفُونَ عِنْدَ ذَلِكَ وَلَا يَكْشِفُونَ عَنِ
 السِّرِّ فِيهِ. وَبِهَذَا الْقَوْلِ لَأَتَّبِعُ حَقِيقَةَ النَّصَاحَةِ لِأَنَّهُ
 يُعْتَرَضُ عَلَيْهِ بِوُجُوهِ مِنَ الْأَعْتِرَاضَاتِ أَحَدُهَا أَنَّهُ إِذَا لَمْ
 يَكُنِ اللَّفْظُ ظَاهِرًا بَيِّنًا لَمْ يَكُنْ فَصِيحًا ثُمَّ إِذَا ظَهَرَ وَتَبَيَّنَ
 صَارَ فَصِيحًا. الرَّجْعُ الثَّانِي أَنَّهُ إِذَا كَانَ اللَّفْظُ النَّصِيحُ هُوَ
 الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ فَقَدْ صَارَ ذَلِكَ بِالنِّسْبِ وَالْإِضَافَاتِ إِلَى
 الْأَشْخَاصِ فَإِنَّ اللَّفْظَ قَدْ يَكُونُ ظَاهِرًا زَائِدًا وَلَا يَكُونُ ظَاهِرًا
 لِعَبَرٍ وَهُوَ إِذَنْ فَصِيحٌ عِنْدَ هَذَا وَغَيْرُ فَصِيحٍ عِنْدَ هَذَا. وَلَيْسَ
 كَذَلِكَ بَلِ النَّصِيحُ هُوَ فَصِيحٌ عِنْدَ الْجَمِيعِ لَا خِلَافَ فِيهِ
 يَحَالُ مِنَ الْأَحْوَالِ لِأَنَّهُ إِذَا تَحَقَّقَ حَدُّ النَّصَاحَةِ وَعُرِفَ
 مَا هِيَ لَمْ يَتَّقَ فِي اللَّفْظِ الَّذِي يَخْتَصُّ بِهِ خِلَافٌ. الرَّجْعُ
 الثَّلَاثُ أَنَّهُ إِذَا جِيَ بِلَفْظٍ قَبِيحٍ يَتَّبِعُهُ السَّمْعُ وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ
 ظَاهِرٌ بَيِّنٌ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ فَصِيحًا وَلَيْسَ كَذَلِكَ لِأَنَّ النَّصَاحَةَ
 وَصَفُ حُسْنِ اللَّفْظِ لَا وَصَفُ قُبْحٍ. فَهَذِهِ الْأَعْتِرَاضَاتُ الثَّلَاثَةُ
 وَارِدَةٌ عَلَى قَوْلِ الثَّانِي إِنْ اللَّفْظَ النَّصِيحُ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ
 مِنْ غَيْرِ تَنْصِيلٍ. وَلَكَمَا وَقَفْتُ عَلَى أَقْوَالِ النَّاسِ فِي هَذَا

أَلْبَابِ مَلَكَتْنِي الْحَيَرَةُ فِيهَا وَلَمْ يَثْبُتْ عِنْدِي مِنْهَا مَا أُعُولُ
 عَلَيْهِ وَلَكِنَّهُ مُلَابَسَتِي هَذَا الْفَنَّ وَمُعَارَكَتِي إِيَّاهُ أَنْكَشَفَ لِي
 السِّرَّ فِيهِ وَمَا وَضَحَهُ فِي كِتَابِي هَذَا وَأَحَقُّ الْقَوْلِ فِيهِ قَائِلُ
 إِنَّ الْكَلَامَ الْقَصِيحَ هُوَ الظَّاهِرُ الْبَيِّنُ وَأَعْنِي بِالظَّاهِرِ الْبَيِّنِ
 أَنْ تَكُونَ الْفَاطَةُ مَهْمُومَةً لَا يَجُنَاجُ فِي فِيهَا إِلَى اسْتِخْرَاجِ
 مِنْ كِتَابِ لُغَةٍ. وَإِنَّمَا كَانَتْ بِهَذِهِ الصِّفَةِ لِأَنَّهَا تَكُونُ مَالُوفَةً
 الْإِسْتِعْمَالِ بَيْنَ أَرْبَابِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ دَائِرَةً فِي كَلَامِهِمْ
 وَإِنَّمَا كَانَتْ مَالُوفَةً الْإِسْتِعْمَالِ دَائِرَةً فِي الْكَلَامِ دُونَ
 غَيْرِهَا مِنَ الْأَلْفَافِ لِمَكَانِ حُسْنِهَا. وَذَلِكَ أَنَّ أَرْبَابَ النَّظْمِ
 وَالنَّثْرِ غَرِبُوا بِاللُّغَةِ بِاعْتِبَارِ الْفَاطَةِ وَسَبَرُوا وَقَسَمُوا
 فَأَخْتَارُوا الْحَسَنَ مِنَ الْأَلْفَافِ فَاسْتَعْمَلُوهُ وَنَفَوْا الْقَبِيحَ مِنْهَا
 فَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ فَحَسُنَ الْإِسْتِعْمَالُ سَبَبُ اسْتِعْمَالِهَا دُونَ غَيْرِهَا
 وَاسْتِعْمَالُهَا سَبَبُ ظُهورِهَا وَبَيَانِهَا. فَالْقَصِيحُ إِذْنٌ مِنَ الْأَلْفَافِ
 هُوَ الْحَسَنُ. فَإِنْ قِيلَ مِنْ أَيْ وَجْهِ عِلْمِ أَرْبَابِ النَّظْمِ وَالنَّثْرِ
 الْحَسَنَ مِنَ الْأَلْفَافِ حَتَّى اسْتَعْمَلُوهُ وَعَلِمُوا الْقَبِيحَ مِنْهَا حَتَّى
 نَفَوْهُ وَلَمْ يَسْتَعْمِلُوهُ. قُلْتُ فِي الْجَوَابِ إِنَّ هَذَا مِنَ الْأُمُورِ

الْحَسُوسَةِ الَّتِي شَاهَدَهَا مِنْ نَفْسِهَا لِأَنَّ الْأَلْفَاظَ دَاخِلَةً فِي
 حَيْزِ الْأَصْوَاتِ قَالَ لَئِذَا يَسْتَلِذُّ السَّمْعُ مِنْهَا وَيَبِيلُ إِلَيْهِ هُوَ
 الْحَسَنُ وَالَّذِي يَكْرَهُهُ وَيَنْفِرُ عَنْهُ هُوَ الْقَبِيحُ. أَلَا تَرَى أَنَّ
 السَّمْعَ يَسْتَلِذُّ صَوْتَ اللَّبْلِ مِنَ الطَّيْرِ وَصَوْتَ الشَّجَرِ
 وَيَبِيلُ إِلَيْهِمَا وَيَكْرَهُهُ صَوْتَ الْغُرَابِ وَيَنْفِرُ عَنْهُ وَكَذَلِكَ
 يَكْرَهُ نَهْيُكَ الْحِمَارَ وَلَا يَجِدُ ذَلِكَ فِي صَهْلِ الْفَرَسِ. وَالْأَلْفَاظُ
 جَارِيَةٌ هَذَا الْعَجْرَى فَإِنَّهُ لَا خِلَافَ فِي أَنَّ لَفْظَةَ الْمُرْتَنَةِ
 وَالْدَيْمَةِ حَسَنَةٌ يَسْتَلِذُّهَا السَّمْعُ وَأَنَّ لَفْظَةَ الْبُعَايِ قَبِيحَةٌ
 يَكْرَهُهَا السَّمْعُ. وَهَذِهِ اللَّفْظَاتُ الثَّلَاثُ مِنْ صِفَةِ الْمَطَرِ وَهِيَ
 تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى وَاحِدٍ وَمَعَ هَذَا فَإِنَّكَ تَرَى لَفْظَتِي الْمُرْتَنَةِ
 وَالْدَيْمَةِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُمَا مَا لَوْ فَنِي الْأَسْتَعْمَالِ وَتَرَى لَفْظَ
 الْبُعَايِ وَمَا جَرَى مَجْرَاهُ مَتْرُوكًا لَا يُسْتَعْمَلُ وَإِنْ أُسْتَعْمِلَ
 فَإِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ جَاهِلٌ بِحَقِيقَةِ الْفَصَاحَةِ أَوْ مَنْ ذَوُقَهُ غَيْرُ
 ذَوْقِ سَلِيمٍ وَإِنْ كَانَ عَرَبِيًّا مُحَضًّا مِنَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأَقْدَمِينَ
 فَإِنَّ حَقِيقَةَ الشَّيْءِ إِذَا عَلِمْتَ وَجَبَ الْوُقُوفُ عِنْدَهَا وَلَمْ
 يُعْرَجْ عَلَى مَا خَرَجَ عَنْهَا

(عن المثل السائر)

الْقِسْمُ الثَّانِي

فِي الْبَلَاغَةِ

قَالَ أَبُو الْحَسَنِ عَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ حَبِيبٍ الْبَصْرِيُّ
 أَلَمْ أَوْرِدْهُ لَيْسَ بِصَحِّهِ اخْتِيارُ الْكَلَامِ إِلَّا لِمَنْ أَخَذَ نَفْسَهُ
 بِالْبَلَاغَةِ وَكَلَّفَهَا لُزُومَ الْفَصَاحَةِ حَتَّى يَصِيرَ مُتَدَرِّبًا بِهَا
 مُعْتَادًا لَهَا فَلَا يَأْتِي بِكَلَامٍ مُسْتَكْرَهٍ اللَّفْظِ وَلَا مُخْتَلٍ الْمَعْنَى
 لِأَنَّ الْبَلَاغَةَ لَبَسَتْ عَلَى مَعَانٍ مُفْرَدَةٍ وَلَا لِالْفَظِّ غَايَةً
 وَإِنَّمَا الْبَلَاغَةُ تَكُونُ بِالْمَعْنَى الصَّحِيحَةِ مُسْتَوْدَعَةً فِي الْفَظِّ
 فَصِيحَةٍ فَتَكُونُ فَصَاحَةً أَلْفَظًا مَعَ صِحَّةِ الْمَعْنَى هِيَ الْبَلَاغَةُ
 وَقَدْ قِيلَ لِلْبُيُونَانِيِّ مَا الْبَلَاغَةُ قَالَ اخْتِيارُ الْكَلَامِ وَتَضَعِجُ
 الْأَقْسَامِ وَقِيلَ ذَلِكَ لِلرُّومِيِّ فَقَالَ حُسْنُ الْأَخْصَارِ عِنْدَ
 الْبَدِيهِ وَالْغَزَارِ قِيَوْمُ الْإِطَالَةِ وَقِيلَ لِلْعَرَبِيِّ فَقَالَ مَا حَسَنَ
 إِنْجَازُهُ وَقُلْ مَجَازُهُ وَقِيلَ الْبَدَوِيُّ فَقَالَ مَا دُونَ السَّحْرِ
 وَفَوْقَ الشَّعْرِ يَفُتُّ الْحَرْدَلُ وَيَحْطُ الْجَنْدَلُ وَقِيلَ لِلْحَضْرِيِّ
 فَقَالَ مَا كَثُرَ إِعْجَازُهُ وَتَنَاسَبَتْ صُدُورُهُ وَأَعْجَازُهُ وَسَأَلَ
 أَتَحْبِجُ ابْنَ الْفَرِيَّةِ عَنِ الْإِيجَارِ قَالَ أَنْ تَقُولَ فَلَا تُبْطِئْ

وَأَنْ تُصِيبَ فَلَا تَخْطِ. وَقَالَ الشَّاعِرُ

خَيْرُ الْكَلَامِ قَلِيلٌ عَلَى كَثِيرٍ دَلِيلٌ

وَالْعِيُّ مَعْنَى قَصِيرٌ بِجَوِيهِ لَفْظٌ طَوِيلٌ

وَفِي الْكَلَامِ فُصُولٌ وَفِيهِ قَالٌ وَقِيلٌ

وَأَمَّا صِحَّةُ الْمَعَانِي فَتَكُونُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ أَحَدُهَا إِيضَاحُ

تَفْسِيرِهَا حَتَّى لَا تَكُونَ مُشْكِلَةً وَلَا مُجْمَلَةً. وَالثَّانِي أَسْتِيفَاءُ

تَفْسِيرِهَا حَتَّى لَا يَدْخُلَ فِيهَا مَا لَيْسَ مِنْهَا وَلَا يَخْرُجَ عَنْهَا مَا

هُوَ فِيهَا. وَالثَّلَاثُ صِحَّةُ مُقَابَلَاتِهَا وَالْمُقَابَلَةُ تَكُونُ مِنْ وَجْهَيْنِ

أَحَدُهُمَا مُقَابَلَةُ الْمَعْنَى بِمَا يُوَافِقُهُ وَحَقِيقَةُ هَذِهِ الْمُقَابَرَةُ لِأَنَّ

الْمَعْنَى تُصِيرُ مُتَشَاكِلَةً. وَالثَّانِي مُقَابَلَتُهُ بِمَا يُضَادُّهُ وَهُوَ حَقِيقَةُ

الْمُقَابَلَةِ وَلَيْسَ لِلْمُقَابَلَةِ إِلَّا أَحَدُ هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ الْمُوَافَقَةُ

فِي الْإِتِّلَافِ وَالْمُضَادَّةِ مَعَ الْإِخْلَافِ. فَأَمَّا فَصَاحَةُ

الْأَلْفَافِ فَتَكُونُ بِثَلَاثَةِ أَوْجُهٍ أَحَدُهَا مُجَانِبَةُ الْغَرِيبِ

الْوَحْشِيِّ حَتَّى لَا يَجِبَ سَمْعٌ وَلَا يَنْفِرَ مِنْهُ طَبْعٌ. وَالثَّانِي تَنَكُّبُ

الْلَفْظِ الْمُبْتَدَلِ وَالْعُدُولُ عَنِ الْكَلَامِ الْمُسْتَرْدَلِ حَتَّى لَا

يَسْتَسْطِطَهُ خَاصِيٌّ وَلَا يَنْبُو عَنْهُ فَهْمٌ عَامِيٌّ كَمَا قَالَ الْجَاهِظُ

فِي كِتَابِ الْبَيَانِ. أَمَّا أَنَا فَلَمْ أَرِ قَوْمًا أَشْبَلَ طَرِيقَةً فِي
 الْبَلَاغَةِ مِنَ الْكُتَّابِ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ قَدِ اتَّهَمُوا مِنْ الْأَلْفَاظِ
 مَا لَمْ يَكُنْ مُتَوَعِّرًا وَحْشِيًّا وَلَا سَاقِطًا عَامِيًّا. وَالثَّالِثُ أَنْ
 يَكُونَ بَيْنَ الْأَلْفَاظِ وَمَعَانِيهَا مَنَاسِبَةٌ وَمُطَابَقَةٌ. أَمَّا الْمُطَابَقَةُ
 فَهِيَ أَنْ تَكُونَ الْأَلْفَاظُ كَالْقَوَالِبِ لِمَعَانِيهَا فَلَا تَزِيدُ عَلَيْهَا
 وَلَا تَقْصُصُ عَنْهَا. وَقَالَ بَشْرُ بْنُ الْمَعْتَمِرِ فِي وَصِيَّتِهِ فِي
 الْبَلَاغَةِ إِذَا لَمْ تَجِدِ اللَّفْظَةَ وَافِعَةً مَوْقِعَهَا وَلَا صَائِرَةً إِلَى
 مُسْتَقَرِّهَا وَلَا حَالَةً فِي مَرْكَزِهَا بَلْ وَجَدْتَهَا قَلْبَةً فِي مَكَانِهَا
 نَافِرَةً عَنْ مَوْضِعِهَا فَلَا تُكْرِهْهَا عَلَى الْفَرَارِ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا
 فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَتَعَاطَ قَرْضَ الشَّعْرِ الْمَوْزُونِ وَلَمْ تُتَكَلَّفِ
 أَخْبَارَ الْمَشُورِ لَمْ يَعْكِ بِتَرْكِ ذَلِكَ أَحَدٌ وَإِذَا أَنْتَ
 تَكَلَّفْتَهُمَا وَلَمْ تَكُنْ حَازِقًا فِيهِمَا عَابَكَ مِنْ أَنْتَ أَقْلٌ عَيْبًا
 مِنْهُ وَأَزْرَى عَلَيْكَ مَنْ أَنْتَ فَوْقَهُ. وَأَمَّا الْمُنَاسِبَةُ فَهِيَ أَنْ
 يَكُونَ الْمَعْنَى يَلِيقُ بِبَعْضِ الْأَلْفَاظِ إِمَّا لِعُرْفِ مُسْتَعْمِلِ أَوْ
 لِاتِّفَاقِ مُسْتَحْسِنٍ حَتَّى إِذَا ذَكَرْتَ نِلَكَ الْمَعْنَى بِغَيْرِ نِلِكَ
 الْأَلْفَاظِ كَانَتْ نَافِرَةً عَنْهَا وَإِنْ كَانَتْ أَفْصَحَ وَأَوْضَحَ لِاعْتِبَادِ

مَا سِوَاهَا. وَقَالَ بَعْضُ الْبُلَغَاءِ لَا يَكُونُ الْبَلِيغُ بَلِيغًا حَتَّى
يَكُونَ مَعْنَى كَلَامِهِ أَسْبَقَ إِلَى فَهْمِكَ مِنْ لَفْظِهِ إِلَى سَمْعِكَ
(من كتاب ادب الدنيا والدين)

الفصل الثامن

في المبادئ والآليات

إِعْلَمَ أَنَّ حَقِيقَةَ هَذَا النَّوعِ أَنْ يُجْعَلَ مَطْلَعُ الْكَلَامِ مِنَ
الشَّعْرِ أَوْ الرِّسَائِلِ دَلَالًا عَلَى الْمَعْنَى الْمَقْصُودِ مِنْ ذَلِكَ
الْكَلَامِ إِنْ كَانَ فَتَحًا فَتَحًا وَإِنْ كَانَ هَنَاءً فَهَنَاءً أَوْ كَانَ
عَزَاءً فَعَزَاءً وَكَذَلِكَ يَجْرِي الْحُكْمُ فِي غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي
وَقَائِدَتُهُ أَنْ يُعْرَفَ مِنْ مَبْدَأِ الْكَلَامِ مَا الْمُرَادُ بِهِ وَحُكْمُ هَذَا
النَّوعِ وَالْقَاعِدَةُ الَّتِي يُبْنَى عَلَيْهَا أُسَاسُهُ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَى الشَّاعِرِ
إِذَا نَظَّمَ قَصِيدَةً أَنْ يَنْظُرَ فَإِنْ كَانَتْ مَدِيحًا صِرَفًا لَا يَخْتَصُّ
بِمَادَّةٍ مِنَ التَّحَادِثِ فَهُوَ مُخَيَّرٌ بَيْنَ أَنْ يَفْتَحَهَا بِغَزَلٍ أَوْ لَا
يَفْتَحَهَا بِغَزَلٍ بَلْ يَرْجِعُ إِلَى الْمَدِيحِ أَوْ يَجْعَلُهَا مِنْ أَوَّلِهَا كَقَوْلِ الْقَائِلِ

إِنْ حَارَتْ أَلْبَابُ كَيْفَ تَقُولُ
 فِي ذَا الْمَقَامِ فَعُذْرُهَا مَقْبُولُ
 سَامِحْ بِفَضْلِكَ مَا دَحِيكَ فَمَا لَهُمْ
 أَبَدًا إِلَى مَا تَسْتَحِقُّ سَبِيلُ
 إِنْ كَانَ لَا يُرْضِيكَ إِلَّا مُحْسِنُ
 فَالْمُحْسِنُونَ إِذَنْ لَدَيْكَ قَلِيلُ

فَإِنَّ هَذَا الشَّاعِرَ ارْتَجَلَ الْمَدِيحَ مِنْ أَوَّلِ الْقَصِيدَةِ فَأَتَى بِهِ
 كَمَا تَرَى حَسَنًا لَا تَمَازُ وَأَمَّا إِذَا كَانَ الْقَصِيدُ فِي حَادِثَةٍ مِنْ
 الْحَوَادِثِ كَقَتْلِ مُفْلٍ أَوْ هَزِيمَةِ جَيْشٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ فَإِنَّهُ لَا
 يَنْبَغِي أَنْ يُدْأَى فِيهِ بِغَزَلٍ وَإِنْ فُعِلَ ذَلِكَ دَلَّ عَلَى ضَعْفِ
 قَرَبَةِ الشَّاعِرِ وَفُصُورِهِ عَنِ الْغَايَةِ أَوْ عَلَى جَهْلِهِ بِوَضْعِ
 الْكَلَامِ فِي مَوَاضِعِهِ فَإِنْ قِيلَ إِنَّكَ قُلْتَ تَحِبُّ عَلَى الشَّاعِرِ
 كَذَا وَكَذَا فَلِمَ ذَلِكَ قُلْتَ فِي الْجَوَابِ إِنَّ الْغَزَلَ رِقَّةٌ
 مُحَضَّةٌ وَالْأَلْفَاظُ الَّتِي تُنْظَمُ فِي الْحَوَادِثِ الْمُشَارِ إِلَيْهَا
 مِنْ فِعْلِ الْكَلَامِ وَمَتَبِنِ الْقَوْلِ وَهِيَ ضِدُّ الْغَزَلِ وَأَيْضًا
 فَإِنَّ الْأَسْمَاعَ تَكُونُ مُتَطَلِّعَةً إِلَى مَا يُقَالُ فِي نِلِكَ الْحَوَادِثِ

وَالْإِبْدَاءُ بِالتَّخَوُّصِ فِي ذِكْرِهَا لَا الْإِبْدَاءُ بِالْعَزْلِ إِذَا
 أَلْهِمُّ وَاجِبُ الْقَدِيمِ

وَمِنْ أَدَبِ هَذَا النَّوعِ أَنْ لَا يَذْكُرَ الشَّاعِرُ فِي افْتِتَاحِ
 قَصِيدَةٍ بِالْمَدِيحِ مَا يَطْبُرُ مِنْهُ. وَهَذَا يَرْجِعُ إِلَى أَدَبِ النَّفْسِ
 لَا إِلَى أَدَبِ الدَّرْسِ فَيَنْبَغِي أَنْ يُجْتَنَزَ مِنْهُ فِي مَوَاضِعِهِ
 كَوْصَفِ الدَّيَّارِ بِالدُّنُورِ وَالْمَنَازِلِ بِالْعَفَاءِ وَغَيْرِ ذَلِكَ
 مِنْ تَشْتِثِ الْأَلْفِ وَذَمِّ الزَّمَانِ وَلَا سِيَّمَا إِذَا كَانَ فِي
 النِّهَائِيِّ فَإِنَّهُ يَكُونُ أَشَدَّ قُبْحًا وَإِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ ذَلِكَ فِي
 الْخُطُوبِ النَّازِلَةِ وَالنَّوَائِبِ الْحَادِثَةِ وَمَنْ كَانَ الْكَلَامُ فِي
 الْمَدِيحِ مُفْتَتِحًا بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ تَطْبُرُ مِنْهُ سَامِعُهُ

وَإِنَّمَا خُصَّتِ الْإِبْدَاءَاتُ بِالْإِخْبَارِ لِأَنَّهَا أَوَّلُ مَا
 يَطْرُقُ السَّمْعَ مِنَ الْكَلَامِ فَإِذَا كَانَ الْإِبْدَاءُ لَا تَقًا بِالْمَعْنَى
 الْوَارِدِ بَعْدَهُ تَوَقَّرَتِ الدَّوَائِبُ عَلَى أَسْمَاعِهِ. وَمِنْ قُبْحِ
 الْإِبْدَاءَاتِ قَوْلُ ذِي الرُّمَّةِ مَا بَالُ عَيْنِكَ مِنْهَا أَلْمَاءُ
 يَنْسَكِبُ لِأَنَّ مُقَابَلَةَ الْمَدْحِ بِهَذَا الْخِطَابِ لَا خِفَاءَ بِقُبْحِهِ
 وَكَرَاهِيَتِهِ. وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَبِي تَمَّامٍ تَجَرَّعَ أَسَى قَدْ أَفْرَأَ الْأَجْرَعُ

الْفَرْدُ . وَإِنَّمَا أَلْتَمَسْتُ فِي مِثْلِ هَذَا الْمَكْرُوهِ تَبَعَهُ
 لِلتَّعْنِيسِ بَيْنَ تَجَرُّعٍ وَالْأَجْرَعِ . وَكَذَلِكَ اسْتَفْجَحَ قَوْلُ
 الْجُبَيْرِيِّ فُرَادَ مَلَأَهُ الْحُزْنَ حَتَّى تَصَدَّعَا . فَإِنَّ أَبْدَاءَ
 الْمَدِجِ بِمِثْلِ هَذَا طَبِيعَةٌ يَنْبَغِي عَنْهَا السَّمْعُ وَهُوَ أَجْدَرُ بِأَنْ
 يَكُونَ أَبْدَاءَ مَرْثِيَةٍ لَا مَدِجٍ . وَمَا أَعْلَمُ كَيْفَ بَخَنَى هَذَا عَلَى
 مِثْلِ الْجُبَيْرِيِّ وَهُوَ مِنْ مُفْلِي الشُّعْرَاءِ . وَحُكِيَ أَنَّهُ لَمَّا فَرَّغَ
 الْمُعْتَصِمُ مِنْ بِنَاءِ قَصْرِهِ بِالْمِيدَانِ جَلَسَ فِيهِ وَجَمَعَ
 أَهْلَهُ وَأَصْحَابَهُ وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا فِي زِيَّتِهِمْ فَمَا رَأَى
 النَّاسُ أَحْسَنَ مِنْ ذَلِكَ الْيَوْمِ فَاسْتَأْذَنَ إِسْحَقُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ
 الْمُوصِلِيُّ فِي الْإِنْشَادِ فَأَذِنَ لَهُ فَانْشَدَ شِعْرًا حَسَنًا أَجَادَ فِيهِ
 إِلَّا أَنَّهُ اسْتَفْجَحَ بِذِكْرِ الدِّيَارِ وَعَنَاءِهَا فَقَالَ

يَا دَارُ غَيْرِكَ الْبَلَى وَحَاكِ

يَا لَيْتَ شِعْرِي مَا الَّذِي أَبْلَاكَ

فَطَبَّرَ الْمُعْتَصِمُ بِذَلِكَ وَتَغَامَزَ النَّاسُ عَلَى إِسْحَاقَ كَيْفَ
 ذَهَبَ عَلَيْهِ مِثْلُ ذَلِكَ مَعَ مَعْرِفَتِهِ وَعَلَيْهِ وَطُولِ خِدْمَتِهِ
 لِلْمُلُوكِ . فَإِذَا أَرَادَ الشَّاعِرُ أَنْ يَذْكُرَ دَارًا فِي مَدِيحِهِ فَلْيَذْكُرْ

كَمَا ذَكَرَ أَشْجَعُ السُّلَيْمِيُّ حَيْثُ قَالَ
 قَصْرٌ عَلَيْهِ تَحِيَّةٌ وَسَلَامٌ خَلَعَتْ عَلَيْهِ جَمَاهَا الْآيَامُ
 وَمَا أَجْدَرَ هَذَا الْبَيْتَ بِمُشْتَعِ شِعْرِ اسْتَحَقَّ بِنِ إِبراهيمَ الَّذِي
 أَنشدهُ لِلْمُعْتَصِمِ فَإِنَّهُ لَوْ ذَكَرَ هَذَا أَوْ جَرَى مَجْرَاهُ لَكَانَ
 حَسَنًا لَا تَبَأًا. وَسُئِلَ بَعْضُهُمْ عَنْ أَحَدِ الشُّعْرَاءِ فَقَالَ مَنْ
 أَجَادَ الْإِبْدَاءَ وَالْمَطْلِعَ. أَلَا تَرَى إِلَى قَصِيدَةِ أَبِي نُوَّاسٍ
 الَّتِي أَوَّلُهَا

يَا دَارُ مَا فَعَلْتَ بِكَ الْآيَامُ لَمْ يَبْقَ فِيكَ بَشَاشَةٌ تُسَامُ
 فَإِنَّهَا مِنْ أَشْرَفِ شِعْرِهِ وَأَعْلَاهُ مَنْزِلَةٌ وَهِيَ مَعَ ذَلِكَ مُسْتَكْرَهَةٌ
 الْإِبْدَاءُ لِأَنَّهَا فِي مَدْحِ الْخَلِيفَةِ الْأَمِينِ وَافْتِتَاجِ الْمَدِيحِ
 بِذِكْرِ الدِّيَارِ وَثُورِهَا مِمَّا يُطَيِّرُ مِنْهُ وَلَا سِيَّمَا فِي مُشَافَهَةِ
 الْخُلَفَاءِ وَالْمُلُوكِ وَلِهَذَا يُجَنَّارُ فِي ذِكْرِ الْأَمَاكِينِ وَالْمَنَازِلِ
 مَا رَقَّ لَفْظُهُ وَحَسَنَ النُّطْقُ بِهِ كَالْعَذِيبِ وَالْعُوبَرِ وَرَأْمَةِ
 وَبَارِقِ وَالْعَنِيقِ وَأَشْبَاهِ ذَلِكَ

وَأَعْلَمُ أَنَّه لَيْسَ مِنْ شَرْطِ الْإِبْدَاءِ أَنْ لَا يَكُونَ مِمَّا
 يُطَيِّرُ مِنْهُ فَقَطُّ فَإِنَّ مِنَ الْإِبْدَاءِ مَا يُسْتَفْعَى وَإِنْ لَمْ
 يُطَيِّرُ مِنْهُ كَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ فَذَكَ أَتَيْتُ أَرْبَيْتَ فِي الْغُلُوءِ

وَقَوْلِهِ يَبِيَّ جَعَلَنِي لَسْتُ طَوَّعَ مُؤَنَّبِي وَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ
 الْمُتَنَبِّي أَقْلُ فَعَالِي بَلَهْ أَكْثَرُهُ مَجْدُ وَأَعْجَبُ أَنَّ هَذِينَ
 الشَّاعِرَيْنِ الْهَفْلَقَيْنِ يَتَدَثَّانِ بِمِثْلِ ذَلِكَ وَلَهُمَا مِنَ الْإِبْدَاءَاتِ
 الْحَسَنَةِ مَا أَذْكُرُهُ. أَمَّا أَبُو تَهَامٍ فَإِنَّهُ أَفْتَحَ قَصِيدَتَهُ الَّتِي مَدَحَ
 بِهَا الْمُعْتَصِمَ عِنْدَ فَتْحِهِ مَدِينَةَ عَمُورِيَّةَ فَقَالَ

السِّيفُ أَصْدَقُ إِنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ

فِي حَدِّهِ اتِّحَدُّ بَيْنَ اتِّحَدٍ وَاللَّعِبِ

يَبِيضُ الصَّفَاحُ لِأَسْوَدِ الصَّخَائِفِ فِي

مُتَوَنِّهِنَّ جِلَاءِ الشُّكِّ وَالرَّيْبِ

فَلَمَّا فُتِحَتْ بَنَى أَبُو تَهَامٍ مَطْلَعَ قَصِيدَتِهِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى

وَجَعَلَ السِّيفَ أَصْدَقَ مِنَ الْكُتُبِ الَّتِي خَبَّرَتْ بِامْتِنَاعِ

الْبَلَدِ وَأَعْنِصَامِهَا. وَقَوْلُهُ فِي أَوَّلِ مَرْثِيَةٍ

أَصَمَّ بِكَ النَّاعِي وَإِنْ كَانَ أَسْمَعَا

وَأَصَحَّ مَعْنَى الْحُجُودِ بَعْدَكَ بَلَقَعَا

وَأَمَّا أَبُو الطَّيِّبِ فَإِنَّهُ أَكْثَرَ مِنَ الْإِبْدَاءَاتِ الْحَسَنَةِ فِي

شِعْرِهِ كَقَوْلِهِ فِي قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا كَافُورًا وَكَانَ قَدْ جَرَتْ

بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ سَيِّدِهِ تَرْغَةً فَبَدَأَ قَصِيدَتَهُ بِذِكْرِ الْغَرَضِ

الْمَقْصُودِ فَقَالَ

حَسَمَ الصَّلْحُ مَا اسْتَنْتَهتِ الْأَعَادِي

وَأَذَاعَتْهُ السُّنُ الْأَحْسَادُ

وَهَذَا مِنْ بَدِيعِ الْإِبْدَاءِ وَنَادِرِهِ . وَكَذَلِكَ وَرَدَ قَوْلُهُ فِي
سَيْفِ الدَّوْلَةِ وَكَانَ ابْنُ الشُّمَيْقِ حَلَفَ لِيَلْقِيَنَّهُ كِفَاحًا
فَلَمَّا التَّفَا لَمْ يُطِقْ ذَلِكَ وَوَلَّى هَارِبًا فَانْفَتَحَ أَبُو الطَّيِّبِ

فَصِيدَتْهُ بِغُحْوَى الْأَمْرِ فَقَالَ

عُتِيَ الْبَيِّنِ عَلَى عُتْيِ الْوُغْيِ نَدَمُ

مَاذَا يَزِيدُكَ فِي إِفْدَامِكَ الْقَسَمُ

وَفِي الْبَيِّنِ عَلَى مَا أَنْتَ إِوَاعِدُهُ

مَا دَلَّ أَنَّكَ فِي الْبِعَادِ مَتَّهِمُ

وَمِنْ الْبَدِيعِ النَّادِرِ فِي هَذَا الْبَابِ قَوْلُهُ مَتَّغِزِلًا فِي مَطْلَعِ

فَصِيدَتْهُ الْفَافِيَّةُ وَهِيَ

أَنْزَاهَا لِكَثْرَةِ الْعُشَّاقِ نَحَسَبُ اللَّمْعَ خِلْقَةً فِي الْهَاقِ

وَهَذَا الْقَدْرُ مِنَ الْأَمْثَلِ كَافٍ لِلْمُتَعَلِّمِ وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ

(انتهى ملخصاً ببعض تصرف عن المثل السائر)

الفصل التاسع

في التلخيص والإقتضاب

إِعلم أَنَّ التَّلْخِصَ هُوَ أَنْ يَأْخُذَ مُؤَلِّفُ الْكَلَامِ فِي مَعْنَى
مِنَ الْمَعَانِي فَيَبْنِئَ هُوَ فِيهِ إِذَا أَخَذَ فِي مَعْنَى آخَرَ غَيْرِهِ
وَجَعَلَ الْأَوَّلَ سَبَبًا إِلَيْهِ فَيَكُونُ بَعْضُهُ أَخْذًا بِرِقَابِ بَعْضٍ
مِنْ غَيْرِ أَنْ يَقْطَعَ كَلَامُهُ وَيَسْتَأْنِفَ كَلَامًا آخَرَ بَلْ يَكُونُ
جَمِيعُ كَلَامِهِ كَأَنَّمَا أُفْرِغَ إِفْرَاغًا وَذَلِكَ مِمَّا يَدُلُّ عَلَى
حِذْقِ الشَّاعِرِ وَقُوَّةِ تَصْرِفِهِ مِنْ أَجْلِ أَنْ نِطَاقَ الْكَلَامِ
يَضِيقُ عَلَيْهِ وَيَكُونُ مُتَّبِعًا لِلوزنِ وَالْقَافِيَةِ فَلَا تُؤَانِيهِ
الْأَلْفَاظُ عَلَى حَسَبِ إِرَادَتِهِ وَأَمَّا النَّائِرُ فَإِنَّهُ مُطْلَقُ الْعِنَانِ
يَهْضِي حَيْثُ شَاءَ فَلِذَلِكَ يَشُقُّ التَّلْخِصُ عَلَى الشَّاعِرِ أَكْثَرَ
مِمَّا يَشُقُّ عَلَى النَّائِرِ

وَأَمَّا الْإِقْتِضَابُ فَإِنَّهُ ضِدُّ التَّلْخِصِ وَذَلِكَ أَنْ يَقْطَعَ
الشَّاعِرُ كَلَامَهُ الَّذِي هُوَ فِيهِ وَيَسْتَأْنِفَ كَلَامًا آخَرَ غَيْرَهُ مِنْ
مَدِيحٍ أَوْ هِجَاءٍ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ وَلَا يَكُونُ لِلثَّانِي عِلَاقَةٌ بِالأَوَّلِ
وَهُوَ مَذْهَبُ الْعَرَبِ وَمَنْ بَلِيهِمْ مِنَ الْمُخَضَّرِينَ وَأَمَّا

الْعَدُّونَ فَإِنَّهُمْ تَصَرَّفُوا فِي الْفَخْلِ فَأَبَدَعُوا وَأَظْهَرُوا مِنْهُ
كُلَّ غَرِيبَةٍ فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُ أَبِي تَهَامٍ
يَقُولُ فِي قَوْمِ صَحْبِي وَقَدْ أَخَذَتْ

مِنَا السَّرَى وَخَطَى الْمَهْرَةَ الْقَوْدِ
أَمَطَّلَعَ الشَّمْسُ تَبْعِي أَنْ تَوْمَ بِنَا

فَقُلْتُ كَلَّا وَلَكِنْ مَطْلَعُ الْجُودِ
وَقَوْلُهُ

غِيَاءَ جَادَ وَلِي الْحُسْنِ سُنَّتَهَا

فَصَاغَهَا بِيَدَيْهِ رَوْضَةً أَنَا

يُضْحِي الْعَذُولُ عَلَى تَأْنِيهِ كَلَفَا

بِعُذْرٍ مَنْ كَانَ مَشْغُوفًا بِهَا كَلَفَا

وَدَعِ فُؤَادَكَ تَوَدِّعِ الْفِرَاقَ فَمَا

أَرَاهُ مِنْ سَفَرِ التَّوَدِّعِ مُنْصَرِفًا

بِحَاوِدِ الشَّوْقِ طَوْرًا نَحْمُ بِجَذْبِهِ

جِهَاتُهُ لِلْقَوَائِي فِي أَبِي دُلْفَا

وَمَا جَاءَ مِنَ الْفَخْلَاتِ الْحَسَنَةِ قَوْلُ الْمُتَنَبِّئِ فِي قَصِيدَتِهِ
الدَّالِيَةِ

خَلِيلِي إِنِّي لَا أَرَى غَيْرَ شَاعِرٍ
فَلَمْ مِنْهُمْ الدَّعْوَى وَفِي الْقَصَائِدِ
فَلَا تَعْجِبَا إِنَّ السُّيُوفَ كَثِيرَةٌ
وَلَكِنَّ سَيْفَ الدَّوْلَةِ الْيَوْمَ وَاحِدٌ

وَهَذَا هُوَ الْكَلَامُ الْأَخِيذُ بَعْضُهُ بِرِقَابِ بَعْضٍ أَلَا تَرَى إِلَى
الْمُخْرُوجِ إِلَى مَدْحِ الْمَمْدُوحِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ كَأَنَّهُ أَفْرَغَ
فِي قَالِبٍ وَاحِدٍ وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ أَيْضًا وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ مَا
أَتَى بِهِ مِنَ التَّخْلِصَاتِ وَهُوَ فِي قَصِيدَتِهِ الثَّانِيَةِ

وَمَطَالِبٍ فِيهَا الْهَلَاكُ أَتَيْتَهَا ثَبَتَ الْجَنَانُ كَأَنِّي لَمْ آيَهَا
وَمَقَانِبٍ بِمَقَانِبٍ غَادَرْتُهَا أَقْوَاتٌ وَخَشِي كُنْ مِنْ أَقْوَامِهَا
أَقْبَلْتُهَا غُرَّرَ الْحِيَادِ كَأَنَّمَا أَيْدِي بَنِي عِمْرَانَ فِي جَبْهَاتِهَا
الْثَّانِيَيْنِ فُرُوسَةٌ تَجْلُو دَهَاءَ فِي ظَهْرِهَا وَالطَّعْنُ فِي لَبَاتِهَا
فَكَأَنَّهَا تُعْبَتُ فَيَأْمَأُ تَحْنُهُمْ وَكَأَنَّهُمْ وُلْدُوا عَلَى صَهَوَاتِهَا
تِلْكَ النَّفُوسُ الْعَالِيَاتُ عَلَى الْعُلَى وَالْعَجْدُ يَغْلِبُهَا عَلَى شَهَوَاتِهَا
سَقَيْتُ مَنَابِتَهَا الَّتِي سَقَتِ التُّورَى بِيَدِي أَبِي أَيُّوبَ خَيْرَ نَبَاتِهَا
فَأَنْظُرْ إِلَى هَذَيْنِ التَّخْلِصَيْنِ الْبَدِيعَيْنِ فَالْأَوَّلُ خَرَجَ بِهِ
إِلَى مَدْحِ قَوْمِ الْمَمْدُوحِ وَالثَّانِي خَرَجَ بِهِ إِلَى نَفْسِ

الْمَدْحُجَّ وَكِلَاهُمَا قَدْ أَغْرَبَ فِيهِ كُلُّ الْأَغْرَابِ وَعَلَى هَذَا
جَاءَ قَوْلُهُ

إِذَا صَلَّيْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَصَالًا لِفَاتِكِ

وَإِنْ قُلْتُ لَمْ أَتْرُكْ مَقَالًا لِعَالِمِ

وَالَا فَخَاتِنِي الْقَوَائِي وَعَافِي

عَنِ ابْنِ عَبِيدِ اللَّهِ ضَعْفُ الْعَزَائِمِ

وَأَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ يَقْصِدُ الشَّاعِرُ التَّخْلُصَ فَبِأَنِّي بِهِ فَيَجِي

كَمَا فَعَلَ فَقَالَ عِنْدَ الْخُرُوجِ مِنَ الْغَزْلِ إِلَى الْمَدْحِ

غَدَا بِكَ كُلُّ خَلْوٍ مُسْتَهَامًا وَأَصْبَحَ كُلُّ مَشْوَرٍ خَلِيعًا

أُحْبِكَ أَوْ يَقُولُوا جَرَّ نَمْلٍ نَبِيرٍ أَوْ ابْنُ إِبْرَاهِيمَ رِبْعًا

وَهَذَا تَخْلُصٌ كَمَا تَرَاهُ بَارِدٌ لَيْسَ عَلَيْهِ مِنْ مَسْحَةِ الْجَهَالِ

شَيْءٌ وَهَهُنَا يَكُونُ الْإِفْتِصَابُ أَحْسَنَ مِنَ التَّخْلُصِ فَيَنْبَغِي

لِسَائِكَ هَذِهِ الطَّرِيقَةُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى مَا يَصُوغُهُ فَإِنْ أَنَاهُ

التَّخْلُصُ حَسَنًا كَمَا يَنْبَغِي وَإِلَّا فَلْيَدْعُهُ وَلَا يَسْتَكْرِهْهُ حَتَّى

يَكُونَ مِثْلَ هَذَا كَمَا فَعَلَ الْمُتَنَبِّيُّ

وَقَدْ اسْتَعْمَلَ ذَلِكَ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ فِي قَصِيدَتِهِ الَّتِي

أَوَّلُهَا أَحِبَّاءُ وَأَيْسَرُ مَا فَاسَيْتُ مَا قَتَلَا فَقَالَ

عَلَّ الْأَمِيرَ بَرَى ذُلِّي فَيَشْفَعْ لِي
 إِلَى أَلَّتِي تَرَكْتَنِي فِي الْهَوَى مَثَلًا
 وَالْإِضْرَابُ عَنْ مِثْلِ هَذَا التَّخْلُصِ خَيْرٌ مِنْ ذِكْرِهِ وَمَا أَلْقَاهُ
 فِي هَذِهِ الْهَوَى إِلَّا أَبُو نُوَّاسٍ فَإِنَّهُ قَالَ
 سَأَشْكُو إِلَى الْفَضْلِ بْنِ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ
 هَوَاكَ لَعَلَّ الْفَضْلَ يَجْمَعُ بَيْنَنَا
 وَهَذَا نَظَائِرُ وَأَشْبَاهُ فَلْيَتَخَبَّرِ النَّاطِمُ
 وَالْإِفْتِصَابُ الْوَارِدُ فِي الشِّعْرِ كَثِيرٌ لَا يُحْصَى وَالتَّخْلُصُ
 بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ فَطَرَةٌ مِنْ بَحْرِ وَلَا يَكَادُ يُوْجَدُ التَّخْلُصُ فِي شِعْرِ
 الشَّاعِرِ الْمُجِيدِ إِهْ قَلِيلًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمُتَعَضِّبِ مِنْ شِعْرِهِ
 فَمِنْ الْإِفْتِصَابِ قَوْلُ أَبِي نُوَّاسٍ فِي قَصِيدَتِهِ النُّونِيَّةِ أَلَّتِي
 أَوْلَهَا يَا كَثِيرَ النُّوحِ فِي الدِّمَنِ وَهَذِهِ الْقَصِيدَةُ هِيَ عَيْنُ
 شِعْرِهِ إِلَّا أَنَّهُ لَمْ يُكْمَلْ حُسْنَهَا بِالتَّخْلُصِ مِنَ الْغَزَلِ إِلَى
 الْمَدِيحِ بَلْ أَتَضَبَّهَ أَفْتِصَابًا فَبَيْنَا هُوَ يَصِفُ الْخَمْرَ وَيَقُولُ
 فَاسْقِنِي كَأْسًا عَلَى عَدَلٍ كَرِهْتَ مَسْمُوعَةَ أُذُنِي
 مِنْ كُفَيْتِ اللَّوْنِ صَافِيَةٍ خَيْرِ مَا سَلَسَلْتَ فِي بَدَنِي
 مَا اسْتَفَرَّتْ فِيهِ فُؤَادِي فَتَى فَدَرَى مَا لَوْعَةُ الْحَزَنِ

حَتَّى قَالَ

تَضَحَّكُ الدُّنْيَا إِلَى مَلِكٍ قَامَ بِالْأَثَارِ وَالسَّنَنِ
 سَنَ لِلنَّاسِ النَّدَى فَنَدَوْا فَكَأَنَّ الْبُخْلَ لَمْ يَكُنْ
 فَأَكْثَرَ مَدَاحِ أَبِي نُوَّاسٍ مُقْتَضِبَةً هَكَذَا وَمِنْ هَذَا الْبَابِ
 قَوْلُ الْبُخَيْرِيِّ فِي قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ بِالْمُجَوَّدَةِ الَّتِي مَدَحَ
 بِهَا الْفَتْحَ بْنَ خَاقَانَ وَذَكَرَ لِفَاءَهُ الْأَسَدَ وَقَتْلَهُ إِيَّاهُ وَأَوَّلُهَا
 أَجِدُكَ مَا بَيْنَكَ بِسْرِي لِزَيْنَبَا وَهِيَ مِنْ أَمَهَاتِ شِعْرِهِ وَمَعَ
 ذَلِكَ لَمْ يُؤَفَّقْ فِيهَا لِلتَّخْلِصِ مِنَ الْغَزْلِ إِلَى الْمَدِيحِ فَإِنَّهُ
 بَيْنَمَا هُوَ فِي تَغَزُّلِهِ وَهُوَ يَقُولُ

عَهْدُكَ إِنْ مَنَيْتَ مَنَيْتَ مَوْعِدًا
 جَهَامًا وَإِنْ أَبْرَفْتَ أَبْرَفْتَ خُلْبًا
 وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ الصُّدُودَ الَّذِي مَضَى
 دَلَالٌ فَمَا إِنْ كَانَ إِلَّا تَجَنُّبًا
 فَوَا أَسْفَا حَسَامَ أَسْأَلُ مَا نَعَا
 وَآمَنُ خَوَاتِمًا وَأُعِيبُ مَذْنِبًا
 حَتَّى قَالَ فِي آخِرِ ذَلِكَ

أَقُولُ لِرَكِيبٍ مُعْتَنِينَ تَدْرَعُوا
 عَلَى عَجَلٍ فِطْعًا مِنَ اللَّيْلِ غَيْبَهَا
 رِدُّوا نَائِلَ الْفُتُوحِ بْنِ خَاقَانَ إِنَّهُ
 أَعْمَى نَدَى فَيْكُرٍ وَابَسْرُ مَطْلَبَا
 فَخَرَجَ إِلَى الْمَدِيحِ بِغَيْرِ وَصْلَةٍ وَلَا سَبَبٍ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ فِي
 قَصِيدَتِهِ الْمَشْهُورَةِ بِأَجْوَدَةِ الَّتِي مَدَحَ بِهَا الْفُتُوحُ بْنُ خَاقَانَ
 أَيْضًا وَأَوَّلُهَا مَتَى لَاحَ بَرَقَ أَوْ بَدَأَ طَلَّلَ فَرُّ فَبَيْنَاهُ فِي
 غَزَلِهَا حَتَّى قَالَ

لَعَمْرُكَ مَا الدُّنْيَا بِنَاقِصَةٍ أَمْجَدَى
 إِذَا بَقِيَ الْفُتُوحُ بْنُ خَاقَانَ وَالْفَطْرُ
 فَخَرَجَ إِلَى الْمَدِيحِ مُتَنْصِبًا لَا مُنْعِلًا بِهِ وَأَمْثَالُ هَذَا فِي
 شِعْرِهِ كَثِيرٌ
 وَاتَّخَلَصُ غَيْرُ مُبَكِّنٍ فِي كُلِّ الْأَحْوَالِ وَهُوَ مِنْ
 مُتَنْصَعِبَاتِ عِلْمِ الْبَيَانِ فَلْيَتَدَبَّرِ الشَّاعِرُ وَهَذَا الْقَدَرِ مِنَ
 الْأَمْثَلَةِ كِفَايَةً لِلطَّالِبِ

(انتهى ملخصاً عن الملل السامر)

الفصل العاشر

في الختام

هَذَا النَّوعُ يَنْبَغِي لِلشَّاعِرِ وَالنَّائِرِ أَنْ يَنَاهَا فِيهِ غَايَةُ
 التَّائِقِ وَجُودًا فِيهِ مَا اسْتَطَاعَا لِأَنَّهُ آخِرُ مَا يَنْتَهِي إِلَى السَّمْعِ
 وَيَتَرَدَّدُ صَدَاهُ فِي الْأُذُنِ وَيَعْلَقُ بِحَوَاشِي الذِّكْرِ فَهُوَ كَمَنْطَعِ
 الشَّرَابِ يَكُونُ آخِرُ مَا يَمُرُّ بِالْفَمِ وَيُعْرَضُ عَلَى الذَّوْقِ
 فَيَشْعُرُ مِنْهُ بِمَا لَا يَشْعُرُ مِنْ سِوَاهُ حَتَّى لَوْ كَانَ فِي الشَّرَابِ
 بَعْضُ مَرَارَةٍ وَكَانَ حُلُوًّا لِمَا لَمْ يَكُنْ طَيِّبًا لَمَنْزَعَةٍ سَتَرَ هَذَا
 الْحُلُوُّ نَلَكَ الْمَرَارَةِ وَكَانَ مَوْالِيًا وَهِيَ الْذَاهِبَةُ وَلِذَلِكَ
 يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْخِتَامُ مُبَيَّنًا عَنْ سَائِرِ الْكَلَامِ قَبْلَهُ بِنُكْتَةٍ
 لَطِيفَةٍ أَوْ أَسْلُوبٍ رَشِيقٍ أَوْ مَعْنَى يَلِيقُ وَيُخْتَارُ لَهُ مِنَ اللَّفْظِ
 الرَّفِيقِ الْحَاشِيَةِ الْخَفِيفِ الْحَمِلِ عَلَى السَّمْعِ السَّهْلِ الْوَرُودِ
 عَلَى الطَّبَعِ وَيُجَانِي بِهِ عَنِ الْأَسْهَابِ وَالْتَعْقِيدِ وَالثِقَلِ وَغَيْرِ
 ذَلِكَ مِمَّا تَنْبُو عَنْهُ الْأُذُنُ وَتَنْقُلُ مُوَوَّنَتُهُ عَلَى الذِّكْرِ فَتَذْهَبُ
 طُلَاوْنُهُ وَتَضَيِّعُ بِهِ مُحَاسِنُ مَا قَبْلَهُ لِأَنَّ كُلَّ نَالٍ مِمَّا سَبَقَهُ
 يَحْوَ أَثَرُ مَا تَلَاهُ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي الْآخِرِ مَا يَخْتَلِفُ نَلَكَ
 التَّحَاسِنِ كُلِّهَا فَهَبْتَ بِأَسْرٍ مَا طَلَفْنَا وَمَتَّى جُودَ الشَّاعِرِ أَوْ

النَّائِرُ فِي آخِرِ كَلَامِهِ كَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى سَعَةِ صَدْرِهِ وَقُوَّةِ
ضَرَبَتِهِ وَأَنَّهُ لَمْ يُسْرِعْ إِلَيْهِ الضَّجْرُ وَلَمْ يَسْتَوِلْ عَلَيْهِ الْخَصْرُ
وَلَمْ يَنْتَزِفْ مَادَّةُ الْإِنْفَاقِ وَيَكُونُ مِثْلَهُ مِثْلَ الْفَرَسِ الْجَوَادِ
كَلَّمَا ذَهَبَ مِنْهُ جَرِي تَشِيطَ لِغَيْرِهِ وَكَانَ فِي آخِرِ شَوَاطِئِهِ
أَقْوَى مِنْهُ فِي أَوَّلِهِ

وَحُكْمُ الْخِتَامِ أَنْ يَكُونَ مُؤَدِّنًا بِتِمَامِ الْكَلَامِ بِحَيْثُ يَكُونُ
وَاقِعًا عَلَى آخِرِ الْمَعْنَى فَلَا يَتَنَظَّرُ السَّامِعُ شَيْئًا بَعْدَهُ وَأَظْهَرُ
مَا يَكُونُ هَذَا فِي الْقِصَصِ الْمَسْقُوفَةِ كَمَا فِي الْمَقَامَاتِ مَثَلًا
فَإِنَّ نِهَابَةَ الْوَاقِعَةِ تَدُلُّ عَلَى خِتَامِ الْمَعْنَى فَيُخْتَمُ بِهِ اللَّفْظُ .
وَإِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَعْنَى دَالًّا بِنَفْسِهِ عَلَى الْخِتَامِ حَسُنَ أَنْ يُدَلَّ
عَلَيْهِ بِكَلَامٍ آخِرٍ يُذَكِّرُ عَلَى غَيْبِ الْفَرَاغِ مِنْ سِيَاقَةِ الْأَغْرَاضِ
السَّابِقَةِ وَحُكْمُهُ أَنْ يَكُونَ مُنْتَزَعًا مِمَّا سَبَقَهُ فَيَقْفَى بِهِ تَقْرِيرًا
لِشَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْأَغْرَاضِ أَوْ إِجْمَالًا لِمُفْصَلِهَا مُورَدًا عَلَى
وَجْهِ مِنْ وَجُوهِ الْبَلَاغَةِ أَوْ الْكَلَامِ الْجَامِعِ أَوْ مُخْرَجًا مُخْرَجَ
الْمَثَلِ أَوْ الْحِكْمَةِ أَوْ مَا شَاكَلَ ذَلِكَ مِمَّا تَعَلَّقَتْهُ الْخَوَاطِرُ
وَتَبَيَّنَتْهُ الْأَذْهَانُ . وَهَذَا مِنْ أَوْعَرِ مَسَالِكِ هَذَا النَّوعِ
وَالظَّافِرُونَ بِقِلَابَتِهِ قَلِيلٌ لِعِزَّتِهِ وَامْتِنَاعِهِ وَأَكْثَرُ مَا يَجِيءُ

فِي الشَّعْرِ أَوْ مَا يُنْبَغِي فِيهِ مَخَاهٍ مِنْ مَقَامَاتِ الْبَلَاغَةِ وَالْحِزَالَةِ
وَذَلِكَ كَقَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ الْمُنْتَبِي
وَمَا أَخْصَكَ فِي بَرْءٍ بِنَهْشَةٍ
إِذَا سَلِمْتَ فَكُلْ النَّاسَ قَدْ سَلِمُوا

وَقَوْلِ أَبِي تَمَّامٍ
أَوَّلَى الْبَرِيَّةِ حَقًّا أَنْ تُرَاعِيَهُ
عِنْدَ السُّرُورِ الَّذِي آسَاكَ فِي الْحَزَنِ
إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا مَا أَسْهَلُوا ذَكَرُوا
مَنْ كَانَ بِأَلْفِهِمْ فِي الْمَنْزِلِ الْحَشِينِ
وَكَقَوْلِ الرَّحْمَشَرِيِّ فِي خِتَامٍ إِحْدَى مَقَالَاتِهِ إِنَّ الطَّيِّبَ
فِي الْكَلَامِ يُتَرْجِمُ عَنْ خِفَةِ الْأَحْلَامِ وَمَا دَخَلَ الرَّفْقُ شَيْئًا
إِلَّا زَانَهُ وَمَا زَانَ الْمُسْكِلِمَ إِلَّا الرِّزَانَهُ وَكَقَوْلِهِ فِي خِتَامٍ
أُخْرَى وَمَنْ جَاءَ بِالْدَّعْوَةِ يُخْفِيهَا وَيَخَافُ الْمَدْعُوَ فِيهَا
فَيَأْتِيهَا مُحْكَمَةً ذَاتَ نِيرَيْنِ مُشْرِقَةً ذَاتَ نُورَيْنِ قَدْ أَخْرَجَتْهَا
الْخُفْيَةُ مِنْ بَابِ الرِّثَاءِ وَأَدْخَلَتْهَا الْخُفْيَةُ فِي بَابِ الْإِتْقَاءِ
وَلَكِنَّ النَّاسَ عَنِ التَّحْقِيقِ رُقُودٌ وَالنَّظَرِ الصَّحِيحِ بَيْنَهُمْ
مَقْهُودٌ وَأَمَّا فِي غَيْرِ ذَلِكَ فَالْأَكْثَرُ فِي هَذَا الضَّرْبِ أَنْ

يُضْمَنَ غَرَضًا آخَرًا مِنَ الدُّعَاءِ أَوْ عَرَضَ النَّفْسِ عَلَى خِدْمَةِ
الْمَكْتُوبِ إِلَيْهِ أَوْ تَوَفَّعَ الْجَوَابِ مِنْهُ أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا تَحْتَمِلُهُ
مَقَامَاتُ الْكَلَامِ وَتَقْنِصِيهِ دَوَائِي الْحَالِ وَهِيَ طَرِيقَةُ الْكِتَابِ
وَالْمَوْلَدِينَ مِنَ الشُّعْرَاءِ ذَهَابًا إِلَى الْفَالِ أَوِ التَّبَرُّكِ أَوْ
زِيَادَةِ التَّحَبُّبِ وَالتَّقَرُّبِ مِنْ مَقَامِ الْخُطَابِ أَوِ الْمَدْحِ
وَأَكْثَرُ مَا يَخْتُمُونَهَا فِي التَّنْزِيلِ بَعْدَ الْأَغْرَاضِ الْمَذْكُورَةِ
بِقَوْلِهِمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَوْ بَيْنَ اللَّهِ وَفَضْلِهِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ .
وَالْأَمَثَلُ عَلَى جَمِيعِ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ مُسْتَفِيضَةٌ كَقَوْلِ الْقَاضِي
مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ فِي خِتَامِ صُورَةِ عَهْدِ لِلْمَلِكِ
الْأَشْرَفِ صَلَاحِ الدِّينِ خَلِيلِ وَاللَّهُ تَعَالَى يَجْعَلُ اسْتِخْلَافَهُ
هَذَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا وَلِلْمُعْتَدِينَ أَنْفِصَامًا وَيُطْفِئُ بِمَاءِ سَيُوفِهِ
نَارَ كُلِّ حَظَبٍ حَتَّى تُصْبِحَ كَمَا أَصْبَحَتْ نَارُ سَمِيهِ بَرْدًا وَسَلَامًا .
وَقَوْلِ الْوَزِيرِ أَبِي مُحَمَّدٍ بْنِ الْقَاسِمِ فِي خِتَامِ جَوَابِهِ وَإِنْ
قَسَمْتُكَ الْعُجْلَ لَتَذُرَكَ وَحَبِيبُكَ الْمَتْنَاهِي فِي بَرِّكَ
تَصْلَحُ نِئَامُكَ مَجْدًا وَطَوْلًا وَاسْتَوْضَحَ إِخَاءُكَ عَقْدًا وَقَوْلًا
وَأَعْطَاكَ صَفْقَةً يَبِينُهُ عَلَى الْمَوَدَّةِ وَالْإِكْبَارِ وَوَلَاكَ صَفْوَةً
يَقِينُهُ صَادِقَةً الْإِعْلَانِ وَالْإِسْرَارِ فَلَنْ تَزَالَ بِتَوْفِيقِ اللَّهِ

تَجِدُهُ حَيْثُ تَنْشُدُهُ وَتَعِدُّهُ عَلَى أَيْرٍ مَا تَعْتَقِدُهُ إِنْ شَاءَ
 اللَّهُ. وَقَوْلِ الْبَدِيعِ الْهَمْدَانِي فِي خِتَامِ رِسَالَةِ وَالْمُسْتَعِ
 الرَّئِيسِ فِي تَشْرِيفِي بِالْأَجْوَابِ وَتَعْرِيفِي بِسَارِ الْأَخْبَارِ
 وَتَكْلِيفِي سَوَائِحِ الْأَوْطَارِ وَتَصْرِيفِي عَلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ
 رَأْيُهُ الْمَوْفِقُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. وَمِنْ أَمْلِيهِ فِي الشِّعْرِ
 قَوْلُ الْمُنَبِّئِ

فَلَا حَظَّ لَكَ الْهَيْجَاءُ سَرَجًا
 وَلَا ذَاقَتْ لَكَ الدُّنْيَا فِرَاقًا

وَقَوْلُهُ
 أَنْتُمْ سَعْدُكُمْ مَنْ أَعْطَاكَ أَوْلَاهُ
 وَلَا أَسْتَرَدَّ حَيَاةً مِنْكَ مُعْطِيهَا

وَقَوْلُ ابْنِ الْوَرْدِيِّ
 سَلَامٌ عَلَيْكُمْ مَا أَحَبَّ وَصَالَكُمْ
 وَغَايَةُ مَجْهُودِ الْمَقِيلِ سَلَامٌ
 وَكَثِيرًا مَا بَخِمُ النَّائِرُ بِقَوْلِهِ وَالسَّلَامُ وَهُوَ مِنْ مَقَامَاتِ
 الْإِخْتِصَارِ وَالْإِبْجَازِ وَيَكْثُرُ اسْتِعْمَالُهُ فِي رَسَائِلِ الْعَتَبِ
 وَالْمُوجِدَةِ وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ. وَقَدْ بَخِمُ بِلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ

إِلَّا بِاللهِ أَوْ يَقُولُهُ وَاللهُ الْمُسْتَعَانُ أَوْ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ أَوْ وَاللهُ
 أَعْلَمُ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ مِمَّا تَدْعُو إِلَيْهِ الْحَالُ . وَرَبُّهَا خَتَمَ بِمَنْحِلٍ
 أَوْ بَيْتٍ مِنَ الشَّعْرِ وَذَلِكَ كَقَوْلِ الْخَوَّارِزْمِيِّ فِي خِتَامِ
 رِسَالَةٍ وَلَقَدْ سَلَكَ الْأَمِيرُ مِنَ الْكُرَمِ طَرِيقًا يَسْتَوْحِشُ
 فِيهَا لِقَلَّةِ سَالِكِيهَا وَبَيْتُهُ فِي قِفَارِهَا لِدُرُوسِ آثَارِهَا
 وَأَنْهَدَامِ مَنَارِهَا أَعَانَهُ اللهُ عَلَى صُعُوبَةِ الطَّرِيقِ وَقَلَّةِ الرَّفِيقِ
 وَالْهَمَّةِ صَبْرًا يَهْوَنُ عَلَيْهِ أَحْزَامُ الْمَغَارِمِ وَيَقْرُبُ عَلَيْهِ
 مَسَافَةُ الْمَكَارِمِ . فَيَا لَصَبْرٍ تَنَالُ الْعُلَى وَعِنْدَ الصَّبَاحِ بِحَمْدِ
 الْقَوْمِ السُّرَى . وَقَوْلُهُ أَيْضًا فِي خِتَامِ تَسْلِيَةٍ وَلَكِنَّ الْغَضَبَ
 يُنْسِي الْحُرْمَانَ وَيَدْفِنُ السَّيِّئَاتِ وَيَخْلُقُ لِلْبَرِيءِ جَنَائَاتِ
 وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَفَعَلَهُ

لَكَالْدَهْرِ لَا عَارَ بِمَا فَعَلَ الدَّهْرُ

إِنْ تَمَوْا وَفِي هَذَا الْقَدْرِ غَنِيَّةٌ لِلْبَصِيرِ وَفِي تَتَبُعِ رَسَائِلِهِمْ
 وَخُطْبِهِمْ وَكَوَاوِينَ الشُّعْرَاءِ مِنْهُمْ قَدِيمَهَا وَحَدِيثُهَا مَوْوَنَةٌ
 كَافِيَةٌ بِهَدَايَةِ اللهِ وَتَسْدِيدِهِ

(مصحح)

الْقِسْمُ الثَّانِي

فِي شَذَرَاتٍ مُخْتَلِفَةٍ مِنْ أَقْوَالِ الْكِتَابِ
وَفِيهِ فُصُولٌ

فَصْلٌ

فِي حُسْنِ التَّوَاصُلِ

كُتِبَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ مُحَمَّدُ بْنُ طَاهِرٍ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ
كَتَبْتُ أَعَزَّكَ اللَّهُ عَنْ ضَمِيرٍ أُنَدِّجُ عَلَى سِرِّ اعْتِقَادِكَ
دُرَّهُ وَتَبَلَّجُ فِي أَفْقٍ وَدَادِكَ بَدْرُهُ وَسَالَ عَلَى صَفَحَاتِ
ثَنَائِكَ مِسْكُهُ وَصَارَ فِي رَاحَتِي سَنَائِكَ مِلْكُهُ وَلَكِنَّمَا
ظَفِرْتُ بِفُلَانٍ حَمَلْتُهُ مِنْ تَحِيَّتِي زَهْرًا جَنِيًّا بِوَأْفِيكَ عَرَفْتُهُ
ذَكِيًّا وَبِوَالِيكَ أَنْسُهُ نَحِيًّا وَيَقْضِي مِنْ حَقِّكَ فَرَضًا مَا نَبِيًّا
عَلَى أَنْ شَخْصَ جَلَالِكَ لِي مَائِلٌ وَبَيْنَ ضُلُوعِي نَارِلٌ لَا
يَمْلُهُ خَاطِرٌ وَلَا يَهْسُهُ عَرَضٌ دَائِرٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ

وَكُتِبَ أَبُو النُّضَلِ بْنِ الْعَمِيدِ إِلَى بَعْضِ إِخْوَانِهِ

قَدْ قَرُبَ أَيْدِكَ اللَّهُ مُحَلِّكَ عَلَى تَرَاحِيهِ وَتَصَاقِبِ

مُسْتَقَرَّكَ عَلَى تَنَائِيهِ لِأَنَّ الشَّوْقَ يُهْلِكُ وَالذِّكْرَ يُجِيلُكَ
فَنَحْنُ فِي الظَّاهِرِ عَلَى افْتِرَاقٍ وَفِي الْبَاطِنِ عَلَى تَلَاقٍ وَفِي
النَّسَبَةِ مُتَبَايِنُونَ وَفِي الْمَعْنَى مُتَوَاصِلُونَ وَلَكِنْ تَفَارَقَتْ
الْأَشْبَاحُ لَقَدْ تَعَاثَرَتِ الْأَرْوَاحُ

وكتب بديع الزمان الممذاني إلى القاسم الكرجي

بِعِزِّكَ عَلَيَّ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ أَنْ يَنْوِبَ
فِي خِدْمَتِهِ قَلْبِي عَنْ قَدَمِي وَيَسْعِدَ بِرُؤُوبِهِ رَسُولِي دُونَ
وُصُولِي وَيَبْرُدَ مَشْرَعَةَ الْأَنْسِ بِكِتَابِي قَبْلَ رِكَابِي وَلَكِنْ
مَا الْحِيلَةُ وَالْعَوَائِقُ جَبَّةٌ

وَعَلَيَّ أَنْ أَسْعَى وَلَيْسَ عَلَيَّ إِذْرَاكَ النَّجَاحِ

وَقَدْ حَضَرَتْ دَارُهُ وَقَبِلَتْ جِدَارُهُ وَمَا بِي حُبُّ الْحَيِّطَانِ
وَلَكِنْ شَغَفًا بِاللُّطَّانِ وَلَا عِشْقُ الْجُدْرَانِ وَلَكِنْ شَوْقًا إِلَى
السَّكَّانِ وَحِينَ عَدَتْ الْعَوَادِي عَنْهُ أَمَلْتُ ضَمِيرَ الشَّوْقِ
عَلَى لِسَانِ الْقَلَمِ مُعْذِرًا إِلَى الشَّيْخِ عَلَى الْحَقِيقَةِ عَنْ تَقْصِيرِ
وَقَعَ وَفُتُورِي فِي الْخِدْمَةِ عَرَضَ وَلَكِنِّي أَقُولُ

إِنْ يَكُنْ تَرْكِي لِنَصْدِكَ إِذْنًا فَكَفَى أَنْ لَا أَرَاكَ عِقَابًا

وكتبه ابو محمد عبد الله البطليوسي الى ابي الحسن بن الاخضر
 يَا سَيِّدِي الْأَعْلَى وَعِمَادِي الْأَسْنَى وَحَسَنَةَ الدَّهْرِ
 الْحُسْنَى الَّذِي جَلَّ قَدْرُهُ وَسَارَ مَسِيرُ الشَّمْسِ ذِكْرُهُ وَمَنْ
 أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ لِفَضْلِ بُعْلِي مَنَارِهِ وَعِلْمِ بُحْيِ آثَارِهِ نَحْنُ
 أَعَزُّكَ اللَّهُ تَدَانِي إِخْلَاصًا وَإِنْ تَنَاءَيْنَا أَشْخَاصًا وَجَمَعَنَا
 الْآدَابُ وَإِنْ فَرَقَنَا النَّسَبُ فَلَا شَكَالَ أَقَارِبُ وَالْآدَابُ
 مَنَاسِبُ وَلَيْسَ يَضُرُّ تَنَاءِي الْأَشْبَاحِ إِذَا تَقَارَبَتِ الْأَرْوَاحُ
 وَمَا مِثْلُنَا فِي هَذَا الْإِتِّظَامِ إِلَّا كَمَا قَالَ أَبُو تَمَامٍ
 نِسْبِي فِي رَأْيِي وَعَلْيِي وَمَذْهَبِي
 وَإِنْ بَاعَدْتَنَا فِي الْأَصُولِ الْمَنَاسِبُ

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لِمَا ثَرِكَ ذَاكِرٌ وَلِمَا خِرَكَ نَاشِرٌ إِلَّا ذُو الْوَزَارَتَيْنِ
 أَبُو فَلَانٍ أَبْقَاهُ اللَّهُ لِقَامَ لَكَ مَقَامَ سَحْبَانَ وَائِلٍ وَأَغْنَاكَ
 عَنْ قَوْلِ كُلِّ فَائِلٍ فَإِنَّهُ يَهْدُ فِي مِضَارِ ذِكْرِكَ بِأَعَارِ حَبِيبَا
 وَيَقُومُ بِغَيْرِكَ فِي كُلِّ نَادٍ خَطِيبَا حَتَّى يَنْبِي إِلَيْكَ الْأَحْدَاقَ
 وَيَلْوِي نَحْوَكَ الْأَعْنَاقَ فَكَيْفَ وَمَا يَنْطِقُ إِلَّا بِالَّذِي عَلِمَتْ
 سَعْدٌ وَمَا تَقَرَّرَ فِي النُّفُوسِ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ فِذِكْرِكَ قَدْ
 أَنْجَدَ وَأَغَارَ وَلَمْ يَسِرْ فَلَا حَيْثُ سَارَ وَإِنْ لَيْلَ جَهْلٍ

أُطْلِعَتْ فِيهِ فَجَرٌ تَبْصِيرِكَ لِحْدِيرٍ بِأَنْ يَصِيرَ نَهَارًا وَإِنْ نَبَعَ
فِكْرٌ قَدْ حَنَّهُ بِتَذْكِيرِكَ لِحْدِيرٍ بِأَنْ يَعُودَ مَرْخًا وَعَفَارًا فَهَيْثَا
لَكَ الْفَضْلُ الَّذِي أَنْتَ فِيهِ رَاسُخُ الْقَدَمِ شَاحِجُ الْعِلْمِ
مَنْشُورُ الْإِلَوهَاءِ مَشْهُورُ الذِّكَاةِ مُلَيَّتِ الْأَدَابِ عُمْرِكَ
وَلَا عَدِمْتَ إِلَّا لِبَابِ ذِكْرِكَ وَرَفِيتَ مِنَ الْمَرَاتِبِ أَعْلَاهَا
وَلَقِيتَ مِنَ الْمَرَاتِبِ أَقْصَاهَا بِفَضْلِ اللَّهِ

والمحمود الى صديق له

مَا زِلْتُ أَدَافِعُ النَّفْسَ فِيهَا تَقَاضَايَ مِنْ شَكْوَى
أَسْوَاقِهَا وَفِي الشَّكْوَى شِفَاءٌ وَاسْتِنْزَالُ أَثَرٍ مِنْ لَدُنْكَ تَعَلُّلٌ
بِهِ مَسَافَةٌ الْبَيْنِ إِلَى أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ بِاللِّقَاءِ وَمِنْ دُونِ إِجَابَتِهَا
مُسَادَةٌ قَدْ شَغَلَتْ الذَّرْعَ وَشَوَاعِلُ قَدْ فَرَّغَتْ مِنْ دُونِهَا الْوَسْعُ
إِلَى أَنْ غَلَبَ جَيْشُ الْوَجْدِ عَلَى مَعَاقِلِ الصَّبْرِ وَزَاحَمَ مَنَاكِبَ
الْعُدُوِّ حَتَّى ضَرَبَ أَطْنَابَهُ بَيْنَ الْحِجَابِ وَالصَّدْرِ فَاتَّخَذْتُ
هَذِهِ الرُّفْعَةَ أَرْجِيهَا إِلَيْكَ وَفِيهَا مِنْ وَفْرِ الشَّوْقِ مَا يَنْوِي
بِرَسُولِهَا وَمِنْ رِفْعَةِ الصَّبَابَةِ مَا يَكَادُ يَطِيرُ بِهَا أَوْ يَجْلِفُهَا
فِيصَافِحِ الْأَعْنَابِ قَبْلَ وُضُوعِهَا رَاجِيًا لَهَا أَنْ تُتْلَى بِمَا عَهْدَ
فِي سَيِّدِي مِنَ الطَّلَافَةِ وَالْبِشْرِ وَأَنْ لَا يَضُنَّ عَلَيْهَا بِمَا

عَوَدَتِي مِنْ تَهْنِيدِ الْعُذْرِ وَبَصْلَتِي مِنْ بَعْدِهَا يَا نَبَايَه الطَّيِّبَةُ
عَائِدَةً عَنْهُ بِمَا يَكُونُ لِلنَّاضِرِ قُرَّةٌ وَلِلخَاطِرِ مَسْرَةٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

وَلَهُ

وَأَقَالِي كِتَابُكَ الْعَزِيزُ فَأَهْلًا بِأَكْرَمِ رَسُولٍ جَاءَ
بِبَيِّنَاتِ الْإِخْلَاصِ وَالْوَفَاءِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ
ذِمَّةِ الْوَدَادِ وَالْإِخَاءِ يَتْلُو عَلَيَّ مِنْ حَدِيثِ الشُّوقِ مَا شَهِدَ
بِصِحِّهِ سَقِي وَهَنَ مُؤَذِّنُهُ فِي كُلِّ مَفْصِلٍ مِنْ جِسْمِي
وَيَذْكُرُنِي مِنْ عَهْدِكَ مَا طَالَ مَا أَذْكُرُنِيهِ الْبَرَقُ إِذَا لَمَعَ
وَالْبَدْرُ إِذَا طَلَعَ وَالْقَمَرُ إِذَا سَجَعَ وَإِنَّمَا عَذَابِي عَنْكَ
مَا أَنَا فِيهِ مِنْ مُجَادَبَةِ الشَّوَاغِلِ وَمُسَاوَرَةِ الْبَلَابِلِ
وَفِي الْقَلْبِ مَا فِي الْقَلْبِ مِنْ شَجْنِ الْهَوَى
تَبَدَّلَتِ الْحَالَاتُ وَهُوَ مُقِيمٌ

وَأَنَا عَلَى مَا بِي مِنْ غَلِّ الْبَنَانِ وَشُغْلِ الْجَنَانِ مَا زَالَتْ
أَنْبَاؤُكَ عِنْدِي لَا يَخْطُبُنِي بِرِيدِهَا وَلَا يَنْقَطِعُ عَنِّي وَرُودُهَا
أَهْنِي النَّفْسَ مِنْهَا بِمَا تَهْنِي لَكَ مِنْ سَلَامَةٍ لَا يَرِثُ لَهَا شِعَارُ
وَإِقْبَالَ لَا يَعْتَرِضُهُ بِإِذْنِ اللَّهِ إِدْبَارُ وَفُصَارِي الْمَأْمُولِ
فِي كَرَمِكَ أَنْ تُعَامِلَنِي بِمَا سَبَقَ لَكَ مِنْ جَمِيلِ الصَّلَةِ إِلَى

أَنْ يَهْرَ اللَّهُ بِالْإِجْمَاعِ وَيُغْنِيَ بِالْعِيَانِ عَنِ السَّمْعِ
وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ

وكتب ابو بكر الخوارزمي الى ابي الوفاء صاحب جيش عضد الدولة
كتابي وانا بما يبلغني من صالح اخبار الشيخ مغتبط
مسرور وبما يعرفه الزمان واهله من اعتصادي به مصون
موفور والله على الاولى محمود وعلى الاخرى مشكور
النتفل وان كان محظورا في غير موطنه فانه مباح في
اماكنه وهو وان كان في بعض الاحوال يجمع عارا ووزرا
فانه في بعضها يجمع فخرا وذخرا ورب فعل يصاب به
وقته فيكون سنة وهو في غير وقته بدعة وقد تطلعت على
الشيخ بهذه الاحرف اخطب بها مودته اليه واعرض
فيها مودتي عليه واسأله ان يرسم لي في لساني وقلبي رسما
ويختم عليهما ختما فقد جعلتهما باسمه وقصرتهما على
حكمه وسأصعقهما تحت خفيه وبرئت اليه منهما وصرت
وكيلة فيهما فهما على غيره حي لا يقرب وبجيرة لا تطلب
ولا تركب ولما نظرت الى آثار الشيخ على الاحرار
ونشرت طراز محاسنه من أيدي القاصدين والزوار ورأيت

نَفْسِي غُفْلًا مِنْ مِمَّةٍ مَوَدَّةٍ وَعُطْلًا مِنْ جَبَالِ عِشْرَتِهِ حَمِيْنَهَا
مِنْ أَنْ يُجْحَى عَلَيْهَا وَرَدُّ مَوْرُودٍ وَتَحَسَّرَ عَنْهَا ظِلٌّ عَلَى
الْجَمِيعِ مَهْدُودٌ وَنَجِيْتُ مِنْ

سَحَابٍ خَطَائِي جَوْدُهُ وَهُوَ صَبَبٌ
وَجَرِّ عَدَائِي سَيْلُهُ وَهُوَ مَنَعٌ
وَبَدْرٍ أَضَاءَ الْأَرْضَ شَرْقًا وَمَغْرِبًا
وَمَوْضِعُ رِجْلِي مِنْهُ أَسْوَدُ مُظْلِمٌ

فَصْلٌ

فِي الْإِسْتِعْظَافِ وَالْإِعْتِذَارِ

كَتَبَ عَمْرُو بْنُ بَجْرِ الْبَاحِظُ إِلَى ابْنِ أَبِي ثَوَادٍ

لَيْسَ عِنْدِي أَعَزُّكَ اللَّهُ سَبَبٌ وَلَا أَقْدِرُ عَلَى شَفِيعٍ إِلَّا
مَا طَبَعَكَ اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ الْكَرَمِ وَالرَّحْمَةِ وَالْإِثْمِيلِ الَّذِي لَا
يَكُونُ إِلَّا مِنْ نِتَاجِ حُسْنِ الظَّنِّ وَإِثْبَاتِ الْفَضْلِ بِجَالِ
الْمَأْمُولِ وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مِنَ الْعُقَّاءِ الشَّاكِرِينَ فَتَكُونَ
خَيْرَ مُعْتَبٍ وَأَكُونَ أَفْضَلَ شَاكِرٍ . وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ
هَذَا الْأَمْرَ سَبَبًا لِهَذَا الْإِنْعَامِ وَهَذَا الْإِنْعَامَ سَبَبًا لِلْإِنْقِطَاعِ

إِلَيْكُمْ وَالْكَوْنُ تَحْتَ أَجْنَحِكُمْ فَيَكُونُ لَا أَعْظَمُ بَرَكَةً وَلَا
 أَنْتَى بَقِيَّةً مِنْ ذَنْبٍ أَصْنَحْتُ فِيهِ وَبِمِثْلِكَ جُعِلْتُ فِدَاكَ عَادَ
 الذَّنْبُ وَسِيلَةً وَالسَّيِّئَةُ حَسَنَةً وَمِثْلِكَ مِنْ أَقْلَبَ بِهِ الشَّرُّ
 خَيْرًا وَالْغَرَمُ غُنْمًا مِنْ عَاقِبٍ فَقَدْ أَخَذَ حَظَّهُ وَإِنَّمَا الْأَجْرُ
 فِي الْآخِرَةِ وَطِيبُ الذِّكْرِ فِي الدُّنْيَا عَلَى قَدَرِ الْإِحْسَانِ
 وَتَجَرُّعِ الْمَرَارِ وَأَرْجُو أَنْ لَا أَضِيعَ وَأَهْلِكَ فِيهَا بَيْنَ
 كَرَمِكَ وَعَقْلِكَ وَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَعْتُو عَنْ صَغُرِ ذَنْبِهِ وَعَظُمِ
 حَقُّهُ وَإِنَّمَا النَّضْلُ وَالنَّاءُ الْعَفْوُ عَنْ عَظِيمِ الْمُجْرِمِ ضَعِيفِ
 الْحُرْمَةِ وَإِنْ كَانَ الْعَفْوُ الْعَظِيمُ مُسْتَطَرًّا مِنْ غَيْرِكُمْ فَهُوَ
 نِلَادُ فِيكُمْ حَتَّى رُبَّمَا دَعَا ذَلِكَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ إِلَى مَخَالَفَةِ
 أَمْرِكُمْ فَلَا أَنْتُمْ عَنْ ذَلِكَ تُتَكَلَّمُونَ وَلَا عَلَى سَالِفِ إِحْسَانِكُمْ
 تَنْدَمُونَ وَلَا مِثْلُكُمْ إِلَّا كَمِثْلِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ حِينَ كَانَ لَا
 يَهُدِي مِمْلًا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَّا أَسْمَعُوهُ شَرًّا وَأَسْمَعْتُمْ خَيْرًا
 فَقَالَ لَهُ شِمْعُونُ الصَّفَا مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ كُلَّمَا أَسْمَعُوكَ شَرًّا
 أَسْمَعْتُمْ خَيْرًا فَقَالَ كُلُّ أَمْرٍ يُنْفِقُ مِنْهَا عِنْدَهُ وَلَيْسَ عِنْدَكُمْ
 إِلَّا الْخَبِيرُ وَلَا فِي أَوْعَيْتِكُمْ إِلَّا الرَّحْمَةُ وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي
 فِيهِ يَنْضَحُ

وكتب الى رجل

زَيْنَكَ اللَّهُ بِالتَّقْوَى وَكَفَاكَ مَا أَهَمَّكَ مِنَ الْآخِرَةِ
وَالْأُولَى. مَنْ عَاقَبَ أَبْنَاكَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الصَّغِيرَةِ عُقُوبَةً
الْكَبِيرَةِ وَعَلَى الْهَفْوَةِ عُقُوبَةً الْأَصْرَارِ فَقَدْ تَنَاهَى فِي الظُّلْمِ.
وَمَنْ لَمْ يَفْرُقْ بَيْنَ الْأَسَافِلِ وَالْأَعَالِي وَالْأَدَانِي وَالْأَقَاصِي
فَقَدْ قَصَرَ. وَاللَّهُ لَعَذَابُكَ أَكْرَهُ سَرَفِ الرِّضَى مَخَافَةً أَنْ
يُؤَدِّيَ إِلَى سَرَفِ الْهَوَىٰ فَمَا ظَنُّكَ بِسَرَفِ الْغَيْظِ وَغَلَبَةِ
الْغَضَبِ مِنْ طِيَّاشِ عَجُولٍ فَحَاشٍ وَمَعَهُ مِنَ التَّحْرِقِ بِقَدْرِ
فِسْطِهِ مِنَ النَّهَابِ الْحُمْرَاءِ وَأَنْتَ رُوحٌ كَمَا أَنْتَ جِسْمٌ
وَكَذَلِكَ جِسْمُكَ وَنَوْعُكَ إِلَّا أَنَّ النَّأْثَرَ فِي الرِّفَاقِ أَسْرَعُ
وَضِدُّهُ فِي الْغِلَاطِ أَجْفَاءُ أَكْمَلُ وَلِذَلِكَ أَشَدَّ جَزَعِي عَلَيْكَ
مِنْ سُلْطَانِ الْغَيْظِ وَغَلَبَتِيهِ. فَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مِقْدَارَ
الذَّنْبِ إِلَيْكَ مِنْ مِقْدَارِ عِقَابِكَ عَلَيْهِ فَإِنْظِرْ فِي عِلَّتِهِ وَفِي
سَبَبِ إِخْرَاجِهِ إِلَى مَعْدِنِهِ الَّذِي مِنْهُ نَجْمٌ وَعَشِيهِ الَّذِي مِنْهُ
دَرَجٌ وَإِلَى جِهَةِ صَاحِبِهِ فِي التَّسْرِعِ وَالْثَبَاتِ وَإِلَى حِلْيِهِ
عِنْدَ التَّعَرِيفِ وَفُطْنِهِ عِنْدَ التَّوْبَةِ. فَكُلُّ ذَنْبٍ كَانَ سَبَبُهُ
ضَيْقَ صَدْرٍ مِنْ جِهَةِ الْفَيْضِ فِي الْمَقَادِيرِ أَوْ مِنْ طَرِيقِ

أَلَا نَفَّةً وَغَلْبَةً طِبَاعِ الْحَمِيَّةِ مِنْ جِهَةِ الْجَفْوَةِ أَوْ مِنْ جِهَةِ
 اسْتِخْفَافِهِ أَوْ كَانَ مُبْلَغًا عَنْهُ مَكْذُوبًا عَلَيْهِ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ جَائِزًا
 فِيهِ غَيْرُ مُمْتَنِعٍ مِنْهُ فَإِذَا كَانَتْ ذُنُوبُهُ مِنْ هَذَا الشَّكْلِ فَلَيْسَ
 يَكْفُ عَلَيْهِمَا كَرِيمٌ وَلَا يَنْظَرُ فِيهَا حَلِيمٌ. وَلَسْتُ أَسْمِيهِ بِكَثْرَةِ
 مَعْرُوفِهِ كَرِيمًا حَتَّى يَكُونَ عَقْلُهُ غَامِرًا بِعِلْمِهِ وَعِلْمُهُ غَالِبًا عَلَى
 طِبَاعِهِ كَمَا لَا أَسْمِيهِ بِكَفِّ الْعِقَابِ حَلِيمًا حَتَّى يَكُونَ عَارِفًا
 بِمِقْدَارِ مَا أَخَذَ وَتَرَكَ. وَمَنْى وَجَدْتَ الذَّنْبَ بَعْدَ ذَلِكَ لَا
 سَبَبَ لَهُ إِلَّا الْبُغْضُ الْخَضُّ وَالنِّفَارُ الْغَالِبُ فَلَوْ لَمْ تَرْضَ
 لِصَاحِبِهِ بِعِقَابٍ دُونَ فَعْرِ جَهَنَّمَ لَعَذَرَكَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُقَلَاءِ
 وَصَوَّبَ رَأْيَكَ عَالَمٌ مِنَ الْأَشْرَافِ. وَالْأَنَّهُ أَقْرَبُ مِنَ
 الْحَمْدِ وَأَبْعَدُ مِنَ الذَّمِّ وَأَنَّى مِنْ خَوْفِ الْعَجَلَةِ وَقَدْ قَالَ
 الْأَوَّلُ عَلَيْكَ يَا لَأَنَّهُ فَإِنَّكَ عَلَى إِيقَاعٍ مَا لَمْ تُوقِعْهُ أَفْذَرُ
 مِنْكَ عَلَى رَدِّ مَا قَدْ أَوْقَعْتَهُ. وَلَيْسَ يُصَارِعُ الْغَضَبُ أَيَّامَ
 شَبَابِهِ شَيْءٌ إِلَّا صَرَخَهُ وَلَا يُبَارِعُهُ قَبْلَ أَنْتِهَائِهِ إِلَّا قَهَرَهُ
 وَإِنَّمَا يُجْنَالُ لَهُ قَبْلَ هَيْجِهِ فَمَتَى تَمَكَّنَ وَاسْتَفْعَلَ وَأَذَكَّى
 نَارَهُ وَأَشْعَلَ ثُمَّ لَاقَى مِنْ صَاحِبِهِ قُدْرَةً وَمِنْ أَعْوَانِهِ سَعَاءًا
 وَطَاعَةً فَلَوْ اسْتَبَطَّنَتْهُ بِالتَّوَرَةِ وَأَوْجَزَتْهُ بِالْإِنْجِيلِ وَلَكِدَّتْهُ

بِالزُّبُورِ وَأَفْرَغْتَ عَلَى رَأْسِهِ الْقُرْآنَ إِفْرَاغًا وَآتَيْتَهُ بِآدَمَ
 شَفِيعًا لَهَا أَقْصَرَ دُونَ أَقْصَى قُوَّتِهِ وَلَكِنْ يُسَكِّنُ غَضَبَ الْعَبْدِ
 إِلَّا ذِكْرَهُ غَضَبَ الرَّبِّ. فَلَا تَتَفَحِظْكَ اللَّهُ بِعَدْمِ مَضِيكَ
 فِي عَنَابِي الْهَمَاسِ لِلْعَفْوِ عَنِّي وَلَا تُقْصِرْ عَن إِفْرَاطِكَ مِنْ
 طَرِيقِ الرَّحْمَةِ بِي وَلَكِنْ قِفْ وَفَقَّةً مَنْ يَتِمُّ الْغَضَبَ عَلَى
 عَقْلِهِ وَالشَّيْطَانَ عَلَى دِينِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ لِلْكَرَمِ أَعْدَاءَ وَيُهْسِكُ
 إِمْسَاكَ مَنْ لَا يَبْرِي نَفْسَهُ مِنَ الْهَوَى وَلَا يَبْرِي الْهَوَى مِنَ
 الْخَطَاءِ وَلَا تُكْرِ لِنَفْسِكَ أَنْ تَزِلَّ وَلِعَقْلِكَ أَنْ يَهْفُو فَقَدْ زَلَّ
 آدَمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ خَلَقَهُ يَدِهِ. وَلَسْتُ أَسْأَلُكَ
 إِلَّا رَيْثَمَا تَسْكُنُ نَفْسُكَ وَيَرْتَدُّ إِلَيْكَ ذِهْنُكَ وَتَرَى الْحِلْمَ
 وَمَا يَجْلُبُ مِنَ السَّلَامَةِ وَطِيبِ الْأَحْدُوثَةِ. وَاللَّهُ يَعْلَمُ
 وَكَفَى بِهِ عَلَيْهِمَا لَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَفْدِيَكَ بِنَفْسِي فِي مَكَاتِبَائِي
 وَكُنْتُ عِنْدَ نَفْسِي فِي عِدَادِ الْهَوَى وَفِي حِزِّ الْهَلَكَى فَرَأَيْتُ
 أَنَّ مِنَ الْخِيَانَةِ لَكَ وَمِنَ اللَّوْمِ فِي مُعَامَلَتِكَ أَنَّ أَفْدِيَكَ
 بِنَفْسٍ مَبْنِيَةٍ وَأَنْ أُرِيكَ أَنِّي قَدْ جَعَلْتُ لَكَ أَنْفَسَ ذَخِيرٍ
 وَالذُّخْرَ مَعْدُومًا. وَأَنَا أَقُولُ كَمَا قَالَ أَخُو تَقِيٍّ مَوْدَّةُ
 الْآخِ الْتَالِدِ وَإِنْ أَخْلَقَ خَيْرٌ مِنْ مَوْدَّةِ الْآخِ الطَّارِفِ

وَإِنْ ظَهَرَتْ مَسَاعِيهِ وَرَأَتْ جِدَّتُهُ سَلَّمَكَ اللَّهُ وَسَلَّمَ
عَلَيْكَ وَكَانَ لَكَ وَمَعَكَ

وكتب بعضهم الى أمير

أَنَا مَنْ لَا بُحَاكَ عَنْ نَفْسِي وَلَا يُغَالِطُكَ فِي جُرْمِي
وَلَا يُلْهِمُ رِضَاكَ إِلَّا مِنْ جِهَةِ عَفْوِكَ وَلَا يَسْتَعْظِمُكَ إِلَّا
بِالْإِفْرَارِ بِالذَّنْبِ وَلَا يَسْتَمِيلُكَ إِلَّا بِالْإِعْتِرَافِ بِالزَّلَّةِ
وَقَالَ الْحَسَنُ بْنُ وَهْبٍ

مَا أَحْسَنَ الْعَفْوَ مِنَ الْقَادِرِ لَا سِيَّمَا عَنْ غَيْرِ ذِي نَاصِرٍ
إِنْ كَانَ لِي ذَنْبٌ وَلَا ذَنْبَ لِي فَمَا لَهُ غَيْرُكَ مِنْ غَافِرٍ
أَعُوذُ بِالْوَدِّ الَّذِي بَيْنَنَا أَنْ يَفْسُدَ الْأَوَّلُ بِالْآخِرِ

وكتب ابن مكرم الى بعض الرؤساء

نَبَتْ بِي غِرَّةُ الْحَدَاثَةِ فَرَدَّتْنِي إِلَيْكَ الْفَجَرَةُ وَقَادَتْنِي
الضَّرُورَةُ ثِقَةً بِإِسْرَاعِكَ إِلَيَّ وَإِنْ أَبْطَأْتُ عَنْكَ وَقَبُولِكَ
لِعُذْرِي وَإِنْ قَصَّرْتُ عَنْ وَاجِبِكَ وَإِنْ كَانَتْ ذُنُوبِي
سَدَّتْ عَلَيَّ مَسَالِكَ الصَّلَاحِ عَنِّي فَرَاغِ فِي مَجْدِكَ وَسُودْدِكَ
وَأِنِّي لَا أَعْرِفُ مَوْفِقًا أَذِلُّ مِنْ مَوْفِقِي لَوْلَا أَنَّ الْخُاطِبَةَ فِيهِ
لَكَ وَلَا خُطَّةَ أَذْنًا مِنْ خُطَّتِي لَوْلَا أَنَّهَا فِي طَلَبِ رِضَاكَ

وكتب أبو بكر الخوارزمي إلى أبي علي البطي لما طال عنه وكثرت
رفاهة اليه

لَوْ بَغِيرَ الْمَاءِ حَلْفِي شَرِقْ

كُنْتُ كَالْغَصَانِ بِالْمَاءِ اعْتَصَارِي

كَيْفَ يَقْدِرُ أَنتَ يَا اللَّهَ الشَّيْخَ عَلَى الدَّوَاءِ مَنْ لَا يَهْدِي
إِلَى أَوْجِهِ الدَّاءِ وَكَيْفَ يُدَارِي أَعْدَاءَهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ
الْأَصْدِقَاءَ مِنَ الْأَعْدَاءِ وَكَيْفَ يُعَالِجُ عِلَّةَ الْفَرْحَةِ الْعَمِيَاءِ
أَمْ كَيْفَ يَسْرِي بِلَا دَلِيلٍ فِي الظُّلُمَاءِ أَمْ كَيْفَ يَخْرُجُ
الْهَارِبُ مِنْ بَيْنِ الْأَرْضِ وَالسَّمَاءِ الْكَرِيمُ أَبَدَ اللَّهُ الشَّيْخَ
إِذَا قَدَّرَ غَفْرًا وَإِذَا أَوْثَقَ أَطْلَقَ وَإِذَا أَسْرَأَ عَنَى وَلَقَدْ
هَرَبْتُ مِنَ الشَّيْخِ إِلَيْهِ وَاسْلَخْتُ بَعْفُوهُ عَلَيْهِ وَالْقَيْتُ رِفْقَهُ
حَيَاتِي وَمَمَالِي يَدَيْهِ فَلْيَذِفْنِي حَلَاوَةَ رِضَاهُ عَنِّي كَمَا أَذَانِي
مَرَارَةً أَنْتَقِمُوا مِنِّي وَلْتُلْخَ عَلَى حَالِهِ غُرَّةُ غَفْوِهِ كَمَا لَاحَتْ
عَلَيْهَا مَوَاسِمُ غَضَبِهِ وَسَطْوِهِ وَلْيَعْلَمَنَّ أَنَّ الْخَرَّ كَرِيمُ الظُّفْرِ
إِذَا نَالَ أَحَالَ وَأَنَّ اللَّئِيمَ لَتِيمُ الظُّفْرِ إِذَا نَالَ اسْتَطَالَ
وَلْيَغْنِمِ الْعَجَاوِزَ عَنْ عَنَرَاتِ الْأَحْرَارِ وَلْيَنْتَهِزْ فُرْصَ
الْإِفْتِدَارِ وَلْيَحْمَدِ اللَّهَ الَّذِي أَفَامَهُ مُقَامَ مَنْ يُرْمَى وَيُخْشَى

وَرَكَّبَ نِصَابَهُ فِي رُتْبَةِ شَابِ الزَّمَانِ وَمَجْدَهَا قِيٍّ وَأَخْلَقَ
 الْعَالَمَ وَذَكَرَهَا طَرِيقِي فَجَعَلَهُ فِي الْمِيلَادِ كَرِيمَهَا وَسَلِيلَهَا وَفِي
 الرُّتْبَةِ قَدْرَتَهَا وَجَلِيلَهَا وَلَبِعَنَدُ أَنَّهُ قَدْ هَابَهُ مَنْ اسْتَرْوَلَهُ
 يُذْنِبُ إِلَيْهِ مَنْ اعْتَذَرَ وَأَنْ مَنْ رُدَّ عَلَيْهِ عُدْرُهُ فَقَدْ أُخْرِجَ
 إِلَى الشُّجَاعَةِ بَعْدَ الْحَبْنِ وَأُخْرِجَ ذَنْبُهُ إِلَى صَحْنِ الْبَقِينِ
 مِنْ سِتْرَةِ الظَّنِّ وَفَقَّ اللَّهُ السَّيْحَ لَهَا بِحَفْظِ عَلَيْهِ قُلُوبَ
 أَوْلِيَائِهِ وَعَصَمَهُ مِمَّا يَزِيدُ بِهِ فِي عَدَدِ جَمَاحِمِ أَعْدَائِهِ
 وَلَيْسَ بَيْنَ الْمَوْلَاةِ وَالْمُعَادَاةِ إِلَّا لَقِيَّةٌ بِسَعَةٍ أَوْ لَفْظَةٌ
 قَدِ عَهِدَ

والمصحح إلى بعض اصفيائِهِ

وَإِقَالِي كِتَابَكَ الْعَزِيزُ وَالنَّفْسُ نَارِعةٌ إِلَى مَا يُزِيلُ
 نِفَارَهَا وَالْفَرَجُ نَائِقَةٌ إِلَى مَا يَشْخُذُ غِرَارَهَا فَكَانَ رَوْضَةً
 بِاسْمِ الْكَمَامِ فَاحِجَةُ النَّسَائِمِ قَدَرَدَتْ عَلَى النَّفْسِ أَنْ يَسَاطَهَا
 وَأَحْبَبَتِ الْبَادِرَةَ فَاسْتَأْنَفَتْ نَشَاطَهَا فَأَتَامَمَتْهُ مَا بَيْنَ وَشْيِ
 بَخْلٍ طِرَازِ الْعَبْقَرِيَّةِ وَزُخْرَفِ دُونِهِ تَضَرُّهُ السَّابِرِيَّةِ
 تَنَاجِيَنِ مِنْهُ رَشَاقَةُ الْفَاطِ تَنْفُخُ قُدُودَ الْحَسَنِ وَغَضَاضَةُ
 أَنْفَاسِ يَغَارُ مِنْهَا وَرَدُ الْحَيَاتِ وَرِقَّةُ خِطَابِ بَشَفٍ عَنْ

وَدِ صَفِيٍّ وَلُطْفٍ حَفِيٍّ وَكَرَمٍ وَفِيٍّ وَعَتَبٍ أَعَذَبَ مِنْ
 الْمَاءِ الْفَرَّاحِ وَأَرْقٍ مِنْ نَسَمَاتِ الصَّبَا فِي الصَّبَاحِ حَتَّى
 لَقَدْ حَبَّبَ إِلَيَّ تَقْصِيرِي وَشَفَعَ عِنْدَ نَفْسِي فِي قَبُولِ مَعَاذِيرِي
 عَلَى أَنَّ مَا عِنْدِي مِنَ الْوَلَاءِ لَا يَغْتَرِبُهُ مَعَاذُ اللَّهِ وَهَنْ وَلَا
 بَخْلُهُ تَمَادِي زَمَنِ أَوْ تَرَامِي وَطَنِ وَلَكِنَّ صُرُوفَ
 الْأَحْدَاثِ قَدْ قَصَرَتْ أَتْجُهِدَ وَصَرَفَتْ جَوَادِ الْعَزِيمَةِ عَنِ
 الْقَصْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي لَوْ نَزَلْتُ عَلَى حُكْمِ نَوَازِلِ الدَّهْرِ
 وَلَمْ أَدَافِعْ طَلَائِعَهَا بِمَا بَقِيَ مِنْ سَاقَةِ الصَّبْرِ لَمَا كَانَ فِي
 هَيْئَتِي إِلَّا كَسْرُ الْبِرَاعِ وَهَجْرُ الْعَابِرِ وَالرِّقَاعِ وَحَسْبِي
 مِنَ الْعُذْرِ مَا أَعْرِفُهُ مِنْ حِلْمِكَ الْمَأْلُوفِ وَمَا أَلْفَنُهُ مِنْ
 كَرَمِكَ الْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يُبَيِّنَكَ لِي مِنَ الدَّهْرِ
 نَصِيبًا وَيُبَتِّعَنِي بِلِقَائِكَ قَرِيبًا بَيْنَهُ وَكَرَمِهِ

وله ايضاً

يَا بَعْدُ إِلَيْكَ مَنْ لَا يَرَى لِنَفْسِهِ عُذْرًا وَكَيْفَ يَسْتَرْ
 مِنْ عَيْنِكَ مَنْ لَا يَسْتَطِيعُ لِدُنْيِهِ سِتْرًا بَلْ كَفَانِي مِنَ الْعَتَبِ
 تَعْنِيفُ نَفْسِي عَلَى مَا أَلْقَيْتُ عَلَيْهَا مِنْ تَبِعَةِ تَقْصِيرِي وَمَا
 حُلْتُ بِهِ مِنَ التَّفْرِيطِ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَعَاذِيرِي وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا

كَانَ تَقْصِيرِي شَيْئًا أَرَدْتُهُ وَلَا كَانَ تَقْرِيطِي أَمْرًا قَصَدْتُهُ
وَلَكِنَّمَا الْآيَامُ إِنِ صَاحِبَتَهَا لَمْ تُصِيبْ وَإِنْ عَاتَبَتْهَا لَمْ
تُعْتَبْ فَلَقَدْ عَبَّرَتْ بِي هَذِهِ الْبَرْهَةُ كُلُّهَا وَأَنَا بَيْنَ شَوَاغِلٍ
لَا يَسْغُلُهَا عَنِّي شَاغِلٌ وَبَلَابِلٍ قَدْ أَخْلَطَ حَابِلُهَا بِالنَّابِلِ
فَنَازَعَتْهَا هَذِهِ الْهَزَّةُ الْيَسِيرَةُ أَجْدَدُ فِيهَا صِلَةَ التَّذْكَرَةِ إِلَى
أَنْ يَمُنَّ اللَّهُ بِصِلَةِ الْتَحِيلِ وَأَجْمَاعِ الشَّمْلِ وَأَسْتَنْزِلُ
أَحْرَاقًا مِنْ خَطِّكَ يَكْتَحِلُ بِهَا النَّظِيرُ وَيَأْتِسُرُ إِلَيْهَا التَّخَاطِيرُ
مُتَوَقِّعًا بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ أَتَى بَيْنَ يَدَيِ مَوَدَّتِكَ مَذْكُورًا وَأَنْ
لَا يَكُونَ عَجْزِي لَدَيْكَ شَيْئًا مَنْظُورًا وَأَنْ تَعْجِرِي بِي عَلَى
عَادَةِ حِلْمِكَ إِلَى أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ الشَّيْئَتَيْنِ وَيُغْنِيَ الْعَيْنُ
عَنِ الْآثَرِ بِالْعَيْنِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

فصل

في العتاب

وكتب ابو الفضل بدع الزمان الممداني الى ابي جعفر الميكالي
لئن ساءني أن نلتني بمسألة لقد سررتني أني خطرتُ ببالك
الأمير أطلال الله بقاءه إلى آخر الدعاء في حالتي

بِرِّهِ وَجَفَائِهِ مُنْفَضِّلٌ وَفِي يَوْمِي إِدْنَائِهِ وَإِعَادِهِ مُحْسِنٌ
 وَهَيْثَا لَهُ مِنْ حِمَانَا مَا يَحِلُّهُ وَمِنْ عُرَانَا مَا يَحِلُّهُ وَمِنْ أَعْرَاضِنَا
 مَا يَسْتَحِلُّهُ بَلَّغْنِي أَنَّهُ أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ أَسْتَزَادَ صَنِيعَهُ فَكُنْتُ
 أَظُنُّنِي مُجْتَبِئًا عَلَيْهِ مُسَاءً إِلَيْهِ فَإِذَا أَنَا فِي فِرَارَةِ الذَّنْبِ
 وَمَشَارَةِ الْعُتْبِ وَلَيْتَ شِعْرِي أُمِّي مُحْظُورٌ فِي الْعِشْرَةِ حَضْرَتُهُ
 أَوْ مَفْرُوضٌ مِنَ الْخِدْمَةِ رَفَضْتُهُ أَوْ وَاجِبٌ فِي الزِّيَارَةِ
 أَهْمَلْتُهُ وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا ضَيْفًا أَهْدَاهُ مَنْزِعٌ شَاسِعٌ وَأَدَّاهُ
 أَمَلٌ وَاسِعٌ وَحَدَّاهُ فَضْلٌ وَإِنْ قُلْ وَهْدَاهُ رَأْيِي وَإِنْ
 ضَلَّ ثُمَّ لَمْ يُلْقِ إِلَّا فِي آلِ مِيكَالَ رَحَلَهُ وَلَمْ يَصِلْ إِلَّا إِلَيْهِمْ
 حَبَلَهُ وَلَمْ يَنْظُرْ إِلَّا فِيهِمْ شِعْرَهُ وَلَمْ يَقِفْ إِلَّا عَلَيْهِمْ
 شُكْرَهُ ثُمَّ مَا بَعْدَتْ صُحْبَةُ الْأَدْنَى مَهَانَةً وَلَا زَادَتْ حُرْمَةً
 إِلَّا تَقَصَّتْ صِيَانَةً وَلَا تَضَاعَفَتْ مَنَّةٌ إِلَّا تَرَاجَعَتْ مَنْزِلَةٌ
 حَتَّى صَارَ وَابِلُ الْأَعْظَامِ فِطْرَةً وَعَادَ قَبِيضُ الْقِيَامِ
 صُدْرَةً وَدَخَلَتْ مَجْلِسُهُ وَحَوْلَهُ مِنَ الْأَعْدَاءِ كَنِيَّةٌ فَصَارَ
 ذَلِكَ الْقَرِيبُ أَرْوَرًا وَذَلِكَ السَّلَامُ اخْتِصَارًا وَالْإِهْتِزَازُ
 إِيْمَاءً وَالْعِبَارَةُ إِشَارَةً وَحِينَ عَاتَبْتُهُ أَمَلٌ إِعْنَابُهُ
 وَكَاتَبْتُهُ أَنْتَظِرْ جَوَابَهُ وَسَأَلْتُهُ أَرْجُو إِجَابَتَهُ أَجَابَ بِالسُّكُوتِ

فَمَا أَزِدْنَتْ لَهُ إِلَّا وَلَاءً وَعَلَيْهِ إِلَّا نِئَاءٌ لَا جَرَمَ أَنِّي الْيَوْمَ
 أَبْيَضُ وَجْهَ الْعَهْدِ وَاضِحٌ حُجَّةِ الْوَدِّ طَوِيلُ إِسَانِ
 الْقَوْلِ رَفِيعُ حُكْمِ الْعُذْرِ وَقَدْ حَمَلْتُ فُلَانًا مِنَ الرِّسَالَةِ
 مَا نَجَّافِي الْقَلَمُ عَنْهُ وَالْأَمِيرُ الرَّئِيسُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ
 يَنْعِمُ بِالْإِصْفَاءِ لِيَا يُورِدَهُ مُوقَفًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ
 وله الى القاسم الكرجي

أَنَا أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ وَإِنْ لَمْ
 أَلْقَ نَطَاوُلَ الْأَخْوَانِ إِلَّا بِالنَّطُولِ وَتَحَامُلَ الْأَحْرَارِ
 إِلَّا بِالتَّحْمُلِ أَحَاسِبُ الشَّيْخِ أَيْدَهُ اللَّهُ عَلَى أَخْلَاقِهِ ضِنًا
 بِمَا عَقِدْتُ بِيَدِي عَلَيْهِ مِنَ الظَّنِّ بِهِ وَالتَّقْدِيرِ فِي مَذْهَبِهِ
 وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقُلْتُ فِي الْأَرْضِ مَجَالٌ إِنْ ضَاقَتْ ظِلَالُكَ
 وَفِي النَّاسِ وَاصِلٌ إِنْ رَثْتُ حِبَالُكَ وَأَوَاخِذُهُ بِأَفْعَالِهِ
 فَإِنْ أَعَارَنِي أَذُنًا وَاعِيَةً وَنَفْسًا مُرَاعِيَةً وَقَلْبًا مُنْعِظًا
 وَرُجُوعًا عَنْ ذَهَابِهِ وَنُزُوعًا عَنْ هَذَا الْبَابِ الَّذِي يَفْرَعُهُ
 وَنُزُولًا عَنِ الصَّعُودِ الَّذِي يَفْرَعُهُ فَرَشْتُ لِمَوَدَّتِهِ خِيَانَ
 صَدْرِي وَعَقَدْتُ عَلَيْهِ جَوَامِعَ خَضْرَيَ وَمَجَامِعَ عُذْرِي
 وَإِنْ رَكِبَ مِنَ التَّعَالِي غَيْرَ مَرْكَبِهِ وَذَهَبَ مِنَ التَّغَالِي

فِي غَيْرِ مَذْهَبِهِ أَفْطَعَتْهُ خِطَّةَ أَخْلَافِهِ وَوَلَّيْتُهُ جَانِبَ
إِعْرَاضِهِ وَأَنْكَفَأْتُ

لَا أَذُودُ الطَّيْرَ عَنْ شَجَرٍ قَدْ بَلَوْتُ الْمَرْءَ مِنْ نَهْرِهِ
فَإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ فِي مُقْتَبِلِ السِّنِّ وَالْعُمُرِ قَدْ حَلَبْتُ شَطْرِي
الدَّهْرَ وَرَكِبْتُ ظَهْرِي الْيَرَّ وَالْجَرَّ وَلَقِيتُ وَفْدِي الْخَيْرِ
وَالشَّرِّ وَصَاحَتُ يَدَيَّ النَّفْعُ وَالضَّرُّ وَضَرَبْتُ إِبْطِي
الْعُسْرُ وَالْيُسْرُ وَبَلَوْتُ طَعْمِي الْحَلْوَ وَالْمَرْ وَرَضَعْتُ
ضُرْعِي الْعُزْفَ وَالثَّكْرَ فَمَا تَكَادُ إِلَّا يَامُ تُرْبِنِي مِنْ أَعْمَالِهَا
غَرِيًّا وَتُسَمِّعُنِي مِنْ أَحْوَالِهَا عَجِيًّا وَلَقِيتُ الْأَفْرَادَ
وَطَرَحْتُ الْآحَادَ فَمَا رَأَيْتُ أَحَدًا إِلَّا مَلَأْتُ حَافَتِي سَمْعِهِ
وَبَصَرِهِ وَشَغَلْتُ حِيزِي فِكْرَهُ وَنَظَرَهُ وَأَثَقَلْتُ كِفْتَهُ فِي
الْحَزَنِ وَكِفْتَهُ فِي الْوِزَنِ وَوَدَّ لَوْ بَادَرَ الْقَرْنَ صَحِيفَتِي
أَوْ لَقِيَ صَحِيفَتِي فَمَا لِي صَغُرْتُ هَذَا الصِّغَرُ فِي عَيْنِهِ وَمَا الَّذِي
أَزْرَى بِي عِنْدَهُ حَتَّى أَخْجَبَ وَقَدْ قَصَدْتُهُ وَلَزِمَ أَرْضَهُ وَقَدْ
حَضَرْتُهُ أَنَا أَحَاسِيهِ أَنْ يَجْهَلَ قَدْرَ الْفَضْلِ أَوْ يَجْعَدَ فَضْلَ
الْعِلْمِ أَوْ يَنْتَطِي ظَهْرَ التَّيِّبِ عَلَى أَهْلِيهِ وَأَسْأَلُهُ أَنْ
يَخْتَصَّنِي مِنْ بَيْنِهِمْ بِفَضْلِ إِعْظَامِهِ إِنْ زَلَّتْ بِي مَرَّةً قَدَمٌ فِي

فَصَدِّهِ وَكَأَنِّي بِهِ قَدْ غَضِبَ لِهَذِهِ الْخُاطِبَةِ الْمُتَحِفَّةِ وَالرُّثْبَةِ
الْمُتَحِفَّةِ وَهُوَ فِي جَنبِ جَنَائِهِ يَسِيرُ فَإِنْ أَقْلَعَ عَنْ عَادَتِهِ
وَنَزَعَ عَنْ سِيَمَتِهِ فِي الْجَفَاءِ فَأَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأُسْنَادِ
الْفَاضِلِ وَأَدَامَ عِزَّهُ وَتَأَيَّدَهُ

وكتبَ الجاحظُ الى فليس المغربي

وَاللَّهُ يَا قَلِيبُ لَوْلَا أَنَّ كَيْدِي فِي هَوَاكَ مَقْرُوحَةٌ
وَرَوْحِي بِكَ مَجْرُوحَةٌ لَسَاجَلُكَ هَذِهِ الْقَطِيعَةُ وَمَادَدْتُكَ
حَبْلَ الْمَصَارِمَةِ وَأَرْجُو أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُدِيلُ صَبْرِي مِنْ
جَنَائِكَ فَيَرْدُكَ إِلَى مَوَدَّتِي وَأَنْفُ الْقَلْبِ رَاغِبٌ فَقَدْ طَالَ
الْعَهْدُ بِالْإِجْمَاعِ حَتَّى كِدْنَا تَنَازَرْنَا عِنْدَ الْإِلْتِقَاءِ

وكتبَ بعضهم

لَوْ كَانَتْ الشُّكُوكُ تُفْتَلِحُنِي فِي صِحَّةِ مَوَدَّتِكَ وَكَرِيمِ
إِخَائِكَ وَدَوَامِ عَهْدِكَ لَطَالَ عَنِّي عَلَيْكَ فِي تَوَاتُرِ كُنْيَتِي
وَأَخْبَاسِ جَوَابَاتِي عَنِّي وَلَكِنَّ الثِّقَةَ بِمَا تَقْدَمُ عِنْدِي تَعْزِدُكَ
وَتَحْسِنُ مَا يُفِجُّهُ جَفَاؤُكَ وَاللَّهُ يُدِيمُ نِعْمَتَهُ لَكَ وَلَنَا بِكَ

وكتبَ آخَرُ الى بعضِ إخوانه

أَلْهَمَكَ اللَّهُ مِنَ الرُّشْدِ بِحَسَبِ مَا مَنَحَكَ مِنَ الْفَضْلِ

لَوْ أَنَّ كُلَّ مَنْ نَازَعَ إِلَى الصَّرْمِ قَلَدْنَاهُ عِنَانَ الْهَجْرِ لَكُنَّا أَوْلَى
بِالذَّنْبِ مِنْهُ وَلَكِنْ تَرُدُّ عَلَيْكَ مِنْ نَفْسِكَ وَتَأْخُذُ لَهَا مِنْكَ

وكتب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر ذي الجناحين

الى بعض إخوانه

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَاقَنِي الشُّكُّ فِي أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ الرَّأْيِ
فِيكَ أَتَدَاتِي بِلُطْفٍ عَنْ غَيْرِ خَبْرَةٍ وَأَسْقَبْتَهُ جَفَاءً مِنْ غَيْرِ
ذَنْبٍ فَأَظْمَعَنِي أَوْلُكَ فِي إِخَائِكَ وَأَبَاسِي آخِرُكَ مِنْ
وَفَائِكَ فَسُبْحَانَ مَنْ لَوْ شَاءَ لَكَشَفَ مِنْ أَمْرِكَ عَنْ عَزِيمَةِ
الرَّأْيِ فِيكَ فَأَقْمَنَا عَلَى أَثِلَافٍ وَافْتَرَقَنَا عَلَى أَخِيْلَافٍ

وكتب أحمد بن يوسف الى بعضهم

لَوْلَا حُسْنُ الظَّنِّ بِكَ أَعَزَّكَ اللَّهُ لَكَانَ فِي إِغْصَاءِكَ
عَنِّي مَا يَقْبِضُنِي عَنِ الطَّلَبَةِ إِلَيْكَ وَلَكِنْ أَمْسَكَ بِرَمِيٍّ مِنْ
الرَّجَاءِ عَلَيَّ بِرَأْيِكَ فِي رِعَايَةِ الْحَقِّ وَبَسْطِ يَدِكَ إِلَيَّ
الَّذِي لَوْ قَبَضْتَهَا عَنْهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ إِلَّا كَرْمُكَ مُذَكِّرًا
وَسُودْدُكَ شَافِعًا

وكتب العنابي الى بعض إخوانه

لَوْ أَعْنَصَمَ شَوْقِي إِلَيْكَ بِمِثْلِ سُلُوكِ عَنِّي لَمْ أَبْذُلْ وَجْهَ

الرَّغْبَةَ إِلَيْكَ وَلَمْ أَتَجَسَّمْ مَرَارَةً فَمَادِيكَ وَلَكِنْ اسْتَخَفَّنَا
صَبَابُنَا فَأَحْنَمْنَا فَسَوَّيْتُكَ لِعَظِيمِ قَدْرِ مَوْدَّتِكَ وَأَنْتَ
أَحَقُّ مِنِّي أَقْصَرَ لِصِلَتِنَا مِنْ جَفَائِهِ وَلِشَوْقِنَا مِنْ إِبْطَائِهِ
وكتب ابو بكر الخوارزمي الى صديق له لما تخلص من يد محمد بن ابراهيم
كِتَابِي وَقَدْ خَرَجْتُ مِنَ الْبَلَاءِ خُرُوجَ السَّيْفِ مِنَ
الْجِلَاءِ وَبُرُوزَ الْبَدْرِ مِنَ الظُّلُمَاءِ وَقَدْ فَارَقْتَنِي الْعِجَّةُ
وَهِيَ مُفَارِقٌ لَا يُشْتَاقُ إِلَيْهِ وَوَدَّعْتَنِي وَهِيَ مُودِّعٌ لَا يُبْكِي
عَلَيْهِ وَاتَّخَذَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيَّ مِحْنَةً بِجَلِيلِهَا وَنِعْمَةً بِبُيُولِهَا
وَبُيُولِهَا كُنْتُ أَتَوَقَّعُ أَمْسَ كِتَابِ الشَّيْخِ بِالتَّسْلِيَةِ وَالْيَوْمَ
بِالتَّهْنِيَةِ فَلَمْ يُكَاتِبْنِي فِي أَيَّامِ الْبُرْحَاءِ بِأَنْهَا غَمَّتْهُ وَلَا
فِي أَيَّامِ الرِّخَاءِ بِأَنْهَا سَرَّتْهُ وَقَدْ اعْتَذَرْتُ عَنْهُ إِلَى نَفْسِي
وَجَادَلْتُ عَنْهُ فَلَمَّا قُلْتُ أَمَا إِخْلَالُهُ بِالْأُولَى فَلَانَّهُ شَغَلَهُ
الْإِهْتِمَامُ بِهَا عَنِ الْكَلَامِ فِيهَا وَأَمَا تَغَافُلُهُ عَنِ الْآخِرَى فَلَانَّهُ
أَحَبَّ أَنْ يُوقِرَ عَلَيَّ مَرْتَبَةَ السَّابِقِ إِلَى الْإِبْدَاءِ وَيَقْتَصِرَ بِنَفْسِهِ
عَلَى مَحَلِّ الْإِفْتِدَاءِ لِتَكُونَ نِعَمُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَيَّ مُؤَفُّورَةً مِنْ
كُلِّ جِهَةٍ وَمُخَفُّوفَةً بِي مِنْ كُلِّ رُتْبَةٍ فَإِنْ كُنْتُ أَحْسَنْتُ
الْإِعْذَارَ عَنْ سَيِّدِي فَلْيَعْرِفْ لِي حَقَّ الْإِحْسَانِ وَلْيَكْتُبْ

إِلَيَّ بِالِاسْتِغْسَانِ وَإِنْ كُنْتُ أَسَاثُ فَلْيَجْبِرْنِي بِعُذْرِهِ فَإِنَّهُ
أَعْرَفُ مِنِّي بِسِرِّهِ وَلَبِئْسَ مِنِّي بِأَنِّي حَارَبْتُ عَنْهُ فَلِي
وَأَعَذَرْتُ عَنْ ذَنْبِهِ حَتَّى كَانَهُ ذَنْبِي وَقُلْتُ يَا نَفْسِ اعْذِرِي
أَخَاكَ وَخُذِي مِنْهُ مَا أَعْطَاكَ فَمَعَ الْيَوْمَ غَدٌ وَالْعَوْدُ أَحْمَدُ

فَصْلٌ

فِي التَّصَلُّ

كُتِبَ ابْنُ الرُّومِيِّ إِلَى الْقَاسِمِ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ

تَرَفَّعَ عَنْ ظُلْمِي إِنْ كُنْتُ بَرِيئًا وَتَفَضَّلَ بِالْعَفْوِ إِنْ
كُنْتُ مُسِيئًا فَوَاللَّهِ إِنِّي لَا أَطْلُبُ عَفْوَ ذَنْبٍ لَمْ أَجْهِهِ وَالنَّاسُ
الْأَقَالَةُ مِمَّا لَا أَعْرِفُهُ لِيَزْدَادَ تَطَوُّلاً وَأَزْدَادَ تَذَلُّلاً وَأَنَا
أَعِذُ حَالِي عِنْدَكَ بِكَرَمِكَ مِنْ وَاشْ يَكِيدُهَا وَأَحْرُسُهَا
بِوَفَائِكَ مِنْ بَاغٍ يُجَاوِلُ إِفْسَادَهَا وَأَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ
يَجْعَلَ حَظِّي مِنْكَ بِقَدْرِ وُدِّي لَكَ وَمَحَلِّي مِنْ رَجَائِكَ بِمَحَبَّتِي
أَسْتَخِيقُ مِنْكَ

وَكُتِبَ آخِرُ إِلَى بَعْضِهِمْ

أَنْتَ أَعَزُّكَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِالْعَفْوِ وَالْعُقُوبَةِ مِنْ أَنْ تُجَارِيَنِي

يَا لِسُوٍّ عَلَى ذَنْبٍ لَمْ أَجْهِ بِيَدٍ وَلَا لِسَانٍ بَلْ جَنَاهُ عَلَى لِسَانٍ
وَأَشْيَ فَمَا قَوْلُكَ إِنَّكَ لَا تُسَهِّلُ سَبِيلَ الْعُذْرِ فَأَنْتَ أَعْلَمُ
بِالْكَرَمِ وَأَرْغَى لِلْحَقُوفِ وَأَقْعَدُ بِالشَّرَفِ وَأَحْظُ لِلذِّمَّةِ مِنْ
أَنْ تَرُدَّ يَدَ مُؤْمِلِكَ صِفْرًا مِنْ عَفْوِكَ إِذَا التَّمَسَّ وَمِنْ عَذْرِكَ
إِذَا جَعَلَ فَضْلَكَ شَافِعًا فِيهِ وَذَرِيعَةً لَهُ

وكتب بديع الزمان الممداني الى ابي علي بن مشكويه

وَيَا عَزَّزَ إِنَّ وَاشٍ وَشَى بِي عِنْدَكُمْ
فَلَا تَهْلِيهِ أَنْ تَقُولَ لَهُ مَهَلًا
كَمَا لَوْ وَشَى وَاشٍ بِعِزَّةٍ عِنْدَنَا
لَقُلْنَا تَرْحُزْخَ لَا قَرِيًّا وَلَا أَهْلًا

بَلَّغْنِي أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ أَنْ عَثَرَ الشَّرِّ دَبَّتْ إِلَيْهِ
بِأَحَادِيثِ كَمْ يُعْرِهَا اتَّحَقُّ نُورُهُ وَلَا الصِّدْقُ ظُهُورُهُ وَأَنَّهُ
أَدَامَ اللَّهُ عِزَّهُ أَذِنَ لَهَا عَلَى مَجَالِ أُذُنِهِ وَفَسَحَ لَهَا فِتَاءَ ظَنِّهِ
وَمَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أَقُولَهَا وَأَسْتَحْجِزَ مَعْقُولَهَا بَلْ قَدْ كَانَ
بَيْنِي وَبَيْنَ الشَّيْخِ الْفَاضِلِ عِتَابٌ لَا يَتَعَدَّى النَّفْسَ وَضَمِيرَهَا
وَحَدِيثٌ لَا يَعْرِفُ الشُّفَّةَ وَسَمِيرَهَا وَوَحْشَةٌ يَكْشِفُهَا عِتَابٌ
لَحْظَةٍ كَعِتَابِ جَحْظَةٍ فَسُجَّانَ مَنْ رَأَى هَذَا الْأَمْرَ حَتَّى

صَارَ أَمْرًا وَنَابَطَ شَرًّا وَأَوْجَبَ عَذْرًا وَأَوْحَشَ حُرًّا
وَسُبَّحَانَ مَنْ جَعَلَنِي فِي جَنْبِ الْعَذْرِ أَشِيمُ بَارِقَتِهِ وَأَسْتَجْلِي
صَاعِقَتَهُ وَأَنَا الْمُسَاءُ إِلَيْهِ وَالْعَجَبِيُّ عَلَيْهِ لَكِنْ مَنْ بُلِي
مِنَ الْأَعْدَاءِ بِمِثْلِ مَا بُلِيتُ وَرُمِي مِنَ الْحَسَدِ بِمَا رُمِيتُ
وَوَقَفَ مِنَ التَّوْحِيدِ وَالْوَحْدَةِ حَيْثُ وَقَفْتُ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ
مِنَ الْمَكَارِهِ مَا وَصَفْتُ أَعْتَذَرَ مَظْلُومًا وَضَحِكَ مَشْتُومًا
وَلَوْلَا أَنَّ الْعَذْرَ إِقْرَارٌ بِمَا فِيلَ وَأَجْرُهُ أَنْ أَسْتَقِيلَ
لَبَسَطْتُ فِي الْأَعْتِدَارِ شَانِزُوا أَنَا وَدَخَلْتُ فِي الْأِسْتِقَالَةِ
مِيدَانًا لَكِنَّهُ أَمْرٌ لَمْ أَضَعْ أَوَّلَهُ فَلَمْ أُنْدَارِكْ آخِرَهُ وَلَعَلَّ
الْشَيْخَ أَبَا مُحَمَّدٍ أَبَدَهُ اللَّهُ يَقُومُ مِنَ الْأَعْتِدَارِ بِمَا قَعَدَعَنَّهُ
أَقْلَمُ فَنِعْمَ رَائِدُ الْفَضْلِ هُوَ وَالسَّلَامُ

فصل

في المَدْحِ وَالنُّصْرِ

كتب أحمد بن مكرم إلى أحمد بن المديني

إِنَّ جَمِيعَ أَكْفَائِكَ وَنُظَرَائِكَ يَتَنَارَعُونَ الْفَضْلَ فَإِذَا
أَنْتَهَوْا إِلَيْكَ أَقْرُوا لَكَ وَيَتَنَافَسُونَ الْمَنَازِلَ فَإِذَا بَلَغُوكَ

وَقَفُّوا دُونَكَ فَرَادَكَ اللَّهُ وَزَادَنَا بِكَ وَفِيكَ وَجَعَلَنَا مِنْ
يَقْبَلُهُ رَأْيُكَ وَيَقْدِمُهُ اخْتِيَارُكَ وَنَفَعَ مِنَ الْأُمُورِ بِمَوْجِعِ
مُوافَقَتِكَ وَتَجَرَّى فِيهَا عَلَى سَبِيلِ طَاعَتِكَ

وكتب بعضهم

إِنْ مِنَ النِّعْمَةِ عَلَى الْمُتَنِي عَلَيْكَ أَنْ لَا تَخَافَ الْإِفْرَاطَ
وَلَا يَأْمَنَ التَّقْصِيرَ وَيَأْمَنُ أَنْ تَلْعَنَهُ نَيْصَةُ الْكُذْبِ وَلَا يَنْتَهِي
بِوَالِدِ الْمَدْحِ إِلَى غَايَةٍ إِلَّا وَجَدَ فَضْلَكَ تَجَاوَزَهَا

وكتب آخر إلى بعضهم

إِنِّي فِيهَا أَنْعَاطِي مِنْ مَدْحِكَ كَأَلْتَحَبِيرٍ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ
الزَّاهِرِ وَالنَّهْرِ الْبَاهِرِ الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَى كُلِّ نَاطِقٍ
وَأَيُّنْتُ أَنِّي حَبْتُ أَنْتَهَى بِي الْأَمَلُ مَسُوبٌ إِلَى الْعَجْزِ مُقْصِرٌ
عَنِ الْغَايَةِ فَأَنْصَرَفْتُ مِنَ الثَّنَاءِ عَلَيْكَ إِلَى الدُّعَاءِ لَكَ
وَوَكَّلْتُ الْأَخْبَارَ عَنْكَ إِلَى أَعْلَمِ النَّاسِ بِكَ

وكتب ابو الفضل بدیع الزمان الممداني الى الشيخ الإمام ابي
الطيب سهل

وَلَمَّا وَقَعَ بِخُرَّاسَانَ مَا وَقَعَ مِنْ حَرْبٍ وَجَرَى مَا جَرَى
مِنْ خَطْبٍ وَأَضْطَرَبَتِ الْأُمُورُ وَأَخْلَفَتِ السُّيُوفُ وَالْتَفَتِ

الْجُمُوعُ وَظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ وَخَسِرَ مَنْ خَسِرَ كُنِّيَ اللَّهُ فِي
 الْأَعْلَيْنِ مَقَامًا ثُمَّ الْهَمْنِي الْأَمْدَادَ عَنْ تِلْكَ الْإِلَادِ
 وَالْإِفْلَاعَ عَنْ تِلْكَ الْبِقَاعِ وَأَحْسَنَ اللَّهُ الدِّفَاعَ عَنْ
 خَيْرِ الْأَعْلَاقِ وَهُوَ الرَّاسُ بِمَا دُونَ الْأَعْرَاضِ وَهُوَ اللَّبَاسُ
 فَلَمْ يَخْرُجْ لِمَرَضِ الْحَالِ مَعَ سَلَامَةِ النَّفُوسِ وَلَمْ يَخُزْنَ
 لِدَهَابِ الْمَالِ مَعَ بَقَاءِ الرُّؤُوسِ وَسِرْنَا حَتَّى وَرَدْنَا
 عَرَصَةَ الْعَدْلِ وَسَاحَةَ الْفَضْلِ وَمَرْجِعَ الْحَمْدِ وَمَشْرِعَ
 الْعَجْدِ وَمَطْلِعَ التَّجُودِ وَمَنْزِعَ الْأَصْلِ وَمَشْعَرَ الدِّينِ وَمَنْزِعَ
 الشُّكْرِ وَمَصْرِعَ الْفَقْرِ حَضْرَةَ الْمَلِكِ الْعَادِلِ أَبِي أَحْمَدَ
 خَلَفِ بْنِ أَحْمَدَ فَكَانَ مَا أَضَعْنَاهُ كَأَنَّا زَرَعْنَاهُ فَأَبَتْ
 سَبْعَ سَنَابِلٍ وَكَانَ مَا فَقَدْنَاهُ كَأَنَّا أَقْرَضْنَاهُ هَذَا الْمَلِكُ
 الْعَادِلُ وَكَأَنَّمَا سَمِيَّ خَلْفًا لِيَكُونَ عَنْ كُلِّ فَائِتٍ خَلْفًا
 وَعَنْ كُلِّ مَا مَضَى عِوَضًا وَكَأَنَّمَا جِئْنَاهُ لِيُضَيِّقَ عَلَيْنَا الْعَالَمُ
 وَيَغْفِضَ إِلَيْنَا بَنِي آدَمَ فَيَجْعَلَ حَسَنًا مَحْسِنًا وَقَبْدَنَا
 الْإِحْسَانَ وَكَأَنَّمَا خُلِقَ لِلدُّنْيَا تَحْيِيلاً وَلِلْمُلُوكِ تَحْيِيلاً
 وَكَأَنَّ هَذَا الْعَالَمَ قَدْ أَحْسَنَ عَمَلًا فَجُعِلَ هَذَا الْمَلِكُ
 نَوَابَهُ وَكَأَنَّ هَذَا الْمَلِكَ قَدْ أَذْنَبَ مَثَلًا فَجُعِلَ هَذَا الْعَالَمُ

عِقَابُهُ فَهُوَ الْجَزُّ بِمِثْلِي عَلَى رَجُلَيْنِ وَالْعَجْدُ يَتَصَوَّرُ فِي
 الْعَيْنِ وَالْعَدْلُ يَنْتَسِمُ وَالْحُجُودُ يَنْجَسُّ وَالْجَزُّ يَتَكَلَّمُ
 فَلَمَّا التَّقِينَا فَرَشْتُ الْأَرْضَ بِيَدِي فَرَشًا وَتَقَشْتُ التُّرَابَ
 بِنَفْيِ تَقَشَّا وَخَطَا إِلَى خَطَوَاتِ كَادَتْ الْأَرْضُ لَا تَسْعَاهَا
 وَكَادَتْ الْمَلَائِكَةُ تَرْفَعُهَا ثُمَّ إِنَّهُ زَيْفٌ بِلِقْيَايَ وَفُودَ الْكَلَامِ
 كَمَا زَيْفْتُ بِلِقْيَاةِ مُلُوكِ الْأَنَامِ وَأَفْسَدَنِي عَلَى النَّاسِ مِنْ
 جَمِيعِ الْأَجْنَاسِ فَمَا أَرْضَى غَيْرَهُ أَحَدًا وَلَا أَجِدُ مِثْلَهُ
 أَبَدًا وَإِنْ طَلَبْتُ مُلُوكًا فِي أَخْلَافِهِ مَثٌ وَلَمْ أَلَا فِيهِ
 أَوْ كَرِيمًا فِي جُودِهِ عُدِمْتُ قَبْلَ وَجُودِهِ فَحَرَسَ اللَّهُ
 سُلْطَانَهُ مِنْ مَلِكٍ وَسَعَّ أَرْزَاقِي فَضِيقَ أَخْلَاقِي وَأَعْلَى
 نَهْيِي فَمَا يَشْتَرِيَنِي أَحَدٌ وَعَظَّمَ أَمْرِي فَمَا يَسْعُنِي بَلَدٌ وَهَذَا
 وَصَفٌ إِنْ أَطْلَعْتُهُ طَالَ وَنَشَرَ الْأَذْيَالَ وَأَسْتَفْرِقَ
 الْفَرِطَاسَ بَلِ الْإِنْسَانَ وَأَسْتَنْفِدَ الْأَعْمَارَ بَلِ الْأَعْصَارَ
 وَلَمْ يَبْلُغِ الْعِشَارَ وَأَفْنَى الْأَقْلَامَ بَلِ الْكَلَامَ وَلَمْ
 يَبْلُغِ الْقَامَ

وكتب الحسن بن وهب إلى بعضهم

مَنْ شَكَرَكَ عَلَى دَرَجَةٍ رَفَعَتْهُ إِلَيْهَا أَوْ تَرَوُهُ أَقْدَرَتْهُ

عَلَيْهَا فَإِنَّ شُكْرِي لَكَ عَلَى مُنْجِيَةِ أَحْيَيْتَهَا وَحُشَاشَةِ أَبْقَيْتَهَا
وَرَمَقِ أَمْسَكَتَ بِهِ وَقُمْتَ بَيْنَ أَلْفٍ وَبَيْنَهُ فَلِكُلِّ نِعْمَةٍ مِنْ
نِعَمِ الدُّنْيَا حَدَّثْتَنِي إِلَيْهِ وَمَدَى يُوقِفُ عِنْدَهُ وَغَايَةَ مِنَ الشُّكْرِ
يَسْمُو إِلَيْهَا الطَّرْفُ خَلَا هَذِهِ النِّعْمَةَ الَّتِي قَدْ فَاقَتْ الْوَصْفَ
وَأَطَالَتِ الشُّكْرَ وَتَجَاوَزَتْ قُدْرَهُ وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ غَايَةٍ
رَدَدْتَ عَنَّا كَيْدَ الْعَدُوِّ وَأَرْغَمْتَ أَنْفَ الْحَسُودِ فَتَحْنُ نَلْجَأُ
مِنْكَ فِيهَا إِلَى ظِلِّ ظَلِيلٍ وَكَتَفِ كَرِيمٍ فَكَيْفَ يَشْكُرُ الشَّاكِرُ
وَأَيْنَ يَتَلَعَّجُ جَهْدُ الْمُجْتَهِدِ

وكتب ابو الفضل الميكالي الى بعضهم من رسالة

فَأَمَّا الشُّكْرُ الَّذِي أَعَارَنِي رِكَاءَهُ وَقَلَدَنِي طَوْفَهُ وَسَنَاءَهُ
فَهِيَاتِ أَنْ يَنْتَسِبَ إِلَّا إِلَى عَادَاتِ فَضْلِهِ وَإِفْضَالِهِ أَوْ
يَسِيرَ إِلَّا تَحْتَ رَايَاتِ عُرْفِهِ وَنَوَالِهِ وَهُوَ تَوْبٌ لَا يَجْلَى إِلَّا
بِذِكْرِهِ طِرَازُهُ وَأَسْمُهُ حَقِيقَتُهُ وَلِسَوَاهُ مَجَازُهُ وَلَوْ أَنَّه حِينَ
مَلَكَ رِفِّي بِأَيْدِيهِ وَأَخْجَزَ وَسْعِي عَنْ حُقُوقِ مَكَارِمِهِ وَمَسَاعِيهِ
خَلَّى لِي مَذْهَبَ الشُّكْرِ وَمِيدَانَهُ وَلَمْ يَجَاذِبْنِي زِمَامُهُ وَعَيْنَانَهُ
لَتَعَلَّقْتُ فِي بُلُوغِ بَعْضِ الْوَاجِبِ بِعُرْوَةِ طَمَعٍ وَنَهَضْتُ
فِيهِ وَلَوْ عَلَى وَهْنٍ وَظَلَمٍ وَلَكِنَّهُ يَا بِي إِلَّا أَنْ يَسْتَوْلِيَ عَلَى

أَمَدِ الْفَضَائِلِ وَيَتَسَنَّ ذَرَى الْغَوَارِبِ مِنْهَا وَالْكَوَاهِلِ فَلَا
يَدْعُ فِي الْعَبْدِ غَايَةَ إِلَّا سَبَقَ إِلَيْهَا فَارِطًا وَتَخَلَّفَ سِوَاهُ
عَنْهَا حَسِيرًا سَافِطًا لِيَكُونَ الْعَالِي بِأَسْرِهَا مَجْمُوعَةً فِي
مِلْكِهِ مَنظُومَةً فِي سِلْكِهِ خَالِصَةً لَهُ مِنْ دَعْوَى الْقَسِيمِ
وَسِرِّهِ

فَصْلٌ

فِي الْعِبَادَةِ

كتب بعضهم الى صديق له

كَيْسَتْ حَالِي أَكْرَمَكَ اللَّهُ فِي الْإِغْنِيَامِ بِعِلَّتِكَ حَالِ
الْمُشَارِكِ فِيهَا بِأَنْ يَنَالَنِي نَصِيبٌ مِنْهَا وَأَسْلَمَ مِنْ أَكْثَرِهَا
بَلْ أَجْتَمَعَ عَلَيَّ مِنْهَا أَلْيَ مَخْصُوصٍ بِهَا دُونَكَ مُؤَلَّمٍ مِنْهَا بِمَا
يُؤَلِّمُكَ فَاسْأَلِ اللَّهَ الَّذِي جَعَلَ عَافِيَتِي فِي عَافِيَتِكَ أَنْ
يُخَصِّنِي بِهَا فِيكَ فَإِنَّهَا شَامِلَةٌ لِي وَلَكَ

وكتب بعضهم

لَكِنْ تَخَلَّفْتُ عَنْ عِبَادَتِكَ بِالْعُذْرِ الْوَاضِحِ مِنَ الْعِلَّةِ مَا
أَغْفَلَ قَلْبِي ذِكْرَكَ وَلَا لِسَانِي قِحْصًا عَنْ خَيْرِكَ وَمُحِبِّكَ يُحِبُّ

أَنْ تَنْقَسِمَ جَوَارِحُهُ وَصَبَّكَ وَإِنْ زَادَ فِي أَلْبِهَاءِ أَلْمَكِ وَأَنْ
تُصِلَ بِهِ أَحْوَالَكَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَلَمَّا بَلَغَنِي إِفَاقُكَ
كَتَبْتُ مُهَيَّئًا بِالْعَافِيَةِ مُعْفِيًا مِنَ الْجَوَابِ إِلَّا بَخْبَرِ السَّلَامَةِ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ

وكتب بعضهم

إِنَّ الَّذِي يَعْلَمُ حَاجَتِي إِلَى بَقَائِكَ قَادِرٌ عَنِ الْمُدَافَعَةِ
عَنْ حَوَائِكَ فَلَوْ قُلْتُ إِنَّ الْحَقَّ قَدْ سَطَعَ عَنِّي فِي عِبَادَتِكَ
لَأَنِّي عَلِيلٌ بِعِلَّتِكَ لَقَامَ بِذَلِكَ شَاهِدٌ عَدْلٌ فِي ضَمِيرِكَ وَأَثَرٌ
بَادٍ فِي حَالِي لِغَيْبَتِكَ وَأَصْدَقُ الْخَبَرِ مَا حَقَّقَهُ الْأَثَرُ وَأَفْضَلُ
الْقَوْلِ مَا كَانَ عَلَيْهِ دَلِيلٌ مِنَ الْفِعْلِ

وكتب ابن الرومي الى بعضهم

أَذِنَ اللَّهُ فِي شِفَائِكَ وَتَلَقَّى دَاعَاكَ بِدَوَائِكَ وَمَسَحَ
بِيَدِ الْعَافِيَةِ عَلَيْكَ وَوَجَّهَ وَفَدَّ السَّلَامَةَ إِلَيْكَ وَجَعَلَ
عِلَّتَكَ مَاحِيَةً لِدُؤُوبِكَ مُضَاعِفَةً لثَوَابِكَ

وكتب ابو بكر الخوارزمي الى تلميذه له

وَصَلَ كِتَابُكَ يَا سَيِّدِي فَسَرَّنِي نَظْرِي إِلَيْهِ ثُمَّ غَمَّنِي
أُطْلَاعِي عَلَيْهِ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنْ ذِكْرِ عِلَّتِكَ جَعَلَ اللَّهُ أَوْلَهَا

كَفَّارَةً وَآخِرَهَا عَافِيَةً وَلَا أَعْدَمَكَ عَلَى الْأُولَى أَجْرًا وَعَلَى
 الْآخِرَى شُكْرًا وَبُودِي لَوْ قَرُبَ عَلَيَّ مُتَنَاوِلُ عِيَادَتِكَ
 فَأَحْبَمْتُ عَنْكَ بِالْعَهْدِ وَالْمُسَاعَدَةِ بَعْضَ أَعْبَاءِ عَلَيْكَ
 فَلَقَدْ خَصَّنِي مِنْ هَذِهِ الْعِلَّةِ فَنَسَمَ كَفْسِيكَ وَمَرَضَ قَلْبِي
 فِيكَ لِمَرَضِ جِسْمِكَ وَأُظِنُّ أَنِّي لَوْ لَقَيْتُكَ عَلِيلًا لَا أَنْصَرَفْتُ
 عَنْكَ وَأَنَا أَعْلَى مِنْكَ فَإِنِّي بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى جَلَدَ عَلَى
 أَوْجَاعِ أَعْضَائِي غَيْرُ جَلَدٍ عَلَى أَوْجَاعِ أَصْدِقَائِي يَسُو
 عَنِّي سَهْمُ الدَّهْرِ إِذَا رَمَانِي وَيَنْفُذُ فِي إِذَا رَمَى إِخْوَانِي
 فَأَقْرَبُ سِهَامِي مِنِّي أَبْعَدُ سِهَامِي عَنِّي كَمَا أَنَّ أَبْعَدَهَا عَنِّي
 أَقْرَبُهَا مِنِّي شَفَاكَ اللَّهُ وَعَافَاكَ وَكَفَانِي فِيكَ الْعُدُورَ
 وَكَفَاكَ وَرَفَعَ جَنْبَكَ وَغَفَرَ ذَنْبَكَ وَأَمَّنَ سِرْبَكَ
 وَشَرَحَ قَلْبَكَ وَأَعْلَى كَعْبَكَ

فَصْلٌ

فِي الْأَمْنَاءِ

كتب سعيد بن حميد إلى بعض أهل السلطان في يوم النبروز
 أيها السيد الشريف عشت أطول الأعمار بيزياد من

الْعُمْرُ مَوْصُولَةٌ بِفَرَائِضِهَا مِنَ الشُّكْرِ لَا يَنْقُضِي حَقُّ نِعْمَةٍ
 حَتَّى يَجِدَّ لَكَ أُخْرَى وَلَا يَهْرُ بِكَ يَوْمٌ إِلَّا كَانَ مُقْصِرًا
 عَمَّا بَعْدَهُ مُوفِيًا عَمَّا قَبْلَهُ. إِنِّي تَصَفَّيْتُ أَحْوَالَ الْأَتْبَاعِ الَّذِينَ
 يَجِبُ عَلَيْهِمُ الْهَدَايَا إِلَى السَّادَةِ وَالْتَمَسْتُ النَّاسِيَّ بِهِمْ فِي
 الْإِهْدَاءِ وَإِنْ قَصَرْتُ بِي الْحَالُ عَنِ الْوَاجِبِ فَوَجَدْتُ أَنِّي
 إِنْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي فِيهِ مِلْكٌ لَكَ لَأَحْظُ فِيهَا لِغَيْرِكَ. وَرَمَيْتُ
 بِطَرْفِي إِلَى كَرَامِ مَالِي فَوَجَدْتُهَا مِنْكَ فَإِنْ كُنْتُ أَهْدَيْتُ
 مِنْهَا شَيْئًا فَإِنِّي لَهَدِي مَالَكَ إِلَيْكَ. وَتَزَعْتُ إِلَى مَوَدَّتِي فَوَجَدْتُهَا
 خَالِصَةً لَكَ قَدِيمَةً غَيْرَ مُسْتَحْدَثَةٍ فَرَأَيْتُ إِنْ جَعَلْتُهَا هَدِيَّتِي
 أَنِّي لَمْ أَجِدْ لِهَذَا الْيَوْمِ التَّجْدِيدَ بَرًّا وَلَا لَطْفًا. وَلَمْ أُمِيزْ
 مَنَزَلَةَ مَنْ شُكْرِي بِمَنَزَلَةٍ مِنْ نِعْمَتِكَ إِلَّا كَانَ الشُّكْرُ مُقْصِرًا
 عَنِ الْحَقِّ وَالنِّعْمَةُ زَائِدَةً عَلَى مَا تَبْلُغُهُ الطَّاقَةُ فَجَعَلْتُ الْاعْتِرَافَ
 بِالْقَصْرِ عَنْ حَقِّكَ هَدِيَّةً إِلَيْكَ وَالْإِقْرَارَ بِالْقَصْرِ عَمَّا
 يَجِبُ لَكَ بَرًّا أَوْصَلَ بِهِ إِلَيْكَ وَقُلْتُ فِي ذَلِكَ

إِنْ أَهَدَيْتُ مَالًا فَهُوَ وَاهِبُهُ وَهُوَ الْحَقِيقُ عَلَيْهِ بِالشُّكْرِ
 أَوْ أَهَدَيْتُ شُكْرِي فَهُوَ مُزْنُهُ بِجَبِيلِ فِعْلِكَ آخِرَ الدَّهْرِ
 وَالشُّكْرُ تَسْتَفْنِي إِذَا طَلَعَتْ أَنْ تَسْتَفْنِي بِسَنَةِ الْبَدْرِ

وكتب ابراهيم بن المهدي الى صديقه له

لَوْ كَانَتْ التُّخَفَةُ عَلَى حَسَبِ مَا يُوجِبُهُ خُتُّكَ لَا جَفَفَ بِنَا
أَدْنَى حُقُوقِكَ وَلَكِنَّهَا عَلَى قَدَرٍ مَا يُخْرِجُ مِنَ الْوَحْشَةِ وَيُوجِبُ
الْأَنْسَ وَقَدْ بَعَثْتُ بِكَذَا وَكَذَا

فصل

في التهنئة

كتب ابو الفضل بن العميد الى عضد الدولة بهتة بولدته

أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ الْأَجَلِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ وَأَدَامَ
عِزَّهُ وَتَأَيَّدَهُ وَعُلُوَّهُ وَتَهَيَّيْدَهُ وَبَسْطَتَهُ وَتَوَطَّيْدَهُ وَظَاهَرَ
لَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مَزِيدَهُ وَهَنَأَهُ بِمَا أَحْظَاهُ بِهِ عَلَى قُرْبِ الْبِلَادِ
مِنْ تَوْفِيرِ الْأَعْدَادِ وَتَكْثِيرِ الْأَمْدَادِ وَشَرِّ الْأَوْلَادِ وَأَرَاهُ
مِنَ النَّجَابَةِ فِي الْبَيْنِ وَالْأَسْبَاطِ مَا أَرَاهُ مِنَ الْكَرَمِ فِي الْآبَاءِ
وَالْأَجْدَادِ وَلَا أَخْلَى عَيْنَهُ مِنْ قُرَّةٍ وَنَفْسَهُ مِنْ مَسْرُورٍ
وَمُتَجَدِّدِ نِعْمَةٍ وَمُسْنَأَفٍ مَكْرَمَةٍ وَزِيَادَةٍ فِي عَدَدِهِ وَفَسَحٍ
فِي أَمْدِهِ حَتَّى يَبْلُغَ غَايَةَ مَهْلِهِ وَيَسْتَفْرِقَ نِهَايَةَ أَمَلِهِ وَيَسْتَوْفِيَ
مَا بَعْدَ حُسْنِ ظَنِّهِ وَعَرَفَهُ اللَّهُ السَّعَادَةَ فِيمَا بَشَّرَ بِهِ عَبْدُهُ مِنْ

طُلُوعِ بَدْرَيْنِ هُمَا أَنْبَعَا مِنْ نُورِهِ وَأَسْتَنَارَا مِنْ دُورِهِ
وَحَفَا بِسَرِيرِهِ وَجَعَلَ وَقْدَهُمَا مِثْلَ تَمِينٍ وَوُورَهُمَا تَوَامِينِ
بَشِيرَيْنِ بِيْظَاهِرِ النِّعَمِ وَتَوَافُرِ الْقِسَمِ وَمُؤْذِنَيْنِ بِتَرَادُفِ
بَيْنِ بَشْرِقِ بِنُورِهِمْ أَفْقُ الْعَلَاءِ وَيَنْتَهِي بِهِمْ أَمَدُ النَّمَاءِ
إِلَى غَايَةِ تَقْوَتْ غَايَةِ الْإِحْصَاءِ

وكتب ابو الفضل بديع الزمان المصنفي الى طاهر الداودي بهشة مولود
حقاً لقد أنجز الأقبال وعده ووافق الطالع سعه
وإن الشان فيما بعده وحذا الأصل وفرعه وبورك
الغيث وصوبه وأبوع الروض ونوره وحذا سماءه أطلعت
فرقداً وغاية أبرزت أسداً وظهر وافق سنداً وذكر يتي
أبداً ومجد يسمى ولداً وشرف لحمه وسدي
أنجب كل من والده به إذ تجلاه فينعم ما تجلا
فألفياه شهاب ذكاء وبدر علاء

ووجداه ابن جلا أبيض يدعى الجفلى
لميله أو لا فلا إذا الندى أخفلا

وكتب بعضهم بهي صديقاً له بالقدم من صفي

أهني سيدي ونفسي بما يسر الله من قلوبه سالماً وأشكر

اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ شُكْرًا دَائِمًا غِيَّةُ الْمَكَارِمِ مَقْرُونَةٌ بِغِيَّةِكَ
وَأَوْبَةُ النِّعَمِ مَوْصُولَةٌ بِأَوْبِكَ فَوَصَلَ اللَّهُ تَعَالَى قُدُومَكَ
مِنَ الْكِرَامَةِ بِأَضْعَافٍ مَا قَرَنَ بِهِ مَسِيرَكَ مِنَ السَّلَامَةِ

وكتب بعضهم تهمة بالنبروز

أَقْبَلَ النِّبْرُوزُ إِلَى سَيِّدِنَا نَاشِرًا حُلَّةَ الْإِلَهِيِّ اسْتَعَارَهَا مِنْ
شَيْمَنِهِ وَمُبْدِيًا حُلِيَّةَ الْإِلَهِيِّ أَخَذَهَا مِنْ سَجِيئِهِ وَمُسْتَضِيًّا مِنْ
أَنْوَارِهِ مَا أَكْنَسَاهُ مِنْ مَحَاسِنِ فَضْلِهِ وَإِكْرَامِهِ وَمِنْ
أَنْظَارِهِ مَا أَقْتَبَسَهُ مِنْ جُودِهِ وَإِنْعَامِهِ وَمُؤَكِّدًا لِلْوَعْدِ
بِطُولِ بَقَائِهِ حَتَّى يَهْلَ الْعُمُرُ وَيَسْتَفْرِقَ الدَّهْرُ فَلَا زَالَ
يَلْبَسُ الْأَيَّامُ وَيُجْلِيهَا وَهُوَ جَدِيدٌ وَيَقْطَعُ مَسَافَةَ نَحْسِهَا وَهُوَ
سَعِيدٌ وَلَا زَالَ أَمْرًا نَاهِيًا فَاهِرًا عَالِيًا تَهْبِئُ الْأَعْيَادُ
بِمُصَادَقَةِ سُلْطَانِهِ وَتَسْتَفِيدُ الْعَاسِينَ مِنْ رِيَاضِ إِحْسَانِهِ

فصل

في الاستزارة

كتب الوزير الكاتب أبو الفضل بن حمداي إلى عبد الرحمن بن طاهر

مَحَلَّكَ أَعَزَّكَ اللَّهُ فِي طَلَبِ الْمَجَوانِحِ ثَابِتٌ وَإِنْ نَزَحَتْ

الدَّارُ وَعِيَانِكَ فِي أَحْنَاءِ الصُّلُوعِ بَادٍ وَإِنْ شَحَطَ الْمَزَارُ
فَالنَّفْسُ فَائِزَةٌ مِنْكَ بِتَمَثُّلِ الْخَاطِرِ بِأَوْقَرِ الْحَظِّ وَالْعَيْنُ
نَارِعَةٌ إِلَى أَنْ تَمْتَعَ مِنْ لِقَائِكَ بِظَفْرِ الْحَظِّ فَلَا عَائِدَةَ
أَسْبَغُ بُرْدًا وَلَا مَوْهَبَةَ أَسْوَعُ وَرَدًا مِنْ تَفَضُّلِكَ بِأَخْفُوفِ
إِلَى مَا نَسِيَ يَتِمُّ بِشَاهِدِكَ الْثَنَامُ وَيَتَّصِلُ بِمَحَاضِرِكَ
اتِّظَامُهُ وَلَكَ فَضْلُ الْإِجْمَالِ بِالْإِمْتِنَاعِ مِنْ ذَلِكَ بِأَعْظَمِ
الْأَمَالِ وَحَسْبِي مَا تَحَقُّقُهُ مِنْ بَزَائِي وَتَشَوُّفِي وَتَنَبُّهُ مِنْ
تَطْلُعِي وَتَشَوُّفِي وَقَدْ تَمَكَّنَ الْإِزْنِياجُ بِأَسْنَحَاكِ الثَّنَةِ
وَأَعْتَرَضَ الْإِنْزَاجُ بِأَرْتَقَابِ الصَّلَةِ وَأَنْتَ وَصَلَّ اللَّهُ سَعْدَكَ
بِسَمَاحَةِ شَيْمِكَ وَبَارِعِ كَرَمِكَ تُنَشِّئُ لِلْمَوَاسِمَةِ عَهْدًا
وَتُورِي بِالْمَكَارِمَةِ زَنْدًا وَتَقْتَضِي بِالْمُشَارَكَةِ شُكْرًا حَافِلًا
وَحَمْدًا لَا زِلَّ مَهْنًا بِالسُّعُودِ الْمُتَنَبِّلَةِ مُسَوِّغًا أَجِلًا
غُرِّ الْأَمَانِي الْمَهْلِلَةِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ

وكتب الوزير الكاتب أبو القاسم بن السقاط إلى صديقه له

يَوْمَنَا أَعَزَّكَ اللَّهُ يَوْمٌ قَدْ تَقَبَّتْ شَمْسُهُ بِقِنَاعِ الْعَمَامِ
وَذَهَبَتْ كَأْسُهُ بِشُعَاعِ الْمَدَامِ وَتَحْنُ مِنْ فِطَارِ الْوَسْمِ
فِي رِدَاءِ هَدْيٍ وَمِنْ نَضِيرِ النُّوَارِ عَلَى نَظِيرِ النُّضَارِ

وَمِنْ بَوَاسِمِ الزَّهْرِ فِي لَطَائِمِ الْعِطْرِ وَمِنْ غُرِّ النَّدْمَانِ
 بَيْنَ زَهْرِ الْبُسْتَانِ وَمِنْ حَرَكَاتِ الْأَوْتَارِ خِلَالَ نَفَمَاتِ
 الْأَطْيَارِ وَمِنْ سَفَاهِ الْكُؤُوسِ وَمَعَاطِي الْمَدَامِ بَيْنَ
 مُشْرِقَاتِ الشَّمْسِ وَعَوَاطِي الْأَرَامِ فَرَايَكَ فِي مُصَافَحَةِ
 الْأَقْمَارِ وَمُنَافَحَةِ الْأَنْوَارِ وَأَجِلَاءِ غُرْرِ الظُّبَاءِ الْمَجَازِي
 وَاتِّفَاءِ دُرْرِ الْفَنَاءِ الْمَجَازِي مُوقَفًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى

وكتبه الصاحبُ ابنُ عبادٍ إلى صديقِهِ

نَحْنُ يَا سَيِّدِي فِي مَجْلِسٍ غَنِيٍّ إِلَّا عَنْكَ شَاكِرُ الْأَمِينِ
 قَدْ تَفَنَّنَتْ فِيهِ عَيُونُ التَّرْجِسِ وَتَوَرَّدَتْ خُدُودُ الْبَنَفَسِ
 وَفَاحَتْ مَجَامِرُ الْأَتْرَجِ وَفَتَقَتْ قَارَاتُ النَّارِخِ وَأَنْطَلَقَتْ
 أَلْسُنُ الْعِبْدَانِ وَقَامَتْ خُطَبَاءُ الْأَطْيَارِ وَهَبَتْ رِيَاحُ الْأَقْدَاحِ
 وَتَفَقَّتْ سَوَى الْأَنْسِ وَقَامَ مُنَادِي الطَّرَبِ وَأَمْدٌ سَحَابُ
 النَّدَى فَجَبَانِي إِلَّا مَا حَضَرَتْ فَقَدْ أَبَتْ رَاحُ مَجْلِسِنَا أَنْ تَصِفُو
 إِلَّا أَنْ نَتَنَاوَلَهَا يُمْنًا وَأَقْسَمَ غِنَاؤُهُ أَنْ لَا يَطِيبَ حَتَّى
 تَعِيَهُ أَذْنَاكَ فَخُدُودُ نَارِخِهِ قَدْ أَحْمَرَتْ خَجَلًا لِإِبْطَائِكَ
 وَعَيُونُ تَرْجِسِهِ قَدْ حَذَقَتْ تَأْمِيلًا لِلْقَائِمِ

وكتب ابو الطيب المتنبي الى صديق له كان يزوره ايام اعتلاله
 وانقطع عنه عند ابلاله
 وَصَلْتَنِي وَصَلَكَ اللَّهُ مُعْتَلًّا وَقَطَعَنِي مُبِلًّا فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ لَا
 تُكْثِرَ الصِّحَّةَ عَلَيَّ وَلَا تُحِبِّبَ الْعِلَّةَ إِلَيَّ فَعَلْتَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

فصل

في الوصاة

كتب الجاحظ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ فُلَانًا أَسْبَابُهُ مُتَّصِلَةٌ بِنَا يَلْزِمُنَا ذِمَامُهُ وَبُلُوغُ
 مُوَافَقَتِهِ مِنْ أَيْدِيكَ عِنْدَنَا وَأَنْتَ لَنَا مَوْضِعُ الثِّقَةِ مِنْ مُكَافَأَةٍ
 فَأَوْلِنَا فِيهِ مَا يُعْرِفُ بِهِ مَوْفِعُنَا مِنْ حُسْنِ رَأْيِكَ وَيَكُونُ
 مُكَافَأَةً لِحُضْرَةِ عَلَيْنَا

وكتب عبد الحميد بن يحيى الى بعضهم

حَقُّ مُوَصِّلِ كِتَابِي عَلَيْكَ كُفِّهِ عَلَيَّ إِذْ جَعَلَكَ مَوْضِعًا
 لِأَمْلِي وَرَأَيْتِي أَهْلًا لِحَاجَتِي وَقَدْ أَفْجَزْتُ حَاجَتَهُ فَصَدِّقْ أَمْلَهُ
 وكتب ابو بكر الخوارزمي الى صديق له

أَلَا يَأُمُّ أَيْدِكَ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ تَرَاجُعٌ لِي عَنْ صِحَّةٍ وَفَائِكَ
 وَشُهُودٌ عِنْدِي عَلَى صَدِّقِ إِخَائِكَ وَأَقْلُ حُفُوفِكَ عَلَيَّ

يُزِمْنِي أَنْ لَا أَشْغَلَ لِسَانِي بِغَيْرِ شُكْرِكَ وَلَا قَلْبِي إِلَّا بِذِكْرِكَ
وَلَوْ تَجَاوَزَ طَبَقَاتُ أَهْلِ مَوَدَّتِكَ فِي مَبْدَانِ الْهَيْفَةِ وَتَنَارَعُوا
خَصَلَ الْأَنْسُ وَالْتَفَقَ رَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ سَابِقًا لَيْسَ لَهُ
سَابِقٌ وَلَا يَذْكُرُ مَعَهُ لَاحِقٌ وَأَنْ تُجَلِّيَ الْغَايَةَ مِنِّي عَنْ مُحَبَّةِ
مُرَبَّاهِ بِالْوَقَاءِ وَعَنْ شُكْرِ مُرْضِعٍ بِالْدَّعَاءِ وَقَدْ بَلَغَنِي خَبَرُ
سَعْيِكَ لِغُلَّانٍ فِي الْعَمَلِ الَّذِي هُوَ دُونَ قَدْرِهِ وَإِنْ كَانَ
فَوْقَ أَعْمَالِ عَصْرِهِ فَشَكَرْتُكَ عَنْهُ وَإِنْ كَانَ بِشُكْرِكَ
أَوْفَى وَأَمَلَى وَبِإِيْقَاتِكَ خَلَّكَ أَحَقَّ وَأَوْلَى وَأَرَدْتُ أَنْ
أَكِلَ شُكْرَكَ إِلَيْهِ وَلَا أَتَطَلَّلَ فِيهِ عَلَيْهِ فَكَرِهْتُ أَنْ
تُطَوِّى صَحِيفَةَ الشُّكْرِ وَلَمْ تُجَرِّ لِي فِيهَا اسْمٌ وَأَنْ تُخْتَمَ جَرِيدَةُ
الْمُشَارَكَةِ وَلَمْ يَكُنْ لِي فِيهَا فِئْمٌ فَذَكَرْتُهُ لَكَ وَأَنْتَ لَهُ
أَذْكُرُ وَشَكَرْتُكَ عَنْهُ وَهُوَ لَكَ مِنِّي أَشْكُرُ عَلَى أَنِّي أَرْغَبُ
بِذَلِكَ الْخُرَجِ عَنِ التَّلَطُّحِ بِأَوْضَارِ الْأَعْمَالِ فَإِنَّهَا مَزَالِقُ
أَقْدَامِ الرِّجَالِ ضُنَائِهِ عَنْ مَخَالِطِ الْأَيَّامِ وَصِيَانَةُ
لِحَاظِهِ عَنْ مُدَانَسَةِ الْأَوْهَامِ وَنِعْمَتِكَ عَلَيْهِ مُتَقَسِّمَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَهُ
بَلْ أَكْثَرُهَا لِي دُونَهُ فَمَا ظَنُّكَ بِعَارِفَةٍ وَاحِدَةٍ تُكْسِيكَ
شُكْرَيْنِ وَتَسْتَعِيدُ لَكَ حُرَيْنِ وَجَدِيرَيْنِ مِنْ هَطَلَتْ عَلَيْهِ

سَحَابُ عَيْنَيْكَ وَرَفَرَتْ حَوْلَهُ أَجْنَةُ رِعَايَتِكَ أَنْ يَنْبُو
عَنْهُ سَيْفُ الزَّمَانِ مَثْلُومًا وَيَرْجِعَ عَنْ سَاحِيهِ عَسْكَرُ
الزَّمَانِ مَهْزُومًا وَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ أَسْأَلُ أَنْ لَا يَحْرِمَكَ نِعْمَةً
يَهْدِي إِلَيْكَ بِهَا عُنُقُ وَدُودٍ وَمِنَّةٌ تَقْضِي عَنْكَ عَيْنَ جَسُودٍ
بَيْنَهُ وَكَرَمِهِ

وكتبه الحسن بن وهب إلى مالك بن طوق في ابن أبي الشيص

كِتَابِي إِلَيْكَ خَطَطْتُهُ يَسْمِينِي وَفَرَعْتُ لَهُ ذَهْنِي فَمَا
ظَنَنْكَ بِحَاجَةٍ هَذَا مَوْقِعَهَا مِنِّي أَمْرًا أَيْقَلُ الْعُذْرِ مِمَّهَا
أَوْ أَقْصَرُ فِي الشُّكْرِ عَلَيْهَا وَأَبْنُ أَبِي الشَّيْصِ قَدْ عَرَفْتَهُ وَلَسْبَهُ
وَصِفَاتِهِ وَلَوْ كَانَتْ أَيْدِينَا تَنْبَسُطُ بِيَرِهِ مَا عَدَانَا إِلَى غَيْرِنَا
فَأَكْتَفِ بِهَذَا مِنَّا

فَصْلٌ

فِي الشُّكْرِ

كتبه أبو بكر الخوارزمي إلى صاحب ديوان الحضرة وقد طُوب
أبو بكر بحضور الديوان فلم يفعل

هَذَا أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ حَالِ نَيْسَابُورَ وَأَهْلِهَا
بَلْ حَالِي وَحَالُ الْأَحْرَارِ فِيهَا

وَأَصْنَعَ أَقْوَامٌ يَقُولُونَ مَا أَشْتَهَوْنَ
وَعَابَ أَبُو عَمْرٍو وَعَابَتْ رَوَاحِلُهُ
وَقَدْ كُنْتُ آوِي مِنَ الشَّيْخِ أَيَّامَ مَقَامِهِ بِهَذِهِ الْجَنْبَةِ إِلَى كَنْفِ
رَحِيبٍ وَجَنَابِ خَصِيبٍ وَبَابٍ وَاسِعٍ وَنَائِلِ شَائِعٍ
وَوَجْهِ إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ قَرَأْتُ نُسخَةَ الْكِرَامِ فِي وَجْتِهِ
تَلْمَعُ أَنْارُ الْكَرَمِ بِنُورِ أَسَارِيرِهِ وَتُعَرِّفُ بَشْرِي النَّجَاحَ فِي
تَبَاشِيرِهِ وَفَمٍ يُبَشِّرُنِي بِإِتِسَامِهِ قَبْلَ أَنْ يُبَشِّرَنِي بِكَلَامِهِ
وَيُحْيِيَنِي بِالنُّجَى بِإِسَارَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُتَرْجِمَ بَعْيَارَتِهِ وَإِذَا
رَأَيْتُهُ رَأَيْتُ بَحْتِي قَدْ أَقْبَلَ إِلَيَّ فِي مَعْرِضِ الْكَمَالِ وَطَالِعِ
سَعْدِي قَدْ طَلَعَ عَلَيَّ بِنَيْلِ الْأَمَالِ عَنْ يَمِينِي الْجَمَالِ
وَعَنْ بَسَارِي الْجَلَالِ فَأَعْدُو إِلَى بَابِهِ يَدْمُنِي الْأَمَلُ وَالرَّجَاءُ
وَأَرْوَحُ عَنْهُ فَيُشَبِّعُنِي الشُّكْرُ وَالْدُّعَاءُ وَأَحْمِلُ حَوَائِجِي مِنْهُ
عَلَى جَلِّ الْجُودِ الَّذِي لَا تَحْرِكُهُ الْمَطَالِبُ وَلَا تَنْقُلُ عَلَيْهِ
الرَّغَبَاتُ وَالرَّغَائِبُ بَلْ عَلَى بَحْرِهِ الَّذِي لَا يَنْزِفُهُ الْأَسْتِقَاءُ
وَلَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَالَةُ وَلَا يَبْرِي قَعْرُهُ وَلَا يُدْرِكُ غَوْرُهُ
وَأِنَّمَا يَصْبِرُ عَلَى حَوَائِجِ النَّاسِ وَيَلْتَذُّ مَنَعَهُ بِاسْتِمَاعِ
صَوْتِ رَحَى الْأَصْرَاسِ مِنْ وَلَدِي طَالِعِ السَّخَاءِ وَغَدِي

فِي حُجُورِ الْكُرْمَاءِ وَفُرِعَ سَمْعُهُ مِنْ ذُصْبَاهُ بِأَصْوَاتِ الْأَدْبَاءِ
وَالشُّعْرَاءِ وَمُرِنَ عَلَى الْبَذْلِ وَالْعَطَاءِ

وَالثَّقَلِ لَيْسَ مُضَاعَفًا لِمَطِيَّةٍ إِلَّا إِذَا مَا كَانَ وَهْمًا بَارِزًا
حَتَّى إِذَا مَا كَادَتْ غُصُونُ أَمَالِي تَرِفُ بَعْدَ مَا يَسْتِ
وُجُوهُ مَطَالِي تَضْحَكُ بَعْدَ مَا عِبَسَتْ رَمَنِي الْأَيَّامُ بِفِرَاقِ
السَّخِجِ فَأَخَذَجَ رَجَائِي الْخَامِلُ وَجَفَّ ضَرْعُ أَمَلِي الْخَافِلِ
وَسَكَتَ لِسَانِي الْقَائِلُ وَقَتَرَتْ قُتُورُ التَّاجِرِ بَارِ مَنَاعِهِ
وَغَابَ مُبْنَعُهُ وَقُلْتُ لَوْ أَرَادَ اللَّهُ بِالْأَدَبِ خَيْرًا لَمَا غَابَ
مَنْ كَانَ يَجْمَعُ شَمْلَهُ وَيَكْرُمُ أَهْلَهُ وَيَعْرِفُ فَضْلَهُمْ وَقَضْلَهُ
وَلَوْ أَنْصَفْتُ الْأَدَبَ بَعْدَ غَيْبَةِ السَّخِجِ لَرَبَيْتُهُ مَرْثِيَةَ الْأَمْوَاتِ
وَلَأَقَمْتُ عَلَيْهِ مَائِمَ الْمَمَاتِ وَمَحَوْتُ أَسْمَهُ مِنْ جَرِيدَةِ
الْحَبَاءِ هَذَا وَقَدْ وَرَدَ عَلَى عَمَلِ الْخَرَّاجِ مَنْ لَا أُطْرُقُهُ بِجَرْمَةٍ
وَلَا أَتَنَاوُلُهُ بِطَرْفِ ذَرِيْعَةٍ أَوْ وَسِيلَةٍ وَكَأَنِّي بِهِ وَقَدْ
حَسَدَنِي فِي جُمْلَةِ الْعَامَةِ وَأَدْخَلَنِي فِي غِمَارِ سَائِرِ الرَّعِيَّةِ
وَأَوْقَعَنِي عَلَى جِسْرِ قُدَّامَةِ الْخُسْرَانِ وَخَلَفَنِي الْهَوَانُ وَفَجَعَنِي
بِدَرَنِيمَاتٍ جُمِعَتْ بِتَقْطِيعِ الْمَهَالِكِ وَأَخْتِرَاقِ الْمَسَالِكِ
وَالْمَهَالِكِ وَدَنَائِيرَ فَطَعَتِ الْفِئَارَ وَخَاضَتِ الْجَحَارَ

وَنَاطَحَتِ الْحَوَادِثُ وَالْأَقْدَارُ فَإِنْ بَدَّلْتُهَا أَهْرَزْتُ وَقَرًّا
طَالَمَا كَانَ مَحْزُونًا وَإِنْ مَنَعْتُهَا أَبْذَلْتُ عِرْضًا لَمْ يَزَلْ
مَصُونًا عَلَى أَنِّي أَحْبِلُ عَلَى الْجَبَالِ الشَّجَلُ وَأَوْثِرُ الْبَذْلَ
عَلَى التَّبْذِلِ وَأُنْشِدُ شِعْرًا حَنَانِيكَ بَعْضُ الشَّرِّ أَهْوَنُ مِنْ
بَعْضِ وَمَا أَيْسَرُ دَوَاءَ هَذَا الدَّاءُ لَوْ طَاوَعَنِي نَفْسِي الْعَاصِيَةَ
وَنَابَعَنِي رِجْلِي الْآبِيَةَ فَدَخَلْتُ الدِّيْوَانَ وَصَانَعْتُ الزَّمَانَ
وَفَتَحْتُ حِرَابَ النِّفَاقِ وَالرِّثَاءِ وَأَغْلَقْتُ بَابَ الْحِفَاطِ وَالْوَفَاءِ
وَلَكِنِّ النَّظَرَ إِلَى عَيْنِ الشَّمْسِ أَيْسَرُ عَلَيَّ وَأَهْوَنُ عَلَى عَيْنِي
مِنْ أَنْ أَنْظُرَ إِلَى هَذَا الصَّدْرِ وَقَدْ جَلَسَ فِيهِ غَيْرُ ذَلِكَ
الْبَدَنِ وَإِنِّي لَا غَارُ عَلَى الْكَرَمِ كَمَا يُغَارُ عَلَى الْحَرَمِ
وَأَبْجَلُ بِالْمَرَاتِبِ كَمَا يَبْجَلُ غَيْرِي بِالْمَكَاسِبِ وَأَسْتَعْبِي
إِعْنِي أَنْ أَفْتَحَهَا عَلَى الصَّغِيرِ وَقَدْ جَلَسَ مَجْلِسَ الْكَبِيرِ
لَا أَجْلَانِي اللَّهُ بِجَالِسِ الْغَبِيرِ وَلَا أَفَامِنِي فِي مَقَامَاتِ
النُّمَةِ وَالْحَبِيرَةِ فَإِنْ أَجْلَانِي بِذَلِكَ وَجَدَنِي ضَيْقَ سَاحَةِ
الصَّدْرِ قَرِيبَ غَوْرِ الصَّبْرِ كَثِيرَ الْمُبَارَاةِ قَلِيلَ الْمُدَارَاةِ
هَذِهِ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الشَّيْخِ حَالِي فَهَلْ لِي عِنْدَهُ فَرَجٌ أَرْجِيهِ
أَوْ نَظَرٌ أَتَجَمِّعُ فِيهِ وَمَلْ بِحَرْكِ لَفْظَةٍ مِنَ الْفَاطِمَةِ أَوْ لِحْظَةٍ

مِنَ الْحَاطِلِ يَرُدُّ بِهَا عَلَى وَجْهِ مَا نَصَبَ مِنْ مَّائِهِ وَعَلَى
عَرَضِي مَا ذَهَبَ مِنْ بَهَائِهِ وَلَعَمْرِي إِنَّ حَاجَتِي إِلَى الشَّيْخِ
فِي هَذَا الْخَرَجِ صَغِيرَةٌ وَلَكِنِّي لَا أَتَصَغَّرُ مِنْهُ سِيرًا كَمَا لَا
أَسْتَغْظِمُ مِنْهُ كِبَرًا وَأَعْلَمُ أَنَّ الْحَرَّ يَسْعُ الدَّفِيقَ يَنْطَبِئُهُ
وَالْحَلِيلُ يَهْمُهُ وَإِنْ أَبْطَأَ عَنِّي كِتَابُهُ بِالنَّجَاحِ خَشِيتُ أَنْ
يَسْرِيَ فِي السَّمِّ الْعَرَبِيِّ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى التَّرْبَاقِي الْبَطِي
أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ أَنْ يَكُونَ دَائِي قَدًّا وَدَوَائِي وَعَدًّا

وكتب الوزير الكاتب ابو المطرف بن النباغ الى ابن حسداي

كِتَابِي وَأَنَا كَمَا تَدْرِي غَرَضٌ لِلْأَيَّامِ تَرْمِيهِ وَلَكِنِّي
غَيْرُ شَاكٍ مِنْ آلَمِهَا لِأَنَّ قَلْبِي فِي أَغْشِيَةٍ مِنْ سِهَامِهَا
فَالْتَصَلُّ عَلَى مِثْلِهِ يَنْجُو وَالنَّالِمُ بِهِذِهِ الْحَالَةِ قَدْ أَرْتَفَعَ
كَذَلِكَ التَّقْرِيعُ إِذَا تَبَاعَ هَانَ وَالْخُطْبُ إِذَا أَشْتَدَّ لَانَ
وَالْحَوَائِثُ تَنْعَكِسُ إِلَى أَضْدَادِهَا إِذَا تَنَاهَتْ فِي أَشْدَادِهَا
وَتَزَايَدَتْ عَلَى آمَادِهَا

وكتب عبد الحميد بن يحيى الى اهلوه وهو منهزم مع مروان

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الدُّنْيَا مَحْفُوفَةً بِالْكَرْهِ
وَالسُّرُورِ فَمَنْ سَاعَدَهُ اَلْمَحْظُ فِيهَا سَكَنَ إِلَيْهَا وَمَنْ عَصَتْهُ

بِنَابِهَا ذَمَّهَا سَاحِطًا عَلَيْهَا وَشَكَاهَا مُسْتَزِيدًا لَهَا وَقَدْ كَانَتْ
 أَذَاقُنَا أَفَاقِيْقَ اسْتَحْلَيْنَاهَا ثُمَّ جَحَّتْ بِنَا نَافِرَةً وَرَحْمَتَنَا مُوَلَّةً
 قَطَعَتْ عَذِبَهَا وَخَشِنَ لَيْسِنَهَا فَأَبْعَدَتْنَا عَنِ الْأَوْطَانِ وَفَرَقَتْنَا
 عَنِ الْأَخْوَانِ فَالْدَارُ نَارُحَةٌ وَالطَّيْرُ بَارِحَةٌ وَقَدْ كُنْتُ
 وَالْأَيَّامُ تَزِيدُنَا مِنْكُمْ بُعْدًا وَالْيَكْمُ وَجْدًا فَإِنْ تَعِمَّ
 الْيَلْبَةُ إِلَى أَقْصَى مُدَّتِهَا يَكُنْ آخِرُ الْعَهْدِ بِكُمْ وَبِنَا وَإِنْ بَلَغَتْنَا
 ظَفَرُ جَارِحٍ مِنْ أَظْفَارِ مَنْ يَلِيكُمْ تَرْجِعِ إِلَيْكُمْ بِذُلِّ الْأَسَارِ
 وَالذُّلُّ شَرُّ جَارٍ نَسْأَلُ اللَّهَ الَّذِي يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ وَيُذِلُّ
 مَنْ يَشَاءُ أَنْ يَهَبَ لَنَا وَلَكُمْ أَلْفَةً جَامِعَةً فِي دَارِ آمِنَةٍ
 تَجْمَعُ سَلَامَةُ الْأَبْدَانِ وَالْأَدْيَانِ فَإِنَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ
 وَأَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

وكتب الأمير أبو الفضل المكي من رسالة

إِنَّمَا أَشْكُو إِلَيْكَ زَمَانًا سَلَبَ ضِعْفَ مَا وَهَبَ وَفَجَعَ
 بِأَكْثَرِ مِمَّا مَنَعَ وَأَوْحَشَ فَوْقَ مَا آنَسَ وَعَنَفَ فِي نَزْعِ مَا
 أَلْبَسَ فَإِنَّهُ لَمْ يُدْفِنَا حُلَاوَةَ الْأَجْمَاعِ حَتَّى جَرَعْنَا مَرَارَةً
 الْفِرَاقِ وَلَمْ يُمَتِّعْنَا بِأُنْسِ الْأَلْفَاءِ حَتَّى غَادَرَنَا رَهْنُ
 التَّلْهَفِ وَالْإِسْتِيَاقِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَعَالَى عَلَى كُلِّ حَالٍ بِسُوْءِ

وَيَسُرُّ وَيَجْلُو وَيَهْرُ وَلَا أَيَّاسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ فِي إِبَاحَةِ
صَنْعٍ يَجْمَلُ رُبْعَهُ مُنَاحِي وَيَقْصِرُ مَدَّةَ الْيَعَادِ وَالْتِرَاحِي
فَالْأَحْظُ الزَّمَانُ يَبِينُ رَاضٍ وَيُقْبِلُ إِلَيَّ حَظِي بَعْدَ إِعْرَاضٍ
وَأَسْتَأْنِفُ بَعِزَّتِهِ عَيْشًا عَذَبَ الْهَوَارِدِ وَالْمَنَاهِلِ مَا مُونَ
الْأَفَاتِ وَالْغَوَائِلِ

فصل

في التعازي

كتبها أبو الفضل بدیع الزمان المهداني إلى أبي عامر عدنان بن محمد الضبي
إِذَا مَا الدَّهْرُ جَرَّ عَلَى أَنْاسٍ ذَلَالَةٍ أَنَاخَ بِآخِرِينَ
فَقُلْ لِلشَّامِتِينَ بِنَا أَفِيقُوا سَبَقَى الشَّامِتُونَ كَمَا لَقِينَا
أَحْسَنَ مَا فِي الدَّهْرِ عُمُومُهُ بِالنَّوَابِ وَخُصُوصُهُ بِالرَّغَائِبِ
فَهُوَ يَدْعُو أَنْجَلِي إِذَا سَاءَ وَيَخْصُصُ بِالنِّعْمَةِ إِذَا سَاءَ
فَلْيَنْفَكِرِ الشَّامِتُ فَإِنْ كَانَ أَفْلَتَ فَلَهُ أَنْ يَشْتَمَ وَلْيَنْظُرِ
أَنْ نَسَانُ فِي الدَّهْرِ وَصُرُوفِهِ وَالْمَوْتِ وَصُنُوفِهِ مِنْ
فَاتِحَةِ أَمْرِهِ إِلَى خَاتِمَةِ عُنْدِهِ هَلْ يَجِدُ لِنَفْسِهِ أَثَرًا فِي نَفْسِهِ
أَمْ لِنَدِيرِهِ عَوْنًا عَلَى تَصْوِيرِهِ أَمْ لِعَمَلِهِ تَقْدِيرًا لِأَمَلِهِ

أَمْ لِحِمْلِهِ تَأْخِيرًا لِأَجَلِهِ كَلَّامِلٌ هُوَ الْعَبْدُ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا
مَذْكُورًا خُلِقَ مَقْهُورًا وَرَزِقَ مَقْدُورًا فَهُوَ بِجَبَا جَبَرًا
وَبِهَيْلِكَ صَدْرًا وَلِنَبَأِ الْمَرْءِ كَيْفَ كَانَ قَبْلًا فَإِنْ كَانَ
الْعَدَمُ أَصْلًا وَالْوُجُودُ فَضْلًا فَلْيَعْلَمْ الْمَوْتُ عَدْلًا
وَالْعَاقِلُ مَنْ رَفَعَ مِنْ جَوَانِبِ الدَّهْرِ مَا سَاءَ بِمَا سَرَّ
لِيَنْهَبَ مَا نَفَعَ بِمَا ضَرَّ فَإِنْ أَحَبَّ أَنْ يَحْزَنَ فَلْيَنْظُرْ يَمِينَهُ
هَلْ يَرَى إِلَّا مِحْنَةً ثُمَّ لِيُعْطِفَ بَسْرَةً هَلْ يَرَى إِلَّا حَسْرَةً
وَمِثْلُ الشَّيْخِ الرَّئِيسِ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ مِنْ تَبَطَّنَ هَذِهِ
الْأَسْرَارَ وَعَرَفَ هَذِهِ الدِّيَارَ فَأَعَدَّ لِنَعِيهَا صَدْرًا لَا
يَمْلَأُهُ فَرْحًا وَلِبُوسِهَا قَلْبًا لَا يُطِيرُهُ تَرْحًا وَصَحْبَ الْبَرِيَّةِ
بِرَأْيٍ مَنْ يَعْلَمُ أَنَّ لِلْمَنِيَةِ رَحَى وَلَقَدْ نَعِيَ إِلَيَّ أَبُو فَيْصَةَ
قَدَسَ اللَّهُ رُوحَهُ وَبَرَّدَ ضَرْبِي فَعَرِضْتُ عَلَيَّ أَمَالِي فَعُودًا
وَأَمَانِي سُودًا وَبَكَيْتُ وَجُودُ السَّخِيِّ بِمَا يَمْلِكُ وَضَحِكْتُ
وَشَرُّ الشَّدَائِدِ مَا يُضْحَكُ وَعَضَضْتُ الْأَصْبَعَ حَتَّى أَفْنَيْتُهُ
وَذَمَمْتُ الْمَوْتَ حَتَّى تَمَنَيْتُهُ وَالْمَوْتُ أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَهُ
الشَّيْخُ الرَّئِيسُ خَطَبُ قَدْ عَظُمَ حَتَّى هَانَ وَأَمْرٌ قَدْ خَشُنَ
حَتَّى لَانَ وَنُكْرٌ قَدْ عَمَّ حَتَّى صَارَ عُرْفًا وَالْدُّنْيَا قَدْ تَنَكَّرَتْ

حَتَّى صَارَ الْمَوْتُ أَخْفَ خُطُوبِهَا وَخَبَّتْ حَتَّى صَارَ أَقْلٌ
عُيُوبِهَا وَلَعَلَّ هَذَا السَّهْمُ قَدْ صَارَ آخِرَ مَا فِي كِتَابَتِهَا وَأَنْكِ مَا
فِي خِزَانَتِهَا وَنَحْنُ مَعَاشِرَ النَّبِيعِ تَعَلَّمُ الْأَدَبَ مِنْ أَقْوَالِهِ
وَالْجَبِيلَ مِنْ أَفْعَالِهِ فَلَا نَحْنُهُ عَلَى الْجَبِيلِ وَهُوَ الصَّبْرُ
وَلَا نُرْغِبُهُ فِي الْجَبِيلِ وَهُوَ الْأَجْرُ فَلْيَرْفِعْ فِيهَا رَأْيَهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ

والمصحح بعزّي احد اصدقائى بنسب له توفي ايام الوباء

أَشْبَاحُ نَرُوحٍ وَنَحْيٍ وَآجَالٌ تُنْسِي وَتَقْنِدِي وَأَنْفَاسٌ
تَنْقَطِعُ مِنْ دُونِهَا حُزْنًا وَأَسْفَاً وَعِبْرَاتٌ تَنْقَطِرُ وَجَدًّا وَلَهْفًا
وَمَا عَمِدَتْ الْأَفْقَارُ إِلَى اسْتِزَافٍ مَدْمَعٍ وَلَا أَرَادَتْ
الْأَيَّامُ إِلَّا بِلَامٍ مُوجِعٍ إِنَّمَا هِيَ سَنَةٌ أَلْخُلِقَ كَوْنٌ بِلَيْهِ زَوَالٌ
وَعَقْدٌ يَسْبِقُهُ انْخِلَالٌ وَإِنْ لِكُلِّ شَيْءٍ أَجَلًا مَوْقُوتًا وَإِنْ
لِكُلِّ أَجَلٍ سَبَبًا مُقَدُّورًا وَإِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي كُلِّ ذَلِكَ شَاهِدٌ
يَسْمَعُ لَهَايَا وَيُبْصِرُ سَاهِيًا وَلَيْسَ فِي يَدِهِ أَنْ يَسْتَرِدَّ مَا ضَيَّاعًا
وَلَا أَنْ يَرُدَّ آتِيًا وَلَقَدْ وَدِدْتُ أَنْ أُعْزِيكَ لَوْلَا مَا يُعَالِيُنِي
عَلَى الْعِزَاءِ مِنْ كَيْدٍ حَرِيٍّ وَمَقْلَةٍ شَكْرِي وَزَفَرَةٍ تُنْزِي
نَمٍّ وَدِدْتُ أَنْ أُسْنِبَكَ لَوْلَا أَنِّي بَكَيْتُ حَتَّى لَمْ أَدْغِ فِي
الْبُكَاءِ مِنْ وَادٍ وَأُحْبِثُ لِبَالِي بِالنُّوحِ حَتَّى مَا بِالْأَنْجَمِ سَهَادٌ

ثُمَّ لَمْ يَزِدْنِي الْبُكَاءَ عَلَى سَقَمِ جَسَدِي وَلَمْ يَزِدْنِي النَّوْحَ
عَلَى صَفَرِ يَدَيَّ إِلَّا مِنْ كَيْدِي فَإِنَّ الْأَقْدَارَ سِهَامٌ إِذَا
انْطَلَقَتْ لَمْ تُرَدِّ وَإِنَّ الْمُتَطَلِّعَ إِلَى الْفَنَائَةِ لَطَوِيلُ شُقَّةٍ
الْكَمَدِ وَإِنَّ الْخُطُوبَ لَهِيَ فِيهِ وَإِنَّمَا تَتَفَاوَتُ عِنْدَ الْمَجْدِ
وَإِنَّ الْحَصَى عِنْدَ الْحُزْرِعِ ثَقِيلَةٌ

وَضَحْمَ الصَّفَا عِنْدَ الصُّورِ خَفِيفُ

وَأِنِّي لَأَرْجُو فِي عَقْلِكَ وَحِلْمِكَ أَنَّكَ قَدْ صِرْتَ مِنْ جَانِبِ
الْعِزَاءِ ثُمَّ أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى نَجَاتِكَ إِنَّ لَنَا فِي بَقَائِكَ الْعِوَضَ
وَالنَّاسَاءَ فَلَقَدْ قَلَبْتَ الْقُلُوبَ عَلَى جَهْرَاتٍ لَا تَذَرِي أَبْهَأَ
أَذَى ضَرَامًا ثُمَّ أَوْرَدْتَهَا مِنْ سَلَامَتِكَ مَا رَأَتْ الشُّكُوى
بَعْدَهُ ظُلْمًا وَالتَّظْلُمَ حَرَامًا وَالحَمْدُ لِلَّهِ لَا مُعْتَبَرَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ
الْمَسْئُولُ فِي إِطَالَةِ بَقَائِكَ فَرَّةً لِلْعُيُوبِ وَجَبْرًا لِلْخَاطِرِ
الْحُزُونِ بِمَنِّهِ وَكَرَمِهِ

والمصحح أيضا الى صديقي له جوابا عن كتابي ينعي اليه فيه احد
انسابنا وبعزوه بنسبه له

وَرَدَّ كِتَابَكَ بِجَاذِبَةٍ طَرَفَانِ مِنْ نَعْيٍ وَتَعْزِيَةٍ وَيَضْرِبُ
عَلَيْهِ لَوْنَانِ مِنْ شَجْوٍ وَتَسْلِيَةٍ فَمَنْ لِي بِعَبْرَتَيْنِ تَجْرِي إِحْدَاهُمَا

وَتَرَقُّا الْآخَرَى وَمَنْ لِي بِقَلْبَيْنِ يَذُوبُ أَحَدُهُمَا جَزَعًا
وَيَجْمَدُ الْآخَرُ صَبْرًا بَلْ كَيْفَ يَصْبِرُ جَرِيحٌ ضَرَبَهُ الدَّهْرُ
بِسَيْفَيْنِ وَجَرَّعَهُ الْبَلَوَى بِكَاسَيْنِ فَمَزَجَ عِبْرَةً بِعِبْرَةٍ
وَتَابَعَ حَسْرَةً إِثْرَ حَسْرَةٍ وَبَاتَ لَا يَجِدُ إِلَى الصَّبْرِ دَلِيلًا وَلَا
يَهْتَدِي إِلَى الْعَزَاءِ سَبِيلًا وَلَكِنَّ الْأَمْرَ فَوْقَ مَا تُجَرِّي الْخَفُونَ
وَمَا تُبِيرُ الشُّجُونَ وَأَمْرُ اللَّهِ وَاقِعٌ لَا يَدْفَعُهُ دَافِعٌ وَالْدَمْعُ
لَا يَسْغِي غُصَّةً وَالْوَجْدُ لَا يُزِيلُ كُرْبَةً

وَأِذَا حَصَلْتَ مِنَ السِّلَاحِ عَلَى الْبُكَاءِ

فَحْشَاكَ رُغْتَ بِهِ وَخَدَّكَ تَفَرَّعُ

فَمَا لَنَا إِلَّا السَّعْيُ وَرَأَى مَا نَدَّ مِنَ الصَّبْرِ نَكْرُهُ عَلَيْهِ النَّفْسُ وَإِنْ
كَانَ أَحَدَ الْمُرَيْنِ وَالْإِنْفِجَاءِ إِلَى الرِّضَى بِالْمَكْتُوبِ نُدَاوِي
بِهِ الْقَلْبَ وَإِنْ كَانَ أَحَدَ الدَّائِمِينَ وَحَسَبْنَا اللَّهَ وَكِيلًا

وكتب ابو بكر الخوارزمي الى كثير بن احمد يعزوه بانباء له

نَحْنُ مَعَاشِرُ أَوْلِيَاءِ الشَّيْخِ وَمُحِبِّي أَعْبَاءِ نِعَمَتِهِ وَالْمُسْتَمِينَ
بِسِمَةِ كَلِمَتِهِ إِذَا صَدِثَتْ قَرَأْنَاهَا وَقَسَدَتْ أَذْهَانُنَا
جَلَوْنَاهَا بِجِبَالَتِهِ وَغَسَلْنَاهَا وَضَرَ التَّغْيِيرِ بِاتِّبَاعِ طَرِيقَتِهِ
وَمُسْنَا أَنْفُسَنَا بِمَا تَرَاهُ وَتَعَلَّمُهُ مِنْ سِيَاسَتِهِ لِبَطَانَتِهِ ثُمَّ

لِرَعِيَّتِهِ وَإِذَا كَانَتْ أَمْحَالُ هَذِهِ فَمِنْ أَلْحَالِ أَنْ نَبِيعَ
عَلَى الشَّيْخِ مَا اشْتَرَيْنَاهُ مِنْهُ وَأَنْ نَجْلِبَ إِلَيْهِ مَا جَلَبْنَاهُ عَنْهُ
وَأَنْ نُقِيمَ أَنْفُسَنَا مَقَامَ الْمُعْلَمِينَ وَنُقِيمَهُ مَقَامَ الْمُتَعْلَمِينَ
وَأَنْ نَحْمِلَ إِلَيْهِ مَوَاعِظَ بَذَلَهُ كَلَامِهِ مِنْهَا أَرْبَعُ وَبِدَآءُهُ
تَوْفِيعَاتِهِ مِنْهَا أَبَدُ وَلَكِنْ لَا بُدَّ لِلْحَبِيبِ أَنْ يَنْطِقَ لِسَانُهُ
وَقَلَمُهُ بِمَا يَتَزَجَّرُ بِهِ عَنْ وَدَائِعِ صَدْرِهِ وَيُعَبِّرُ عَنْ نِيَّتِهِ وَسِرِّهِ
وَلَا بُدَّ لِمَنْ شَارَكَ رَبِّيَّةً فِي أَيَّامِ الرِّخَاءِ وَالْمَوَاهِبِ مِنْ
أَنْ يُشَارَكَهُ فِي أَيَّامِ الْغُيُومِ وَالْمَصَائِبِ لِيَكُونَ قَدْ خَدَمَهُ
فِي النَّوْبَتَيْنِ وَتَصَرَّفَ مَعَهُ عَلَى أَلْحَالَيْنِ وَأَثْبَتَ اسْمَهُ فِي
جَرِيدَةِ الشَّرْكَاءِ الْمُسَاهِمِينَ مَرَّتَيْنِ وَبَلَّغَنِي خَيْرُ الْمُصِيبَةِ
فَأَغْنَمْتُ بِهَا غَمَّيْنِ وَتَفَذْتُ إِلَى سَهَامِ الْفَيْعَةِ مِنْ طَرِيقَيْنِ
أَمَّا إِحْدَاهُمَا فَبِي أَنِّي أَغَارُ عَلَى هَذِهِ الْجَنْبَةِ الْكَرِيمَةِ وَعَلَى
هَذِهِ الدَّوْلَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ مِنْ أَنْ تَفْذَ فِيهَا رَمِيَّةُ الزَّمَانِ
أَوْ تَتَنَاوَلَهَا يَدُ مِنْ أَيْدِي النُّقْصَانِ وَأَمَّا الثَّانِيَةُ فَبِي أَنِّي
عَلِمْتُ أَنَّ الْفَيْعَةَ إِذَا لَمْ تُحَارَبْ بِجَيْشِ الْبُكَاءِ وَلَمْ تُقَاتَلْ
بِالْإِذَاعَةِ وَالْإِسْتِكَاءِ تَضَاعَفَ دَاوُهَا وَزَادَتْ أَعْبَاؤُهَا
وَأَنَّمَا الْقَوْمُ سُمُّ بَرِيْقَةِ الْمَبَايَةِ وَالْمَوْتُ خَرَقُ رَفْوَةِ التَّسْلِيَةِ

وَالْعَزِيَّةُ قَالَ ذُو الرُّمَّةِ

لَعَلَّ أَنْجِدَارَ الدَّمْعِ يُغِيبُ رَاحَةَ

مِنَ الْوَجْدِ أَوْ يَشْفِي نَحْمِي الْبَلَابِلِ

وَإِذَا كَانَ لَا بُدَّ مِنْ عَيْنٍ تُصِيبُ طَرَفًا مِنْ أَطْرَافِ
الْكَمَالِ وَلَا بُدَّ مِنْ عُودَةٍ يَعُودُ بِهَا وَجْهُ الْجَمَالِ فَلَا أَنْ
تَكُونَ الْوَاقِعَةُ فِي الصَّغِيرِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَكُونَ فِي الْكَبِيرِ
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ فِي طَيِّرِ الْعَيْنَةِ مَغْنَمَةً وَمَرْجٍ بِالْتَّرَحُّةِ
فُرْحَةً فَسَرَّ عَوْرَةً مِنْ حَيْثُ سَلَبَ أَنْسَا وَزَهَةً وَكَفَى
مُؤُونَةً مِنْ حَيْثُ جَلَبَ فَحِيعَةً وَأَبْقَى الْكَبِيرَ الْكَثِيرَ مِنْ
حَيْثُ أَخَذَ صَغِيرَةً وَاحِدَةً وَجَمَلَ وَالِدًا مِنْ حَيْثُ أَتَمَّكَ
وَالِدَةً وَهَكَذَا تَكُونُ مَصَائِبُ الْمُقِيلِينَ الْعَبْدُودِينَ فَإِنَّ
الدَّهْرَ إِذَا سَاءَ لَهُمْ فِي الْقَلِيلِ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ فِي الْكَثِيرِ
وَإِذَا كَاشَفَهُمْ فِي الْخَفِيِّ الْمَسْتُورِ صَانَعَهُمْ فِي الْجَلِيِّ الْمَشْهُورِ
وَالْمَدَائِيرُ أَمْثَالُنَا فَإِنَّمَا تَكُونُ مَحْنَتُهُمْ صَافِيَةً صَرَفًا وَخَالِصَةً
بِحَبْلٍ وَالدَّهْرُ يَعْلَمُ أَيْنَ الزُّبُونُ وَمَنِ الْمَقْبُورُ وَأَنَا
أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ الْمَتَوَفَاةَ لَوَالِدَيْهَا فَرَطًا وَأَجْرًا
وَكَنْزًا مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ وَذُخْرًا وَأَنْ يَحْشُرَهَا شَفِيعًا تُقْبَلُ

شَفَاعَتُهُ وَتُقْضَى فِيهِ وَالِدَيْهِ وَأَهْلُ بَيْتِهِ حَاجَتُهُ وَيُعَوِّضَ
عَنْهَا الشَّيْخَ أَخَالَهَا سَوِيَّ الْخَلْقِ وَالْخَلْقِ شَرِيفَ الْفِعْلِ
وَالْعَرَنِي لَيْسَتْ فِي الشَّيْخِ فِي يَوْمِهِ أَجْرُ الصَّابِرِينَ وَفِي غَدِهِ
جَزَاءُ الشَّاكِرِينَ وَلِيَكُونَ قَدْ قَضَى اللَّهُ تَعَالَى حَقَّ الرُّبُوبِيَّةِ
مِنْ طَرَفِي الْعُبُودِيَّةِ وَأَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْحَادِثَةُ خَاتِمَةً
حَوَائِثِ الزَّمَانِ وَسَافَةِ عَسَاكِرِ النُّصَانِ فَلَا يَرَى بَعْدَهَا
فِي تِلْكَ الدَّارِ الشَّرِيفَةِ إِلَّا مَوْهَبَةً مُسْتَطَرَفَةً وَقَائِدَةً مُسْتَجِدَّةً
مُسْتَأْنَفَةً حَتَّى يَشْتَغِلَ بِالنَّهَائِي عَنِ التَّعَاذِي وَبِالْمَدَاحِ
عَنِ الْمَرَاتِي

وكتب عبد الحميد بن يحيى عن مروان بن هشام يعزى بامرأة
من خطباء

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمْنَعُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْسِيَّتِهِ وَقَرِيْبَتِهِ
إِمْتِنَاعًا مَدَّةً إِلَى أَجْلِ مَسِيٍّ فَلَمَّا تَمَّتْ لَهُ مَوَاهِبُ اللَّهِ
وَعَارِيَّتُهُ فَبَضَّ إِلَيْهِ الْعَارِيَّةُ ثُمَّ أَعْطَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ
الشُّكْرِ عِنْدَ بَقَائِهَا وَالصَّبْرَ عِنْدَ ذَهَابِهَا أَنْفَسَ مِنْهَا فِي
الْمُتَقَلِّبِ وَأَرْجَحَ فِي الْمِيزَانِ وَأَسْنَى فِي الْعِوَضِ فَاتَّحَمَدُ لِلَّهِ
رَبِّ الْعَالَمِينَ وَإِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ

وكتب ابو اسحق الصائغ الى محمد بن العباس بعزبه بطل
 الدنيا اطل الله بقاء الرئيس اقدار ترد في اوقاتها
 وقضايا تجري الى غاياتها ولا يرد منها شيء عن مده ولا
 يصد عن مطلبه ومناه فيجب كالسهم التي تثبت في
 الأغراض ولا ترجع بالاعتراض ومن عرف ذلك
 معرفة الرئيس لم يأسر عند الزيادة ولم يقطع عند
 المصيبة وأمن أن يستخف أحد الطرفين حكمه ويستنزل
 أحد الأمرين حزمه ولم يدع أن يوطن نفسه على النار له
 قبل نزولها ويأخذ الأهبة للحالة قبل حلولها وأن
 يجاور الخير بالشكر ويساور الحنة بالصبر فتخبر فائدة
 الأولى عاجلاً ويستمرى عائدة الأخرى آجلاً وقد
 نفذ من قضاء الله تعالى في المولى الحليل قدراً الحديث
 سناً ما أرمض وأفض وأفلق وأمض ومسي من التالم
 له ما يحق على مثلي ممن توالى أيدي الرئيس إليه
 ووجبت مشاركته في المليم عليه فإننا لله وإنا إليه
 راجعون وعند الله من نخسبه غصنا نوى وشهابا خبا
 وفر عادل على أصله وخطيباً ابنه وشيخه وإياه أسأل

أَنْ يَجْعَلَهُ لِلرَّئِيسِ فَرَطًا صَالِحًا وَذُخْرًا عَبِيدًا وَأَنْ يَنْفَعَهُ
 يَوْمَ الدِّينِ حَيْثُ لَا يَنْفَعُ إِلَّا مِثْلُهُ بَيْنَ الْبَيْنِ بِجُودِهِ
 وَجَبْدِهِ وَلَكِنْ كَانَ الْمَصَابُ بِهِ عَظِيمًا وَاتِّحَادُ فِيهِ
 جَسِيمًا لَقَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْهِ وَإِلَى الرَّئِيسِ فِيهِ أَمَّا إِلَيْهِ
 فَإِنَّ اللَّهَ تَزَوَّاهُ بِالْإِخْتِرَامِ عَنِ اقْتِرَافِ الْآثَامِ وَصَانَهُ
 بِالْإِخْصَارِ عَنِ مَلَابَسَةِ الْأَوْزَارِ قَوَّرَ دُنْيَاهُ رَشِيدًا
 وَصَدَّرَ عَنْهَا سَعِيدًا نَقِي الصَّحِيفَةِ مِنْ سَوَادِ الذُّنُوبِ بَرِيءُ
 السَّاحَةِ مِنْ دَرَنِ الْعُيُوبِ لَمْ تَدْنِسْهُ التَّجَارِيرُ وَلَمْ تَعْلُقْ
 بِهِ الصَّغَائِرُ وَالْكِبَائِرُ قَدَّرَعَ اللَّهُ عَنْهُ دَفِيقَ الْحِسَابِ
 وَأَسَمَّ لَهُ الْقَوَابِ مَعَ أَهْلِ الصَّوَابِ وَالْمُحَنِّ بِالصَّادِقِينَ
 الْفَاضِلِينَ فِي الْمَعَادِ وَبَوَّاهُ حَيْثُ فَضَّلَهُ مِنْ غَيْرِ سَعْيٍ
 وَاجْتِهَادٍ وَأَمَّا الرَّئِيسُ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَهَا اخْتَارَ ذَلِكَ
 قَبْضَةً قَبْلَ رُؤُوبِهِ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي تَكُونُ مَعَهَا الرِّقَّةُ
 وَمُعَانِيَتُهُ عَلَى الْحَالَةِ الَّتِي تَنْضَاعُ عَنْهَا الْحَرَقَةُ وَحِمَاةُ
 مِنْ فِتْنَةِ الْمُرَاقَبَةِ لِيَرْفَعَهُ عَنْ جَزَعِ الْمَفَارِقَةِ وَكَانَ هُوَ
 الْمُبْنَى لِذُنُبَاهُ وَالْوَاجِدَ الذَّخِيرَةَ لِأَخْرَافِهِ وَعَزِيْزُ
 عَلَى أَنْ أَقُولَ قَوْلَ الْمُهَوَّنِ لِلْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ وَلَا

أَوْفَى التَّوَجُّعِ عَلَيْهِ وَاجِبَ فَقْدِهِ فَهُوَ لَهُ سَلَاةٌ وَمِنْهُ بَضْعَةٌ
وَلَكِنْ ذَلِكَ طَرِيقُ التَّسْلِيَةِ وَسَبِيلُ التَّعْزِيَةِ وَالْمُنْتَهَجُ
الْمَسْلُوكُ فِي مُخَاطَبَةِ مِثْلِهِ مِمَّنْ يَقْبَلُ مَنَفَعَةَ الذِّكْرِ وَإِنْ
أَغْنَاهُ الْأَسْتَبْصَارُ وَلَا يَأْتِي وَرُودَ الْمَوْعِظَةِ وَإِنْ كَفَاهُ
الْإِغْتِبَارُ وَاللَّهُ تَعَالَى بَقِي الرَّئِيسِ الْهَصَائِبِ وَبُعِيدُهُ مِنَ
النَّوَائِبِ وَيَرَعَاهُ بِعَيْنِهِ الَّتِي لَا تَنَامُ وَتَجْعَلُهُ فِي حِمَاهُ الَّذِي
لَا يُرَامُ وَيُفِيهِ مَوْفُورًا غَيْرَ مُتَقَصٍّ وَيَقْدِمُنَا إِلَى السُّوءِ
أَمَامَهُ وَإِلَى التَّحْذُورِ قُدَّامَهُ وَيَبْدَأُ بِي مِنْ بَيْنِهِمْ فِي هَذِهِ
الدَّعْوَةِ إِذْ كُنْتُ أَرَاهَا مِنْ أَسْعَدِ أَحْوَالِي وَأَعْدَهَا مِنْ
أَبْلَغِ أَمَانِي وَأَمَالِي

ولمصحح إلى صديق له

مَنْ عَلِمَ أَنَّ الْقَضَاءَ وَافِعٌ وَأَنَّ الْأَعْمَارَ رَهَائِنُ
الْمَصَارِعِ فَلَمْ يَصْحَبْ دَهْرَهُ عَلَى غِرَّةٍ وَلَمْ يَغْتَرِ مِنْ
الْأَقْدَارِ بِفِتْنَةٍ كَمْ تَكْبَرُ عَلَيْهِ الرِّبِّيَّةُ إِذَا اغْتَالَتْ وَلَمْ
يَطْمَئِنَّ إِلَى السَّلَامَةِ وَإِنْ طَالَتْ فَإِنَّ لِلدَّهْرِ رَفْدَةً وَهَبَةً
وَإِنَّ لِلْبَالِي كَمَنَةً وَوَبَّةً وَمِثْلَكَ مَنْ أَدْرَكَ مَبَادِي
الْأُمُورِ وَمَصَايِرَهَا وَعَرَفَ مَوَارِدَ الْحَيَاةِ وَمَصَادِيرَهَا وَإِنَّمَا

الْمَوْتُ طَوْرٌ مِنْ أَطْوَارِ الْوُجُودِ وَآخِرُ أَعْمَالِ الْحَيَاةِ فِي
 الْمَوْجُودِ وَلَا أُرِيدُكَ عَلِمًا بِالْكَوْنِ وَشَرَائِعِهِ وَالْكَائِنِ
 وَطَبَائِعِهِ إِنَّهَا هِيَ ذِكْرِي لِمَنْ فَحِمَهُ الرِّزْقُ فَشَقَّلَهُ وَحَلَّ
 بِسَاحَتِهِ الْقَضَاءَ فَأَذْهَلَهُ وَحَسَنِي مِنَ الْعَزِيْزَةِ عَلَيَّ بِمَا عِنْدَكَ
 مِنْ مَوَارِدِ الْعِلْمِ الْمُبَاحِ وَمِنْ النَّاسِيَةِ مَا تَعْلَمُهُ مِنْ حَالِ
 مَنْ يُخَاطِبُكَ وَهُوَ سَائِلُ الْجِرَاحِ وَمَا أَخْلَقَنِي بِأَنْ أَقُولَ
 إِنَّ رِزْقَكَ هَذَا قَدْ زَادَنِي شَجْنًا عَلَى أَشْجَانِي وَنَكَأَ مَا تَمَائِلَ
 مِنْ قُرْحَةٍ أَحْزَانِي وَلَكِنِّي قَدْ صَبَرْتُ الدَّهْرَ إِلَى حَالٍ لَا
 تَعْمَلُ فِيهَا حَالٌ وَلَا أُمَالِي مَعَهَا يَسْلَمُ وَلَا فِتْنَالٍ فَكَأَنَّمَا
 يَايَ عَنِّي أَبُو الطَّيِّبِ حَيْثُ قَالَ

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نِبَالٍ
 فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ نَكَسَرَتِ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ
 عَلَى أَنَّ الْمَرْءَ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ مَعْرِ لَمْ يَزِدْهُ كَلَامُ
 الْمُعْزِينَ عَلَى إِذْكَارِ مُصَابِهِ وَتَجْدِيدِ لَوْعَتِهِ وَأَكْثَابِهِ
 وَهَذَا أَمْتَحَانُ الرِّجَالِ وَمَوْطِنُ الصَّبْرِ وَالْإِحْسَامِ
 وَالْمَرْءُ بِأَعَزِّ مَا لَدَيْهِ يُنْتَعَنُ وَالصَّبْرُ عَلَى مِقْدَارِ الْهِمَمِ
 وَالْفِطْنِ وَإِنَّ الْأَحْزَانَ مَعْقُودَةٌ أَطْرَافُهَا بِالْعِزَاءِ مَوْصُولَةٌ

أَوَاخِرُهَا بِالنَّاسَاءِ فَأَجْعَلِ الْآخِرَةَ الْأُولَى وَلَا تُبْلَغِ
 الدَّهْرَ مِنْ نَفْسِكَ مَأْمُولًا وَاللَّهُ أَسْأَلُ أَنْ يَفِيضَ لَنَا
 بِسَلَامَتِكَ عِوَضًا كَرِيمًا وَيَصُونَ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ مِنْ كُلِّ كَارِثَةٍ
 سَلِيمًا وَيَفْرِغَ عَلَى قُلُوبِكُمْ صَبْرًا جَمِيلًا وَعَلَى مَنْ قَدَّرَ
 عَفْوًا عَسِيهَا بِرَحْمَتِهِ وَلُطْفِهِ

فصل

في الخطب

خطبة للإمام علي

أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ وَلِزُومِ طَاعَتِهِ
 وَتَقْدِيرِ الْعَمَلِ وَرُكِّ الْأَمَلِ فَإِنَّهُ مَنْ فَرُطَ فِي عَمَلِهِ لَمْ
 يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنْ أَمَلِهِ أَمِنَ التَّعَبُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ الْمَقْعَمُ
 لِحُجِّ التَّجَارِ وَمَفَاوِزِ الْفَنَارِ بِسَيْرٍ مِنْ وَرَاءِ الْأَنْجِيَالِ
 وَعَالِمِ الرِّمَالِ بِصِلِ الْغُدُوِّ بِالرُّوْحِ وَالْمَسَاءِ بِالصَّبَاحِ
 فِي طَلَبِ مُخْتَرَاتِ الْأَرْبَاحِ هَجَمَتْ عَلَيْهِ مَنِيَّتُهُ فَعَظُمَتْ
 بِنَفْسِهِ رَزِيَّتُهُ فَصَارَ مَا جَمَعَ بُورًا وَمَا أَكْتَسَبَ غُرُورًا
 وَوَافِيَ الْقِيَامَةَ مُحْشُورًا أَيُّهَا اللَّاهِي الْغَارُ بِنَفْسِهِ كَأَنِّي بِكَ

وَقَدْ أَنَاكَ رَسُولُ رَبِّكَ لَا يَفْرُغُ لَكَ بَابًا وَلَا يَهَابُ لَكَ
 حِجَابًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْكَ بَدِيلًا وَلَا يَأْخُذُ مِنْكَ كَنْفِيلًا وَلَا
 يَرْحَمُ لَكَ صَغِيرًا وَلَا يُوقِرُ فَيْكَ كَبِيرًا حَتَّى يُؤَدِّبَكَ إِلَى
 قَعْرِ مُظْلِمَةٍ أَرْجَاؤُهَا مُوحِشَةٌ كَفَعَلِهِ بِالْأُمَمِ الْخَالِيَةِ
 وَالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ أَيْنَ مَنْ سَعَى وَاجْتَهَدَ وَجَمَعَ وَعَدَّدَ
 وَبَنَى وَشَيَّدَ وَزَخَرَ وَنَجَّدَ وَيَا الْقَلِيلَ لِمَ يَقْنَعُ وَيَا الْكَثِيرَ
 لِمَ يُمْتَنِعُ أَيْنَ مَنْ قَادَ الْخَبُودَ وَنَشَرَ الْبُنُودَ أَصْحَوُا رُفَاتًا
 تَحْتَ الثَّرَى أَمْوَانًا وَأَنْتُمْ بِكَاسِهِمْ شَارِبُونَ وَلِسَبِيلِهِمْ
 سَالِكُونَ عِبَادَ اللَّهِ فَانْقُوا اللَّهَ وَرَافِقِيهِ وَاعْمَلُوا لِلْيَوْمِ
 الَّذِي تَسِيرُ فِيهِ أَجْيَالُ وَتَشَقُّ السَّمَاءُ بِالْغَمَامِ وَتَطَابُرُ
 الْكُتُبُ عَنِ الْإِيمَانِ وَالسَّمَائِلِ فَأَيُّ رَجُلٍ يَوْمِئِذٍ تَرَكَ
 أَقَائِلُ هَاؤُمُ أَفْرَأَى كِتَابِيَّةً أَمْ يَأْكُنِّي لَمْ أَوْتِ كِتَابِيَّةً نَسَأَلُ
 مَنْ وَعَدْنَا بِأَقَامَةِ الشَّرَائِعِ جَنَّتْهُ أَنْ يَقِينَا سَخَطُهُ إِنْ أَحْسَنَ
 الْحَدِيثَ وَأَبْلَغَ الْمَوْعِظَةِ كِتَابُ اللَّهِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ
 مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ

خطبة للنجاشي حين ولّاهُ عبد الملك بن مروان العراق وامره ان

يخبر الناس الى المهلب في حرب الازارقة

أَنَا ابْنُ جَلَا وَطَلَاغُ الثَّنَائَا مَتَى أَضَعَ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي

صَلِيبُ الْعُودِ مِنْ سَلَفِي يَزَارِ كَنْصَلِ السِّيفِ وَضَاحُ الْحَجِينِ
 وَمَاذَا تَبَغَّبِ الشُّعْرَاءُ مِنِّي وَقَدْ جَاوَزْتُ حَدَّ الْأَرْبَعِينَ
 أَخُو خَمْسِينَ مُجْبِعُ أَشْدِي وَتُعِدُّنِي مَدَاوِرَ الشُّوْنِ
 أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَحْمِلُ الشَّرَّ بِحِمْلِهِ وَأَحْذُوهُ بِنَعْلِهِ وَأَجْزِيهِ
 بِمِثْلِهِ وَإِنِّي لَأَرَى ابْصَارًا طَامِحَةً وَأَعْنَاقًا مُتَطَاوِلَةً
 وَرُؤُوسًا قَدْ أَهْنَعَتْ وَحَانَ قِطَانُهَا وَإِنِّي لَصَاحِبُهَا
 كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى الدِّمَاءِ بَيْنَ الْعِمَامِ وَالْحَيِّ تَذَرُفُ
 هَذَا وَأَنْ أَلْحَرْبِ فَأَشْتَدِّي زَيْمِ

فَدَلَّهَا اللَّيْلُ بِسَوَاقِ حُطَرِ

لَيْسَ بِرَاعِبٍ لِإِبِلٍ وَلَا غَنَمِ

وَلَا بِحِزَارٍ عَلَى ظَهْرِ وَضَمِ

فَدَلَّهَا اللَّيْلُ بِعَصَلِيبِ أَرْوَغِ خَرَّاجٍ مِنَ الدَّوِيِّ

مُهَاجِرِ لَيْسَ بِأَعْرَابِي

فَدَشِمَتْ عَنْ سَافِهَا فَشَدُّوا مَا عَلَيَّ وَأَنَا شَجٌّ جَلْدُ

وَالْقَوْمُ فِيهَا وَتَرَّ عِرْدُ مِثْلُ ذِرَاعِ الْبَكْرِ أَوْ أَشَدُّ

إِنِّي وَاللَّهِ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ وَمَعْدِنَ الشَّقَايِ وَالنِّفَاقِ وَمَسَاوِي

الْأَخْلَاقِ لَا يُغْمِزُ جَانِبِي كَنْغَمَارِ النَّبِينِ وَلَا يَقَعُّعُ لِي

بِالسِّنَانِ وَلَقَدْ فُرِزْتُ عَنْ ذَكَاءٍ وَفُتِّتُ عَنْ مُجَرَّبَةٍ وَأُجْرِيتُ
 مَعَ الْغَايَةِ وَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَزَرَ كِنَانَهُ ثُمَّ عَجِمَ عِيدَانَهَا
 فَوَجَدَنِي أَمْرًا عُدًّا وَأَسَدَهَا مَكْسِرًا فَوَجَّهَنِي إِلَيْكُمْ
 وَرَمَاكُمْ بِي فَإِنَّهُ قَدْ طَالَ مَا أَوْضَعْتُمْ فِي الْفِتَنِ وَسَنَتُمْ سُنَنَ
 الْبَغْيِ وَسَعَيْتُمْ فِي الضَّلَالَةِ وَأَيْمُ اللَّهُ لَا لِحُؤْنَكُمْ لِحَوِّ الْعَصَا
 وَلَا فَرَعَكُمْ فَرَعِ الْهَرَوَةِ وَلَا عَصَبَكُمْ عَصَبِ السَّلْمَةِ
 وَلَا ضَرْبَكُمْ ضَرْبِ عِرَابِ الْأَيْلِ أَمَا وَاللَّهِ لَا أَعِدُّ إِلَّا وَفَيْتُ
 وَلَا أَخْلُقُ إِلَّا فَرَيْتُ وَإِيَّايَ وَهَذِهِ الزَّرَافَاتُ وَالْجَمَاعَاتُ
 وَقَالَ وَقِيلَ وَمَا يَقُولُونَ وَفِيمَ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لَتَسْتَقِيمَنَّ عَلَى
 طَرِيقِ الْحَقِّ أَوْ لَا دَعَنَّ لِكُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ شُغْلًا فِي جَسَدِهِ مِنْ
 وَجَدْتُهُ بَعْدَ ثَالِثَةٍ مِنْ بَعَثِ الْمُهَلَّبِ سَفَكَتُ دَمَهُ وَأَنْتَهَبْتُ
 مَالَهُ وَهَدَمْتُ مَنْزِلَهُ

وله ايضا بعد وقعة دير الجماجم

يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ اسْتَبْطَنَكُمْ فَخَالَطَ
 اللَّحْمَ وَالْدَّمَ وَالْمَسَامِعَ وَالْأَطْرَافَ وَالْأَعْضَادَ وَالشِّفَاهُ ثُمَّ
 مَضَى إِلَى الْأَنْخَاخِ وَالْأَصْبَاخِ ثُمَّ ارْتَنَعَ فَعَشَّشَ ثُمَّ بَاضَ
 وَفَرَّخَ فَحَشَاكُمْ شِفَاقًا وَنِفَاقًا وَإِنْ أَشْعَرَكُمْ خِلَافًا أَنْتَظِرْتُمُوهُ

دَلِيلًا تَتَّبِعُونَهُ وَقَائِدًا تُطِيعُونَهُ وَمُؤَامِرًا تَسْتَشِيرُونَهُ
 وَكَيْفَ تَنْفَعُكُمْ تَجْرِبَةُ أَوْ تَعْظُمُكُمْ وَقَعَةٌ أَوْ يَجْزِيَكُمْ
 إِسْلَامٌ أَوْ يَرُدُّكُمْ إِيْمَانٌ أَلَسْتُمْ أَصْحَابِي بِالْأَهْوَاِ حَيْثُ
 رُمْتُمُ الْمَكْرَ وَسَعَيْتُمُ بِالْغَدْرِ وَاسْتَجَبْتُمُ لِلْكَفْرِ وَظَنَنْتُمْ
 أَنَّ اللَّهَ يَخْذُلُ دِينَهُ وَخِلَافَتَهُ وَأَنَا أَرْمِيكُمْ بِطَرْفِي وَأَنْتُمْ
 تَنْسَلُونَ لِيَوَانًا وَتَنْهَزُمُونَ سِرَاعًا يَوْمَ الزَّوَايَةِ وَمَا يَوْمُ
 الزَّوَايَةِ بِهَا كَانَ فَشَلُّكُمْ وَتَنَازُعُكُمْ وَتَخَاذُلُكُمْ وَبِرَاءَةُ اللَّهِ
 مِنْكُمْ وَنُكُوصُ وَلِيهِ عَنْكُمْ إِذْ وَلَّيْتُمْ كَأَلْبِلِ الشَّوَارِدِ
 إِلَى أَوْطَانِهَا النَّوَارِعِ إِلَى أَعْطَانِهَا لَا يَسْأَلُ الْمَرْءُ مِنْكُمْ
 عَنْ أَخِيهِ وَلَا يُلَوِّي السَّيْحَ عَلَى بَنِيهِ حَتَّى عَضَّكُمْ السِّلَاحُ
 وَقَصَمَتْكُمْ الزِّمَاجُ وَيَوْمَ دَبَرِ الْجَمَاجِمِ وَمَا دَبَرِ الْجَمَاجِمِ
 بِهِ كَانَتْ الْمَعَارِكُ وَالْمَلَا حِمُّ يَضْرِبُ بِزَيْلِ الْهَامِ عَنْ
 مَقِيلِهِ وَيُنْزِلُ الْخَيْلُ عَنْ خَلِيلِهِ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ أَهْلَ
 الْكُفَرَاتِ وَالْفُجَرَاتِ وَالْفُغَرَاتِ بَعْدَ الْمُخْتَرَاتِ وَالْثَوَرَةِ
 بَعْدَ الثَّوَرَاتِ إِنْ بَعِثْتُمْ إِلَى نُغُورِكُمْ غَلْتُمْ وَخِثْتُمْ وَإِنْ
 أَمِيتُمْ أَرْجَفْتُمْ وَإِنْ خِفْتُمْ نَاقَفْتُمْ لَا تَذْكُرُونَ نِعْمَةً وَلَا
 تَشْكُرُونَ نِعْمَةً يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ هَلِ اسْتَخَفَّكُمْ نَاكِثٌ أَوْ

أَسْتَفْوَاكُمْ غَاوٍ أَوْ أَسْتَفْزَكُمُ عَاصِرٍ أَوْ أَسْتَنْصِرُكُمْ ظَالِمٍ
 أَوْ أَسْتَعِضِدُّكُمْ خَالِجٍ إِلَّا وَتَقْتُمُوهُ وَأَوْتَمُوهُ وَعَزَّزْتُمُوهُ
 وَتَصَرَّتُمُوهُ وَرَضَيْتُمُوهُ وَأَرْضَيْتُمُوهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ هَلْ
 شَغَبَ شَاغِبٌ أَوْ نَعَبَ نَاعِبٌ أَوْ تَعَقَّ نَاعِقٌ أَوْ زَفَرَ زَافِرٌ
 إِلَّا كُنتُمْ أَتْبَاعَهُ وَأَنْصَارُهُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ أَلَمْ تَنَهَكُمُ
 الْمَوَاعِظُ أَلَمْ تَزَجِرْكُمْ الْوَقَائِعُ يَا أَهْلَ الشَّامِ إِنَّمَا أَنَا
 لَكُمْ كَالظَّلِيمِ الذَّابِّ عَنْ فِرَاحِهِ يَنْفِي عَنْهَا الْمَدْرَ وَيَبَاعِدُ
 عَنْهَا الْحَجَرَ وَيَكْنِهَا مِنَ الْمَطَرِ وَيَجْبِهَا مِنَ الضِّيَابِ
 وَبَجَرُهَا مِنَ الذُّبَابِ يَا أَهْلَ الشَّامِ أَنتُمْ الْحَمِيَّةُ وَالرِّدَاءُ
 وَأَنْتُمْ الْعُدَّةُ وَالْحِذَاءُ

ولعنة بن ابي صفوان

يَا أَهْلَ مِصْرَ قَدْ طَالَتْ مُعَاتِبَتُنَا إِيَّاكُمْ بِأَطْرَافِ
 الرَّمَاكِ وَطُبَاتِ السُّيُوفِ حَتَّى صِرْنَا شَجَى فِي لَهَاكُم مَّا نُسِغُهُ
 حُلُوفُكُمْ وَأَقْدَاءَ فِي أَعْيُنِكُمْ مَّا تَطْرِفُ عَلَيْهَا جُفُونُكُمْ
 أَفَحِينَ اسْتَدَّتْ عُرَى الْحَقِّ عَلَيْكُمْ عَقْدًا وَاسْتَرْخَتْ عَقْدُ
 الْبَاطِلِ مِنْكُمْ حَلَالًا أَرْجَعْتُمْ بِالْخُلَيْفَةِ وَأَرَدْتُمْ تَهْوِينَ الْخِلَافَةِ
 وَخَضَعْتُمْ الْحَقَّ إِلَى الْبَاطِلِ وَأَقْدَمْتُمْ عَهْدَكُمْ بِهِ حَدِيثٌ

فَارْتَجُوا أَنْفُسَكُمْ إِذَا خَسِرْتُمْ دِينَكُمْ فَهَذَا كِتَابُ أَمِيرِ
 الْمُؤْمِنِينَ يَا نَحْبَرَ السَّارِعَةِ وَالْعَهْدِ الْقَرِيبِ مِنْهُ وَعَلِمُوا
 أَنَّ سُلْطَانَنَا عَلَى أَعْدَائِكُمْ دُونَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْلِحُوا لَنَا مَا
 ظَهَرَ وَتَكَلَّمُوا إِلَى اللَّهِ فِيمَا بَطَنَ وَأَظْهِرُوا خَيْرًا وَإِنْ
 أَضْمَرْتُمْ شَرًّا فَإِنَّكُمْ حَاصِدُونَ مَا أَنتُمْ زَارِعُونَ وَعَلَى اللَّهِ
 أَنْوَكَلُ بِهِ أَسْتَعِينُ

وله أيضا

يَا حَامِلِي الْأَمِّ أُنُوفٍ رُكِبَتْ بَيْنَ الْأَمِّ أَعْيُنٍ إِنَّمَا قَلِمْتُ
 أَظْفَارِي عَنْكُمْ لِيَلِينَنَّ مَسِي إِيَّاكُمْ وَسَأَلْتُكُمْ صَلَاحَكُمْ إِذَا
 كَانَ فَسَادُكُمْ رَاجِعًا عَلَيْكُمْ فَأَمَّا إِذَا أَيْبَمْتُ إِلَّا الطَّعْنَ عَلَى
 الْوَلَاةِ وَالْتِنِصَّ لِلْسَّلَفِ فَوَاللَّهِ لَا قَطِيعَ عَلَى ظُهُورِكُمْ
 بُطُونِ السِّبَاطِ فَإِنْ حَسَبْتَ دَاءَكُمْ وَإِلَّا فَالْسَيْفُ مِنْ
 وَرَائِكُمْ وَلَسْتُ أَجُلُّ عَلَيْكُمْ بِالْعُقُوبَةِ إِذَا جُدْتُمْ بِالْبَعْضَةِ
 وَلَا أَوْسَكُمْ مِنْ مُرَاجَعَةِ الْمُحْسَنِي إِنْ صِرْتُمْ إِلَى إِلَيَّ هِيَ
 أَبْرُ وَأَنْتَ

وَيُنَسَّبُ إِلَى سَعْدَانَ وَائِلَ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍ وَالْآخِرَةُ دَارُ مَقَرٍّ

فَخُذُوا مِنْ مَّوَارِثِكُمْ لِأَهْلِكُمْ وَلَا تَهْتِكُوا أَسْرَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَسْرَارُكُمْ وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ فَفِيهَا حَبِيبُكُمْ وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ الْيَوْمَ عَمَلٌ بِلاَ حِسَابٍ لِوَعْدِ حِسَابٍ بِلاَ عَمَلٍ إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكُوا وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ فَقَدَّ مَوَاقِعُهَا يَكُونُ لَكُمْ قَرْضًا وَلَا تَذَرُوكُمُ كُلًّا يَكُونُ عَلَيْكُمْ كَلًّا

فصل

في اللِّمِّ وَالنَّطِيعَةِ

كتب ابو الفضل بن العبد الى ابي عبد الله الطبري

وَصَلَ كِتَابُكَ فَصَادَفَنِي قَرِيبَ الْعَهْدِ بِأَلَا نَطْلَاقٍ مِنْ عَنَتِ الْفِرَاقِ وَوَأَقَفَنِي مُسْتَرْجِعَ الْأَعْضَاءِ وَالْحَوَاجِ مِنْ جَوَى الْأَشْتِيَاقِ فَإِنَّ الدَّهْرَ جَرَى عَلَى حُكْمِهِ الْهَالُوفِ فِي تَحْوِيلِ الْأَحْوَالِ وَمَضَى عَلَى رَسْمِهِ الْمَعْرُوفِ فِي تَبْدِيلِ الْأَشْكَالِ وَأَعْنَقَنِي مِنْ مَخَالِكَ إِعْنَاقًا لَا تَسْتَعِيقُ بِهِ وَلَا تَبْرَأُنِي مِنْ عَهْدِكَ بِرَأَاةٍ لَا تَسْتَوْجِبُ مَعَهَا دَرَكًا وَلَا أَسْتَنْشَاءُ وَنَزَعَ مِنْ عُنِّي رِيقَةَ الدَّلِيلِ فِي إِحْاطَتِكَ بِيَدَيَّ

جَنَائِكَ وَرَشَّ عَلَى مَا كَانَ يُضْرَمُ فِي ضَمِيرِي مِنْ بَرَانِ
الشَّقِيقِ بِالسُّلُوقِ وَشَنَّ عَلَى مَا كَانَ يَلْتَهَبُ فِي صَدْرِي مِنْ
الْوَجْدِ مَاءَ الْيَأْسِ وَسَمَّحَ أَعْشَارَ قَلْبِي فَلَا مَ فَطُورِي
بِحَمِيلِ الصَّبْرِ وَشَعَبَ أَفْلَازَ كَيْدِي فَلَا حَ صُدُوعَهَا بِحُسْنِ
الْعَزَاءِ وَتَغْلَغَلَ فِي مَسَالِكِ أَنْفَاسِي فَعَوَّضَ عَنِ النَّزَاعِ
إِلَيْكَ نَزُوعًا عَنْكَ وَمِنْ الذَّهَابِ فِيكَ رُجُوعًا دُونَكَ
وَكَشَفَ عَنْ عَيْنِي ضَبَابَاتِ مَا أَلْقَاهُ الْهَوَى عَلَى بَصَرِي
وَرَفَعَ عَنْهَا غِيَابَاتِ مَا سَدَّ لَهُ الشُّكُّ دُونَ نَظَرِي حَتَّى
حَدَرَ النِّقَابَ عَنْ صَفَحَاتِ شَيْمِكَ وَسَفَرَ عَنْ وُجُوهِ خَلِيقَتِكَ
فَاذْهَبَ فَقَدْ أَقْبَتُ حَبْلَكَ عَلَى غَارِبِكَ وَرَكَدْتُ إِلَيْكَ
ذِمَّةَ عَهْدِكَ

وله الوايضاً من رسالة

وَهَبَنِي سَكَتٍ لِدَعْوَاكَ سَكُوتَ مُتَعَجِّبٍ وَرَضِيْتُ رَضَى
مُسَخِّطٍ أَيْرَضَى الْفَضْلُ أَجْذَابَكَ بِأَهْدَائِهِ مِنْ يَدَيِ أَهْلِيهِ
وَأَصْحَائِهِ وَأَحْسَبُكَ لَمْ تُزَاخِرْ خُطَابَهُ حَتَّى أَنْشَدَكَ
لَوْ بِأَبَاتَيْنِ جَاءَ بِخُطْبَاهَا ضُرِجَ مَا أَنْفُ خَاطِبٍ يَدِمُ
وَلَيْتَ شِعْرِي بِأَيِّ حَلْمٍ تَصَدَّقْتُ لَهُ وَأَنْتَ لَوْ تَوَجَّجْتَ

بِالْثَرَيَّا وَتَقَلَّدَتْ فِلَادَةَ الْفَلَكَ وَتَمَنَّطَنْتْ بِمَنْطِقَةِ الْحُجُورَاءِ
 وَتَوَشَّحَتْ بِالْحَجَرَةِ لَمْ تَكُنْ إِلَّا عَطَلًا وَلَوْ تَدَثَّرْتَ أَنْوَارَ
 الرَّبِيعِ الزَّاهِرِ وَأَسْرَجْتَ فِي جَبِينِكَ غُرَّةَ الْبَدْرِ الْبَاهِرِ
 مَا كُنْتَ إِلَّا غَفَلًا لَا سِمَامَ مَعَ فَلَةٍ وَفَائِكَ وَضَعْفِ إِخَائِكَ
 وَظُلْمَةِ مَا بُصِرَهُ مِنْ خِصَالِكَ وَتَرَكَمُ الدَّحَى فِي ضَلَالِكَ
 وَقَدْ نَدِمْتُ عَلَى مَا كَانَ مِنِّي إِلَيْكَ وَلَكِنْ أَيْ سَاعَةٍ مَنَدَمٍ
 بَعْدَ إِفْنَاءِ الزَّمَانِ فِي أَهْدَائِكَ وَتَصَفِّي حَالَاتِ الدَّهْرِ
 فِي أَخْبَارِكَ وَبَعْدَ تَضْيِيعِ مَا غَرَسْتُهُ وَتَقْوِيزِ مَا أَسَسْتُهُ
 فَإِنَّ الْوَدَادَ غَرَسَ إِذَا لَمْ يُوَافِقْ ثَرَى ثَرِيًّا وَمَاءَ رَوِيًّا لَمْ
 يُرَجْ زَكَاوُهُ وَلَمْ يَجِرْ مَأْوُهُ وَلَمْ تَنْفَعْ أَزْهَارُهُ وَلَمْ تُجِنِ
 ثِمَارُهُ وَلَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ مَلَكَتُ الضَّلَالَ فَيَا دِي حَتَّى
 أَشْكَلَ عَلَى مَا بَخَنَاجُ إِلَيْهِ الْمَتَمَارِجَانِ وَلَا يَسْتَفِينِي عَنْهُ
 الْمَتَاكِفَانِ وَهِيَ مُهَارِجَةٌ طَبَعٍ وَمُوَافِقَةٌ شَكْلِ وَخَلْقٍ
 وَمُطَابَقَةٌ خِيمٍ وَخَلْقٍ وَمَا وَصَلْنَا حَالَ جَمْعِنَا عَلَى ائْتِلَافٍ
 وَحَمْتِنَا مِنْ ائْتِلَافٍ وَتَحْنُ فِي طَرْفِ ضِدِّينَ وَبَيْنَ
 أَمْرَيْنِ مُبَاعِدَيْنِ وَإِذَا حَصَلَتْ الْأَمْرُ وَجَدْتَ أَدْنَى مَا
 بَيْنَنَا مِنَ الْبِعَادِ أَكْثَرُ مِمَّا بَيْنَ الْوَهَادِ وَالنَّجَادِ وَأَبْعَدُ

مِمَّا بَيْنَ الْبَيَاضِ وَالسَّوَادِ وَأَيُّسَرَمَا بَيْنَنَا مِنَ الْغَفَارِ أَكْثَرَ
مِمَّا بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْإِعْلَانِ وَالْإِسْرَارِ

وكتبه أبو الفضل بديع الزمان المهنائي من رسالة إلى أبي نصر
ابن المرزبان

كُنْتُ أَطَالَ اللَّهُ بِقَاءِ سَيِّدِي وَمَوْلَايَ فِي قَدِيمِ الزَّمَانِ
أَتَمْنَى لِلْكِتَابِ الْخَيْرَ وَأَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ يُدِرَّ عَلَيْهِمْ أَخْلَافَ
الرِّزْقِ وَيُمِدَّ لَهُمْ أَكْنَافَ الْعَيْشِ وَيُوطِّئَهُمْ أَعْرَافَ
الْعَبْدِ وَيُؤْتِيَهُمْ أَصْنَافَ الْفَضْلِ وَيُرْكِبَهُمْ أَكْنَافَ الْعِزِّ
وَقُصَارَايَ أَنْ أَرْغَبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي أَنْ لَا يُبَيِّلَهُمْ فَوْقَ
الْكَفَايَةِ وَلَا يُمِدَّ لَهُمْ فِي حَبْلِ الرِّعَايَةِ فَشَدَّ مَا يَطْعُونُ
لِلنِّعَةِ يَنَالُونَهَا وَالدرَجَةَ يَعْلوْنَهَا وَسَرَّعَ مَا يَنْظُرُونَ مِنْ
عَالٍ بِمَا يَنْظُمُونَ مِنْ حَالٍ وَيَجْمَعُونَ مِنْ مَالٍ وَتُسَيِّمُ
أَيَّامُ الدُّنْيَةِ أَوْقَاتَ الْخُشُوعِ وَأَزْمَانُ الْعُدُوبَةِ سَاعَاتِ
الصُّعُوبِ وَلِلْكِتَابِ مَزِيَّةٌ فِي هَذَا الْبَابِ فَبَيْنَاهُمْ فِي
الْعُطْلَةِ إِخْوَانٌ كَمَا اتَّظَمَ السَّمْطُ وَفِي الْعُزْلَةِ أَعْوَانٌ كَمَا
انْفَرَجَ الْمَشْطُ حَتَّى لَحَظَهُمُ الْحُجْدُ لِحَظَةٍ حَقِيقًا بِمَنْشُورِ عِمَالَةٍ
أَوْصَكَ جِمَالَةٍ فَبَعُودُ عَامِرٍ وَدُمُ خَرَابَا وَيَتَقَلَّبُ شَرَابُ

عَهْدِهِمْ سَرَابًا فَمَا عَلَتْ أُمُورُهُمْ حَتَّى أُسِيلَتْ سُبُورُهُمْ
وَلَا غَلَتْ قُدُورُهُمْ إِلَّا خَلَّتْ بُدُورُهُمْ وَلَا اتَّسَعَتْ
دُورُهُمْ إِلَّا ضَاقَتْ صُدُورُهُمْ وَلَا أُوقِدَتْ نَارُهُمْ إِلَّا
انْطَفَأَ نُورُهُمْ وَلَا زَادَ مَالُهُمْ إِلَّا نَقَصَ مَعْرُوفُهُمْ وَلَا
وَرِمَتْ أَكْبِيَاسُهُمْ إِلَّا وَرِمَتْ أَنْفُسُهُمْ وَلَا صَلَحَتْ أَحْوَالُهُمْ
إِلَّا فَسَدَتْ أَعْمَالُهُمْ وَلَا حَسُنَتْ حَالُهُمْ إِلَّا قُبِحَتْ خِلَالُهُمْ
وَلَا فَاضَ جَاهُهُمْ إِلَّا غَاضَتْ مِيَاهُهُمْ وَلَا لَانَتْ بُرُودُهُمْ
إِلَّا صَلَبَتْ حُدُودُهُمْ وَلَا عَلَتْ جُدُودُهُمْ إِلَّا سَفَلَ جُودُهُمْ
وَلَا طَالَتْ أَيْدِيهِمْ إِلَّا قَصُرَتْ أَيْدِيهِمْ وَقُصَارَى أَحَدِهِمْ
مِنَ الْعَبْدَانِ لَا تَخْرُجُ مَالَهُ مِنْ عَهْدَةِ خَاتِمِهِ إِلَّا يَوْمَ مَاتِهِ
فَهُوَ يَجْمَعُ لِحَادِثِ حَيَاتِهِ أَوْارِثَ مَمَاتِهِ يَسْلُكُ فِي الْغَدْرِ
كُلَّ طَرِيقٍ وَيَبِيعُ بِالدَّرْهِمِ أَلْفَ صَدِيقٍ

فصل

في الدعاء

قال أعرابي

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَتَجِدْ بَارِدًا وَالنَّفْسُ رَطْبَةً وَاللِّسَانُ

مَنْطَلِقٌ وَالصَّحْفُ مَشُورَةٌ وَالْأَفْلَامُ جَارِيَةٌ وَالنُّوْبَةُ
مَقْبُولَةٌ وَالتَّضَرُّعُ مَرْجُوٌّ قَبْلَ أَنْ الْفَرَاقِي وَحَشَلُ
النَّفْسِ وَعَكَرَ الصَّدْرَ وَتَزَبَّلَ الْأَوْصَالِ وَنُصُولِ
الشَّعْرِ وَأَجْيَافِ الثَّرَابِ وَقَبْلَ أَنْ لَا أَقْدِرَ عَلَى اسْتِغْفَارِكَ
حِينَ يَفْنَى الْأَجَلُ وَيَنْقَطِعُ الْعَمَلُ أُعْنِي عَلَى الْمَوْتِ
وَكُرْبِهِ وَعَلَى الْقَبْرِ وَغَمِّهِ وَعَلَى الْمِيزَانِ وَخَفِّهِ وَعَلَى
الصِّرَاطِ وَزَلَّتِهِ وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعِهِ إِغْنِ لِي مَغْفِرَةً
لَا تُغَادِرُ ذَنْبًا وَلَا تَدْعُ كَرْبًا أَغْنِ لِي جَمِيعَ مَا أَفْتَرَضْتَ
عَلَيَّ وَلَمْ أُوَدِّهِ إِلَيْكَ أَغْنِ لِي جَمِيعَ مَا ثَبَتُ إِلَيْكَ مِنْهُ
ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ يَا رَبِّ تَظَاهَرْتُ عَلَى مِنْكَ النِّعَمُ وَتَدَارَكْتُ
عِنْدَكَ مِنِّي الذُّنُوبُ فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى النِّعَمِ الَّتِي تَظَاهَرْتُ
وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلذُّنُوبِ الَّتِي تَدَارَكْتُ وَأَمْسَيْتَ عَنْ عَذَابِي غَنِيًّا
وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَقِيرًا اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِمَجَاحِ
الْأَمَلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْأَجَلِ اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا
وَلِيَ أَجَلِي اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أُعْطِيَتْهُمْ شَكَرُوا
وَإِذَا أُنْزِلَتْهُمْ صَبَرُوا وَإِذَا أُذْكَرَتْهُمْ ذَكَرُوا وَاجْعَلْ لِي
فَلْبَاتُوا يَا أَوَّابًا لَا فَاجِرًا وَلَا مُرْتَابًا اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا

أَحْسِنُوا أَرْكَادُوا وَإِذَا أَسَاءُوا اسْتَغْفَرُوا اللَّهُمَّ لَا تَحْتَقِ
 عَلَى الْعَذَابِ وَلَا تَقْطَعْ بِي الْأَسْبَابَ أَدْعُوكَ دُعَاءَ ضَعِيفٍ
 عَمَلُهُ مُتَظَاهِرَةٌ ذُنُوبُهُ ضَمِينٌ عَلَى نَفْسِهِ دُعَاءَ مَنْ بَدَنُهُ
 ضَعِيفٌ وَمُسْتُهُ عَاجِزَةٌ قَدْ أَنْتَهَتْ عِدَّتُهُ وَخَلَقَتْ جِدَّتُهُ
 وَتَمَّ ظِمْمُوهُ اللَّهُمَّ لَا تُخَيِّبْنِي وَأَنَا أَرْجُوكَ وَلَا تُعَذِّبْنِي وَأَنَا
 أَدْعُوكَ أَتَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى طُولِ النَّسِيَةِ وَإِسَاعَةِ الرِّبْقِ
 وَتَأْخِرُ الشَّدَائِدِ وَأَتَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى حِلِّهِ بَعْدَ عَلَيْهِ وَعَلَى
 عَفْوِهِ بَعْدَ قُدْرَتِهِ وَأَتَحْمَدُ اللَّهَ الَّذِي لَا يُودِي قَتِيلَهُ وَلَا
 يُخَيِّبُ سَائِلَهُ وَلَا يَرُدُّ رِسُولَهُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ
 إِلَّا إِلَيْكَ وَمِنَ الذَّلِّ إِلَّا لَكَ وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَقُولَ زُورًا
 أَوْ أَغْشَى فُجُورًا أَوْ أَكُونَ بِكَ مَغْرُورًا وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ
 شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ وَعُضَالِ الدَّاءِ وَخِيَةِ الرَّجَاءِ وَزَوَالِ
 النِّعَمَةِ

وقال أعرابي غيره

اللَّهُمَّ إِنَّ اسْتَغْفَارِي إِيَّاكَ مَعَ كَثْرَةِ ذُنُوبِي لِلْوَمِّ
 وَإِنْ تَزَكِّيَ الْإِسْتِغْفَارُ مَعَ مَعْرِفَتِي بِسَعَةِ رَحْمَتِكَ لَعَجَزَ إِلَهِي
 كَمْ تَحَيَّتْ إِلَيَّ بِنِعْمَتِكَ وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنِّي وَكَمْ أَتَبَغَّضُ

إِلَيْكَ بِذُنُوبِي وَأَنَا فَقِيرٌ إِلَيْكَ سُبْحَانَ مَنْ إِذَا تَوَعَّدَ عَفَا
وَإِذَا وَعَدَ وَفَى

وقال آخر

اللَّهُمَّ إِنَّ ذُنُوبِي إِلَيْكَ لَا تَضُرُّكَ وَإِنَّ رَحْمَتَكَ
إِلَيَّ لَا تَنْقُصُكَ فَأَغْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ وَهَبْ لِي مَا لَا
يَنْقُصُكَ

فصل

في القول عند الوقوف على القبور

قالت أعرابية

وَاللَّهِ يَا بَنِيَّ لَقَدْ غَدَوْتُكَ رَضِيْعًا وَقَدَدْتُكَ سَرِيْعًا
وَكَاثَةً لَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَالَيْنِ مَدَّةٌ أَلَدُّ بَعْشِكَ فِيهَا فَأَصْبَحْتَ
بَعْدَ النَّصَارَةِ وَالْفَصَارَةِ وَرَوْتِي الْحَيَاةَ وَالنَّسَمَ مِنْ طِيبِ
رَوَائِحِهَا تَحْتَ طَبَاقِ الثَّرَى جَسَدًا هَامِدًا. وَرُفَاتًا سَحِيْقًا
وَصَعِيدًا جُرْزًا أَنِي بَنِيَّ لَقَدْ سَحَبْتَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالَ
الْفَنَاءِ وَأَسْكَنْتَكَ دَارَ الْإِلَى وَرَمْتَنِي بَعْدَكَ نَكْبَةً الرَّدَى أَنِي
بَنِيَّ لَقَدْ أَسْفَرْتَنِي عَنْ وَجْهِ الدُّنْيَا صَبَاحَ دَاجٍ ظَلَامُهُ أَنِي

رَبِّ وَمِنْكَ الْعَدْلُ وَمِنْ خُلُقِكَ الْحُودُ وَهَبْتَهُ لِي فَرَّةً عَيْنٍ
فَلَمْ تُبْعِنِي بِهِ كَثِيرًا بَلْ سَلَبْتَنِيهِ وَسَيِّئًا ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِالصَّبْرِ
وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ الْأَجْرَ فَصَدَقْتُ وَعَدَكَ وَرَضَيْتُ قَضَاءَكَ
اللَّهُمَّ أَرْحَمْ غُرْبَتَهُ وَأَنْسِ وَحْشَتَهُ وَأَسْرِ عَوْرَتَهُ يَوْمَ
تُنْكَشِفُ الْهَنَاتِ وَالسَّوَاتِ أَيُّ بَنِي إِبْنِي قَدْ تَزَوَّدْتُ
لِسَفَرِي فَلَيْتَ شِعْرِي مَا زَادَكَ لِبُعْدِ طَرِيقِكَ وَيَوْمَ
مَعَادِكَ اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ لَهُ الرِّضَى بِرِضَايَ عَنْهُ أَيُّ
بَنِي أَسْتَوْدِعُكَ مَنْ أَسْتَوْدِعِيكَ فِي أَحْسَائِي جَنِينًا
وَأُنْكَلَ الْوَالِدَاتِ مَا أَمَضَ حَرَارَةَ قُلُوبِهِنَّ وَأَفْلَقَ
مَضَاجِعُهُنَّ وَأَطْوَلَ لَيْلَهُنَّ وَأَقْصَرَ نَهَارَهُنَّ وَأَقْلَّ أُنْسَهُنَّ
وَأَشَدَّ وَحْشَتَهُنَّ وَأَبْعَدَهُنَّ مِنَ السُّرُورِ وَأَقْرَبَهُنَّ مِنَ
الْأَحْزَانِ

وقالت امرأة الاخنف بن قيس

لِلَّهِ دُرٌّ مِنْ مَحَبِّي فِي جَنِّ وَمُدْرَجٌ فِي كَفْنٍ نَسَأَلُ
الَّذِي فَجَعَنَا بِمَوْتِكَ وَأَهْلَانَا بِقَدِّكَ أَنْ يَجْعَلَ سَبِيلَ
الْخَيْرِ سَبِيلَكَ وَدَلِيلَ الرُّشْدِ دَلِيلَكَ وَأَنْ يُوسِّعَ لَكَ فِي
قَبْرِكَ وَيَغْفِرَ لَكَ يَوْمَ حَشْرِكَ فَوَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ فِي

أَلْتَحَافِلِ شَرِيفًا وَعَلَى الْأَرَامِلِ عَطُوفًا وَلَقَدْ كُنْتَ فِي الْحَيِّ
 مُسَوِّدًا وَإِلَى الْخَلِيفَةِ مُوَفِّدًا وَلَقَدْ كَانُوا لِقَوْلِكَ مُسْتَمِعِينَ
 وَلِرَأْيِكَ مُتَّبِعِينَ لَقَدْ عِشْتَ حَمِيدًا مَوْدُودًا وَمُتَّ سَعِيدًا
 مَقْنُودًا

وقال حيان بن سلى على قبر عامر بن الطفيل

إِنَّمَا ظَلَمًا يَا أَبَا عَلِيٍّ فَقَدْ كُنْتَ تَشُنُّ الْغَارَةَ وَتَحْيِي
 الْجَارَةَ سَرِيعًا بِوَعْدِكَ بَطِيئًا بِوَعِيدِكَ وَكُنْتَ لَا تَضِلُّ
 حَتَّى يَضِلَّ النِّجْمُ وَلَا تَهَابُ حَتَّى يَهَابَ اللَّيْثُ وَلَا تَعْطَشُ
 حَتَّى يَعْطَشَ الْبَعِيرُ وَكُنْتَ خَيْرَ النَّاسِ حِينَ لَا تَظُنُّ نَفْسُ
 بِنَفْسٍ خَيْرًا

خَاتَمَةٌ

في الوصف

فَقَرَّ جَارِيَةٌ عَلَى أَلْسِنَةِ الْبَلَاءِ فِي صِفَاتِ شَيْءٍ

في وصف البلدان

بَلَدٌ كَأَنَّهَا صُورَةُ جَنَّةٍ أُنْخِلَتْ مِنْقُوشَةٌ فِي عُرْضِ الْأَرْضِ *
 بَلَدٌ كَانَ مُحَاسِنِ الدُّنْيَا مَجْمُوعَةً فِيهَا وَمَحْصُورَةٌ فِي نَوَاحِيهَا *
 بَلَدٌ تَرَاهَا عَنَبَرٌ وَحَصْبًا وَهَاقِيقٌ وَهَوَاؤُهَا نَسِيمٌ وَمَاؤُهَا
 رَحِيقٌ * بَلَدٌ مَعْشُوقَةُ السُّكْنَى رَحْبَةُ الْمَشْوَى كَوَكْبِهَا
 يَقْظَانُ وَجُوهَهَا عُرْيَانٌ يَوْمُهَا غَدَاةٌ وَلَيْلُهَا سَحَرٌ * بَلَدٌ
 وَاسِعَةُ الرُّفْعَةِ طَيِّبَةُ الْبُغْيَةِ وَاسِطَةُ الْإِلَادِ وَسُرَّتُهَا وَوَجْهُهَا
 وَغُرَّتُهَا

في وصف الفلاع

قَلْعَةٌ حَلَّتْ بِأَنْجُو تَنَاحِي السَّمَاءِ بِأَسْرَارِهَا * قَلْعَةٌ
 تُنَوِّحُ بِالْغُيُومِ وَتُجَلِّي النُّجُومَ * قَلْعَةٌ مَتْنَاهِيَةٌ فِي الْحَصَانَةِ
 مُنْتَنَعَةٌ عَنِ الطَّلَبِ وَالطَّالِبِ مَنْصُوبَةٌ عَلَى أَضْبِقِ
 الْمَسَالِكِ وَأَوْعَرِ الْمَنَاصِبِ لَمْ تَزِدْهَا إِلَّا يَامُ إِلَّا نَبِيٌّ

أَعْطَافٍ وَأَسْنِصَابَ جَوَانِبَ وَأَطْرَافٍ قَدْ مَلَ الْمُلُوكُ
حِصَارَهَا فَفَارَقُوهَا عَنْ طِمَاحٍ مِنْهَا وَشِمَاسٍ وَسَمِتٍ
الْحَيُوشُ ظِلُّهَا فَغَادَرَتْهَا بَعْدَ قُنُوطٍ وَيَاسٍ فَبَيَّ حَتَّى لَا
يُرَاعُ وَمَعْنَلٍ لَا يُسْتَطَاعُ كَأَنَّ الْأَيَّامَ صَاحَتْهَا عَلَى الْأَعْفَاءِ
مِنَ الْحَوَايِثِ وَالْبَيَاقَاتِ عَاهَدَتْهَا عَلَى التَّسْلِيمِ مِنَ الْقَوَارِعِ

في وصف الدور

دَارُ فَرَارٍ تُوسِعُ الْعَيْنَ قُرَّةً وَالنَّفْسَ مَسْرَّةً كَأَنَّ
بَانِيَهَا أَسْتَسَلَفَ الْجَنَّةَ فَعَجَّلَتْ لَهُ * دَارُ نَجْلٍ مِنْهَا الدُّورُ
وَتَقَاصِرُ عَنْهَا الْقُصُورُ إِنْ مَاتَ صَاحِبُهَا مَغْفُورًا لَهُ فَقَدْ
أَنْتَقَلَ مِنْ جَنَّةٍ إِلَى جَنَّةٍ * دَارُ قَدْ أَقْتَرَنَ الْيَمَنُ بَيْنَهَا
وَالْيُسْرُ بَيْسَرَاهَا الْجُسُومُ مِنْهَا فِي حَضَرٍ وَالْعُيُونُ عَلَى
سَفَرٍ * دَارُ دَارٍ بِالسَّعْدِ نَجْمُهَا وَفَارَ بِالتَّحْسَنِ سَهْمُهَا
بِجَدِّهَا الدَّهْرُ وَيَأْوِيهَا الْبَدْرُ وَيَكْنِيهَا النَّصْرُ هِيَ مَرْتَعُ
النَّوَاطِرِ وَمَتْنَفَسُ الْخَوَاطِرِ أَخَذَتْ أَدْوَاتِ الْجِنَانِ
وَضَحِكَتْ مِنَ الْعَبَرِيِّ الْحِسَانِ

في وصف الديار الخالية

دَارُ لَيْسَتْ أَلِيٍّ وَتَعَطَّلَتْ مِنَ الْحَيِّ صَارَتْ مِنْ

أَهْلَهَا خَالِيَةً بَعْدَمَا كَانَتْ بَيْنَ خَالِيَةٍ قَدْ أَنْفَدَ الْيَزِيدُ سَكَّانَهَا
وَأَقْعَدَ حِطَّانَهَا * دَارُ شَاهِدِ الْيَاسِ مِنْهَا يَنْطِقُ وَحَبْلُ
الرَّجَاءِ فِيهَا يَقْصُرُ كَأَنَّ عُمْرَانَهَا يُطَوِّى وَخَرَابُهَا يُنْشَرُ
أَزْكَانُهَا فَيَأْتِ وَقُوعُودُ وَحِطَّانُهَا رُكَّعٌ وَسُجُودُ

بَكَتْ دَارُهُمْ مِنْ بَعْدِهِمْ فَتَهَلَّلَتْ
دُمُوعِي فَأَيَّ الْفَجَارِ عَيْنِ الْيَوْمِ
أُمْتَعِبِرَا بَيْنِي عَلَى اللَّهِ وَالْإِلَى
أَمْ الْآخِرَ يَنْكِى شَجْوَهُ فَبَيْهِمْ

في وصف ايام الربيع

يَوْمٌ جَلَابِيبُ غُيُومِهِ رَوَاقٌ وَأَرْذِيَّةُ نَسِيمِهِ رِفَاقٌ *
يَوْمٌ سَمَاءٌ فَاخِيَّةٌ وَأَرْضُهُ طَارُوسِيَّةٌ * يَوْمٌ مُهْمَسُكُ السَّمَاءِ
مُعْصَنُ الْهَوَاءِ مُعْتَبَرُ الرُّوضِ مُصْنَدُ الْمَاءِ * يَوْمٌ
تَبَسَّمَ عَنْهُ الرَّبِيعُ وَتَبَرَّجَ عَنْهُ الرُّوضُ الْهَرِيعُ * يَوْمٌ كَأَنَّ
سَمَاءَهُ مُجْدُّ تَبَاكِي وَأَرْضَهُ عُرُوسٌ تَجَلَّى * يَوْمٌ دَجْنَةُ
عَاكِفٌ وَقَطْرَةٌ وَآكِفٌ

في وصف الرياض

رَوْضَةٌ رَفَّتْ حَوَاسِيهَا وَتَأَنَّقَتْ وَاسِيهَا * رَوْضَةٌ كَأَنَّهَا

الْمُنْظَمَةِ عَلَى الْبُرُودِ الْمُنْمَةِ * رَوْضَةٌ قَدَرَا ضَتْهَا كَفَتْ
الْمَطَرِ وَدَجَّجَتْهَا أَيْدِي النَّدَى * رِيَاضٌ كَالْعُرَائِسِ فِي
حَلِيهَا وَزَخَارِفِهَا وَالْقِيَانِ فِي وَشِيهَا وَمَطَارِفِهَا بِاسِطَةٌ
زَرَابِيهَا وَأَنْمَاطُهَا نَاشِرَةٌ بُرُودَهَا وَرِيَاطُهَا زَاهِيَةٌ
بَحْمَرُهَا وَصَفَرُهَا نَائِمَةٌ بَعِيدَانِهَا وَغُذْرَانِهَا كَأَنَّمَا
أَحْفَلَتْ لَوْفِدٍ أَوْ هِيَ مِنْ حَبِيبٍ عَلَى وَعْدٍ * رَوْضَةٌ قَدَرَا
تَصَوَّغَتْ بِالْأَرْجِ الطَّيِّبِ أَرْجَاؤُهَا وَتَبَرَّجَتْ فِي ظِلِّ
الْقَمَامِ صَحْرَاؤُهَا وَتَنَافَحَتْ بِنَوَاجِحِ الْمِسْكِ أَنْوَارُهَا
وَتَعَارَضَتْ بِغُرَائِبِ النُّطْقِ أَطْيَارُهَا * بُسْتَانٌ أَنْهَارُهُ
مُخْفُوفَةٌ بِالْأَزْهَارِ وَأَشْجَارُهُ مُوَفَّرَةٌ بِالنِّمَارِ * أَشْجَارُهَا كَأَنَّ
الْحُورَ أَعَارَتْهَا قُدُودَهَا وَكَسَتْهَا بُرُودَهَا وَحَلَقَهَا عُقُودَهَا *
شَقَائِقُ كُنُجَانِ الْعَفِيقِ عَلَى رُؤُوسِ الزُّنُوجِ كَأَنَّمَا أَصْدَاغُ
الْمِسْكِ عَلَى الْوُجُنَاتِ الْمُرْدَّةِ * كَأَنَّ الشَّقِيقَ جَامٌ مِنْ
عَفِيقٍ أَحْمَرٍ مِلَّتْ قَرَارَتُهُ بِمِسْكِ أَذْفَرٍ * الْأَرْضُ
زُمُرْدَةٌ وَالْأَشْجَارُ وَشْيٌ وَالْمَاءُ سَيُوفٌ وَالطُّيُورُ قِيَانٌ *
قَدَرَا غَرَدَتْ خُطَبَاءُ الْأَطْيَارِ عَلَى مَنَابِرِ الْأَنْوَارِ وَالْأَزْهَارِ

في وصف طول الليل والسهر وما يعرض فيه من المهوم والفكر
 لَيْلَةٌ قُصَّ جَنَاحُهَا وَضَلَّ صَبَاحُهَا * لَيَالٍ لَيْسَتْ
 لَهَا أَشْجَارٌ وَظُلُمَاتٌ لَا يَخْلُلُهَا أَنْوَارٌ * لَيْلٌ نَ ثَابِتٌ
 الْأَطْنَابِ بَطِيءُ الْفَوَارِبِ طَاحُجُ الْأَمْوَاجِ وَافِي الذُّوَابِ *
 بَاتَ يَلْبَلَةٌ سَاوَرَتْ فِيهَا الْهُومُ وَسَامَرَتْهُ النُّجُومُ وَانْتَحَلَ
 الشَّهَادَ وَافْتَرَشَ الْقَنَادَ * انْتَحَلَ بِمَاءِ السَّهْرِ وَتَمَلَّمَ عَلَى
 فِرَاشِ الْفِكْرِ * قَدْ أَقْضَى مَهَادُهُ وَقَلِقَ وَسَادَهُ * هُمُومٌ
 تُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُجَنَّبِ وَالْمِهَادِ وَتَجْمَعُ بَيْنَ الْعَيْنِ وَالشَّهَادِ

في وصف اتصاف الليل ونهايه وانتشار النور وافول النجوم
 قَدْ اكْتَهَلَ الظَّلَامُ * قَدْ نَصَفْنَا عُمْرَ اللَّيْلِ وَاسْتَغْرَقْنَا
 شِبَابَهُ * قَدْ شَابَ رَأْسُ اللَّيْلِ * كَادَ بَيْنَهُ النَّسِيمُ بِالسَّحْرِ *
 قَدْ انْكَشَفَ غِطَاءُ اللَّيْلِ وَسِئْرُ الدُّجَى * هَرِمَ اللَّيْلُ وَشَمِطَتْ
 ذَوَائِبُهُ * فَوَضَتْ خِيَامُ اللَّيْلِ وَخَلَعَ الْأَفْقُ ثَوْبَ الدُّجَى *
 تَبَسَّمَ الْفَجْرُ ضَاحِكًا مِنْ شَرْفِهِ وَنَصَبَ أَعْلَامَهُ عَلَى مَنَازِلِ
 أَفْقِهِ * إِقْنَصَ بَازِي الضُّوءِ غُرَابَ الظَّلَامِ وَقَضَى كَافُورُ
 النُّورِ مِنَ الْعَسَقِ مَسْكَ الْخِتَامِ * طُرُزَ قَيْمِصُ اللَّيْلِ بِغُرَّةِ
 الصُّبْحِ * بَاحَ الصُّبْحِ بِسِرِّهِ * خَلَعَ اللَّيْلُ ثِيَابَهُ وَحَدَرَ الصُّبْحُ

نَقَابَهُ * بَثَّ الصُّبْحُ طَلَانِعَهُ * تَبَزَّعَ اللَّيْلُ بِغُرَّةِ الصُّبْحِ *
 أَطَارَ مُنَادِي الصُّبْحِ غُرَابَ اللَّيْلِ * عَزَلَتْ نَوَاحِجُ اللَّيْلِ
 بِجَامَاتِ الْكَافُورِ وَأَنْهَزَمَ جَيْشُ الظَّلَامِ عَنْ عَسْكَرِ النُّورِ *
 مَالَتْ الْحُجُوزَاءُ لِلْغُرُوبِ وَوَلَّتْ مَوَاكِبُ الْكَوَاكِبِ وَتَنَازَعَتْ
 عُمُودُ النُّجُومِ * وَهِيَ نِطَاقُ الْحُجُوزَاءِ وَأَنْطَفَأَ فَنْدِيلُ الثَّرَيَا

في وصف طلوع الشمس وغروبها ومتنوع النهار واتصافه
 وابتدأته وانتهائه

بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ * أَلْقَتْ الْغَزَالَةُ لُعَابَهَا وَضَرَبَتْ
 الْأَضْحَى أَطْنَابَهَا * انْتَشَرَ جَنَاحُ الضُّوْءِ فِي أَفْقِ الْحُجُوزِ *
 اسْتَوَى شَبَابُ النَّهَارِ * عَلَا رَوْقُ الْأَضْحَى * بَلَغَتْ الشَّمْسُ
 كَيْدَ السَّمَاءِ * قَامَ قَائِمُ الْهَاجِرَةِ وَرَمَتْ الشَّمْسُ بِجَهْرَاتِ
 الظُّهْرِ * إِصْفَرَتْ غِلَالَةُ الشَّمْسِ وَصَارَتْ كَأَنَّهَا الدِّينَارُ
 يَلْمَعُ فِي فَرَارِ الْمَاءِ * نَفَضَتْ نِيْراً عَلَى الْأَصِيلِ وَشَدَّتْ
 رَحْلَهَا لِلرَّحِيلِ * جَنَحَتِ الشَّمْسُ إِلَى مَغَارِبِهَا * دَاكَّتْ
 دُلُوحُ * وَأَغْبَرَتْ لَوْحُ اللَّوْحِ * نَصَوَبَتِ الشَّمْسُ لِلْمَغِيبِ *
 تَضَيَّعَتْ لِلْغُرُوبِ فَأَذِنَ جَنْبُهَا بِالْوُجُوبِ * شَابَ النَّهَارُ
 وَأَقْبَلَ شَبَابُ اللَّيْلِ * اسْتَرَدَّ وَجْهُ الشَّمْسِ بِالنِّقَابِ

وَتَوَارَتْ بِأَحْجَابِهِ * كَانَ هَذَا الْأَمْرُ مِنْ مَطْلَعِ الْفَلَكِ
إِلَى مَجْمَعِ الْفَسَقِ

في وصف الرعد والبرق

قَامَ خَطِيبُ الرَّعْدِ * نَبَضَ عِرْقُ الْبَرْقِ * سَحَابَةٌ أَرْجَحَتْ
رُعُودَهَا وَذَهَبَتْ بِرُوءِهَا بِرُودَهَا * نَطَقَ لِسَانُ الرَّعْدِ
وَخَفَقَ قَلْبُ الْبَرْقِ فَالرَّعْدُ ذُو صَخَبٍ وَالْبَرْقُ ذُو لَهَبٍ *
إِثْسَمَ الْبَرْقُ عَزَ فَهْمَهُ الرَّعْدُ * زَارَتْ أَسْوَدُ الرَّعْدِ *
وَلَمَعَتْ سَيُوفُ الْبَرْقِ * رَعَدَتْ الْغَمَامُ وَبَرَقَتْ وَانْتَحَلَتْ
عُرَى السَّمَاءِ فَطَبَّقَتْ * هَدَرَتْ رَوَاعِدُهَا وَقَرِبَتْ أَبَاعِدُهَا
وَصَدَقَتْ مَوَاعِدُهَا

في وصف مقدمات المطر

لَيْسَتْ السَّمَاءُ سِرْبًا لَهَا وَسَحَبَتِ السَّحَابُ أَذْيَالَهَا *
قَدْ أَحْجَبَتِ السَّمَاءُ فِي سُرَادِقِ الْغَيْمِ * لَيْسَ الْخَوْ مُطْرِفَهُ
الْأَدُكَنْ * بَاحَتْ الرِّيحُ بِأَسْرَارِ النَّدَى * ضُرِبَتْ خِيَمَةُ
الْغَمَامِ * إِجْلَلْ جَنَاحُ الْهَوَاءِ وَاغْرُورِقَتْ مُقَلَّةُ السَّمَاءِ *
هَبَّتْ سَمَائِلُ الْجَنَائِبِ لِتَأْلِيفِ شَمْلِ السَّحَابِ * تَأَلَّفَتْ
أَسْنَانُ الْغُيُومِ وَأُسْبِلَتْ السُّنُورُ عَلَى النُّجُومِ

في وصف الثلج والبرد والام الشتاء

مَدَّ الشِّتَاءَ رِوَاقَهُ وَالْقَى أَرْوَاقَهُ وَحَلَّ نِطَاقَهُ * أَنَاخَ
بِنَوَازِلِهِ وَأَرْسَى بِكَلَاكِلِهِ وَكَلَحَ بِوَجْهِهِ وَكَشَرَ عَنْ أَنْبَابِهِ *
فَدَّ عَادَتِ الْخِيَالُ شَيْبًا وَلَيْسَتْ مِنَ الثَّلُوجِ مُلَاءَ قَشِيبًا *
شَابَتْ مَفَارِقُ الْبُرُوجِ بِتَرَائِمِ الثَّلُوجِ * أَلَمَّ الشَّيْبُ بِهَا
وَأَيَّضَتْ لِمَمَّا * بَرْدٌ يَقْضِضُ الْأَعْضَاءَ وَيَنْقُضُ الْأَحْسَاءَ *
بَرْدٌ يَجْمِدُ الرِّيقَ فِي الْأَسْدَاقِ وَالْدَمْعَ فِي الْأَمَاقِ * يَوْمَ
كَأَنَّ الْأَرْضَ شَابَتْ لَهَوْلِهِ * يَوْمَ يَفْضِي التَّجْلِبَابُ مِسْكِ
النِّقَاسِ عُبُوسٌ قَمَطَرِيذٌ كَشَرَ عَنْ نَابِ الزَّمْهَرِيرِ وَفَرَمَرِ
الْأَرْضِ بِالْقَوَارِيرِ * يَوْمَ أَرْضُهُ كَالْقَوَارِيرِ اللَّامِعَةِ وَهَوَاؤُهُ
كَالزَّنَابِيرِ اللَّاسِعَةِ

في وصف المطر والماء والسحاب والندران

مَاءٌ إِذَا مَسَّتْهُ أَيْدِي النَّسِيمِ حَتَّى سَلَّسِلَ الْفَيْضَ *
غَدِيرٌ تَرَفَّرَتْ فِيهِ دُمُوعُ السَّحَابِ وَتَوَاتَرَتْ عَلَيْهِ أَنْفَاسُ
الرِّيَاحِ الْغَرَائِبِ * اِنْحَلَّ غَدُّ السَّمَاءِ وَأَنْهَلَ دَمْعَ الْأَنْوَاءِ *
اِنْحَلَّ سِلْكُ الْقَطْرِ عَنْ ذُرِّ الْجَبْرِ * سَحَابَةٌ تَحْدُو مِنَ الْغُيُومِ
جَمَالًا وَتَمُدُّ مِنَ الْأَمْطَارِ حِيَالًا * سَحَابَةٌ تُرْسِلُ الْأَمْطَارَ

أَمْوَاجًا وَالْأَمْوَاجُ أَفْوَاجًا * سَحَابَةٌ تَضْحَكُ مِنْ بُكَائِهَا الرُّوضُ
وَتَخْضَرُ مِنْ سَوَادِهَا الْأَرْضُ * سَحَابَةٌ لَا تَحِفُّ جَنُوبَهَا وَلَا
يَحِفُّ أُنْيُهَا * دِيمَةٌ رَوَتْ أَدِيمَ الثَّرَى وَنَبَتْ عِيُونَ النُّورِ
مِنَ الْكَرَى * سَحَابَةٌ رَكِبَتْ أَعْنَاقَ الرِّيحِ وَسَحَّتْ كَأَفْوَاهِ
الْجِرَاحِ * مَطَرٌ كَأَفْوَاهِ الْقِرَمِ

في وصف القبط وشدة الحر

حَرُّ شَيْءٍ قَلْبَ الصَّبِّ وَيُذِيبُ دِمَاعَ الصَّبِّ * قَوِي
سُلْطَانُ الْحَرِّ وَبُسْطُ يَسَاطُ الْجَهْرِ * أَوْفَدَتِ الشَّمْسُ
نَارَهَا وَأَذْكَّتْ أَوَارَهَا * حَرٌّ يَلْمَحُ حَرَّ الْوَجْهِ * هَاجِرَةٌ
كَأَنَّهَا مِنْ قُلُوبِ الْعُشَّاقِ إِذَا اشْتَعَلَتْ فِيهَا نَارُ الْفِرَاقِ *
هَاجِرَةٌ تَحْكِي نَارَ الْهَجْرِ وَتُذِيبُ قَلْبَ الصَّخْرِ * حَرٌّ يَرْبُ
لَهُ الْحَرِيبَاءُ مِنَ الشَّمْسِ * قَدْ صَهَرَتْ الْهَاجِرَةُ الْأَبْدَانُ
وَرَكِبَتْ الْجَنَادِبُ الْعِيدَانَ * حَرٌّ يُنْضِجُ الْجِلْدَ وَيُذِيبُ
الْجِلْمُودَ * أَيَّامٌ كَأَيَّامِ الْفُرْقَةِ أَمْدَادًا وَحَرٌّ كَحَرِّ الْوَجْدِ
أَشْدَادًا * هَاجِرَةٌ كَالسَّعِيرِ الْهَاجِمِ يَجْرُ أَذْيَالُ السَّمَامِ

في وصف الشيب

ذَوَى غُصْنٍ شَبَابِهِ * بَدَتْ فِي رَأْسِهِ طَلَائِعُ الْمَشِيبِ *

أَقْمَرُ لَيْلٍ شَبَابِهِ * ظَهَرَتْ غُرَّةُ الْقَمَرِ وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي
 لَيْلِ الشَّعْرِ * رُمِيَ فَاحِمُ الْفُودِ بِضِدِّهِ وَأَشْتَمَلَ الْمَيْضُ
 فِي مُسَوِّدِهِ * لَمَعَ ضَوْؤُهُ فَرَعِهِ وَتَفَرَّقَ شَبْلُ جَنَعِهِ * عَلَاهُ
 غُبَارُ وَقَائِعِ الدَّهْرِ * بَيْنَاهُمَا رَاقِدٌ فِي لَيْلِ الشَّبَابِ أَيْظُهُ
 صَبْحُ الْمَشِيبِ * طَوَى مَرَا حِلَ الشَّبَابِ وَأَنْفَقَ عُمْرَهُ بِغَيْرِ
 حِسَابٍ * جَاوَزَ مِنَ الشَّبَابِ مَرَا حِلَ وَوَرَدَ مِنَ الشَّيْبِ
 مَنَاهِلَ * فَلِ الدَّهْرِ شَبَابُ شَبَابِهِ وَمَحَامِلُ رُؤَايِهِ * طَارَ
 غُرَابُ شَبَابِهِ * إِنْتَهَى شَبَابُهُ وَشَابَ أَتْرَابُهُ * اسْتَبَدَلَ
 بِالْأَدْنَمِ الْأَبْلَقَ وَبِالْغُرَابِ الْعَفْعَقَ * اسْتَعَاذَ مِنَ
 الْغُرَابِ بِقَادِمَةِ النَّسْرِ * أَسْفَرَ صَبْحُ الْمَشِيبِ * عَلَتْهُ أُهْبَةُ
 الْكِبَرِ * نَفَضَ جَبَّةَ الصَّبِيِّ وَتَوَلَّى دَاعِيَةَ الْحَجَى * الشَّيْبُ
 زُبْدَةٌ مَخْضَتَهَا إِلَّا يَامُ وَفِضَةٌ مَحْضَتَهَا التَّجَارِبُ * سَرَى فِي
 طَرِيقِ الرُّشْدِ بِبُصْبَاحِ الشَّيْبِ * الشَّيْبُ خِطَامُ الْمَنِيَةِ *
 الشَّيْبُ نَذِيرُ الْآخِرَةِ

في وصف آلات الكتابة

الدَّوَاءُ مِنَ أَنْفَعِ الْأَدْوَاتِ وَهِيَ لِلْكِتَابَةِ عَنَادٌ وَلِلْخَاطِرِ
 زِنَادٌ * غَدِيرٌ لَا يَرِدُّهُ غَيْرُ الْأَفْهَامِ وَلَا يُغْمَغَمُ بِغَيْرِ أَرْضِيَّةٍ

أَفْلَامُ * غَدِيرُ تَفِيضٍ يَبَايِعُ الْحِكْمَةَ مِنْ أَقْطَارِهِ وَتَنْشَأُ
سَحْبُ الْبَلَاغَةِ مِنْ قَرَارِهِ * مِدَادُ كَسَادِ الْعَيْنِ وَسُودَاءُ
الْقَلْبِ وَجَنَاحُ الْغُرَابِ وَلُعَابُ اللَّيْلِ وَالْوَانِ نُهْمُ الْخَيْلِ *
مِدَادُ نَاسَبِ خَافِيَةِ الْغُرَابِ وَأَسْتَعَارَ لَوْنُهُ مِنْ شَرْخِ
الشَّبَابِ * أَفْلَامُ جَمَّةِ الْعَاسِنِ بَعِيدَةٌ مِنَ الْمَطَاعِينَ *
أَنَابِيْبُ نَاسَبَتْ رِمَاحَ الْخَطِّ فِي أَجْنَاسِهَا وَشَاكَلَتْ الذَّهَبَ
فِي أَلْوَانِهَا وَضَاهَتْ الْحَدِيدَ فِي لَمَعَانِهَا * أَفْلَامُ كَانَهَا
الْأَمْيَالُ أَسْنَوَاءُ وَالْأَجَالُ مَضَاءُ بِطَيْئَةِ الْحَفَى قُوَّةُ الْهُوَى *
فَلَمْ لَا يَبْنُو إِذَا نَبَتِ الصِّفَاحُ وَلَا يُجَيِّمُ إِذَا أَجْجَمَتِ
الرِّمَاحُ * فَلَمْ يَسْكُتْ وَاقِفًا وَيَنْطِقُ سَاكِئًا

في وصف الخطباء

جَلَوْا بِكَلَامِهِمِ الْأَبْصَارَ الْعَلِيلَةَ وَشَحَذُوا بِمَوَاعِظِهِمِ
الْأَذْهَانَ الْكَلِيلَةَ وَنَبِهُوا الْقُلُوبَ مِنْ رَقْدَتِهَا وَتَقْلُوهَا عَنْ
سُوءِ عَادَتِهَا فَشَفَوْا مِنْ كَاءِ الْقِسْوَةِ وَغَبَاوَةِ الْغَفْلَةِ وَكَادُوا
مِنْ أَلَمِ الْفَاضِحِ وَتَهَجُّوا لَنَا الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ * خَطِيبٌ لَا
تَنَالُهُ حِسَةٌ وَلَا تَرْتَمِيهِ لُكَّةٌ وَلَا تَمُشِي فِي خِطَابِهِ رَتَّةٌ وَلَا
تُخَيِّفُ بَيَانُهُ عَجْمَةً وَلَا تَعْرِضُ لِسَانُهُ عُقْدَةً * خَطِيبٌ

جَوَاهِرُ نَفْسَانِهِ صَحَاحٌ وَعَرَائِسُ أَفْكَارِهِ صِبَاحٌ * خَطِيبٌ
تَزَيَّنَتْ بِدُرَرِ أَلْفَاظِهِ عُقُودُ أَلَمَحٍ * لَا عَيْبَ فِيهِ إِلَّا أَنْ
لَفْظُهُ عَطَلَ أَلْيَافُوتَ وَالْذَرَّ * خَطِيبٌ مِصْنَعٌ يَنْدُرُ لِسَانُهُ
أَلْلُؤْلُؤُ الْمَكْنُونِ * هُوَ الْخَطِيبُ الْمِصْنَعُ الَّذِي أَشْخَصَ
بِآيَاتِ خُطْبِهِ الزَّاجِرَةَ عِيُونَ الْقَوْمِ وَأَبْكَاهَا * هُوَ الْخَطِيبُ
الْمِصْنَعُ الَّذِي تَنَلَّعَبُ بِأَلْعُقُولِ مَعَانِيهِ وَيُصَاغُ الدَّرُّ مِنْ
لَفْظٍ فِيهِ * هُوَ الْخَطِيبُ الَّذِي تَهْتَزُّ لَهُ الْمَنَابِرُ وَتَتَقَادُّ إِلَيْهِ
كَلِمَاتُ السِّحْرِ مُتَسَابِقَةً أَخِذَا بَعْضُهَا بِرِقَابِ بَعْضٍ

في وصف العلماء

بَدَرُ الْعُلُومِ أَلَلَّاحُ وَقَطَرُهَا أَلْفَادِي وَالرَّايِحُ وَتَبِيرُهَا
الَّذِي لَا يُزَحِّمُ وَمُنِيرُهَا الَّذِي يَنْجَلِي بِهِ لَيْلُهَا أَلَأَسْحَمُ * أَمَّا
فَنُونُ الْأَدَبِ فَهُوَ ابْنُ مَجْدَتِهَا وَأَخُو جَمَلَتِهَا وَأَبُو عِذْرَتِهَا
وَمَا لِكَ أَرْمَتِهَا * تُسْتَخْرَجُ الْجَوَاهِرُ مِنْ بُحُورِهِ وَتُحْلَى لَبَاتُ
الطُّرُوسِ بِقَلَائِدِ سَطُورِهِ * تَأْكُفُهُ غُرُرُ مَنِيرَاتٍ أَضَاءَتْ
فِي وَجْهِهِ دَهْمُ الْمَشْكِلَاتِ * عَالِمٌ أَقْلَامُهُ نَفَثَاتُ السِّحْرِ *
تَأْكُفُهُ عَقَائِلُ أَصْحَ الدَّهْرِ مِنْ خُطَابِيهَا * لَهُ بَدَائِعُ مَائِسَاتٍ
أَلْأَعْطَافِ * بَحْرُ أَلْبَيَانِ الزَّاخِرِ * شَجْعُ أَلْمَعَارِفِ وَإِمَامُهَا

وَمَنْ فِي يَدَيْهِ زِمَامُهَا لَدَيْهِ تُشَدُّ ضَوَالُ الْأَعْرَابِ وَتُوجَدُ
 شَوَارِدُ اللَّغَةِ وَالْأَعْرَابِ * مَا لِكَ أَعْنَى الْعُلُومِ وَنَاهُجُ
 طَرِيقِهَا وَالْعَارِفُ بِتَرْصِيعِهَا وَتَشْبِيهِهَا النَّظِيمُ لِعُقُودِهَا
 الرَّاقِمُ لِبُرُودِهَا الْعُمِيدُ لِزَهَابِهَا الْعَالِمُ بِجِلَافِهَا وَزِفَافِهَا *
 مَلِكٌ رَقِيَ الْكِتَابَةَ وَالْإِنْشَاءَ وَتَصَرَّفَ فِي فُنُونِ الْإِبْدَاعِ
 كَيْفَ شَاءَ * عَالِمٌ يَتَغَيَّرُ الْعِلْمُ مِنْ جَوَانِبِهِ وَتَنْطَوِقُ الْحِكْمَةُ
 مِنْ نَوَاحِيهِ * صَاحِبُ الْمُصَنَّفَاتِ الْيَتِيمِ دَلَّتْ عَلَى وَفَرَةٍ
 أَطْلَاعِهِ وَغَزَارَةِ مَادَتِهِ وَحُسْنِ بَيَانِهِ * لَمْ يَتْرِكْ مَعْنَى مُغْلَقًا
 إِلَّا فَتَحَ صِبَاصِيَهُ وَلَا مُشْكِلًا إِلَّا أَوْضَحَ مَبَانِيَهُ

في وصف البلغاء

فُلَانٌ يَجُوكُ الْكَلَامَ عَلَى حَسَبِ الْأَمَانِي وَيَخِيطُ
 الْأَلْفَاظَ عَلَى قُدُودِ الْمَعَانِي * يَجْنِي مِنَ الْأَلْفَاظِ أَنْوَارَهَا
 وَمِنَ الْمَعَانِي ثِمَارَهَا * يَعْثُ بِالْكَلَامِ وَيَقُودُهُ بِالْبَيِّنِ
 زِمَامٍ حَتَّى كَانَ الْأَلْفَاظُ تَتَحَاسَدُ فِي النَّسَابِقِ إِلَى خَوَاطِرِهِ
 وَالْمَعَانِي تَتَغَايَرُ فِي الْإِنْتِبَالِ عَلَى أَنْامِلِهِ * يَبْلُغُ نَسَقَ مِنْ
 جَوَاهِرِ كَلَامِهِ أَكَابِلَ ذُرٍّ مَا لِهَنْظُومِهَا سِلْكٌ * يَبْلُغُ نَفْكَ
 سِهَامِ أَفْكَارِهِ الزَّرْدَ * نَظِيمُ سِلْكِ الْبَلَاغَةِ وَقَائِدُ زِمَامِ

الْبَرَاةِ * إِذَا أَوْجَزَ أُعْجَزَ وَإِذَا شَاءَ أَطَالَ وَأَطْلَقَ مِنْ
الْبَلَاغَةِ الْعِنَالِ * إِذَا أَذْكَى سِرَاجَ الْفَيْصَرِ أَضَاءَ ظِلَامَ
الْأَمْرِ * يَسْتَنْبِطُ حَقَائِقَ الْقُلُوبِ وَيَسْتَخْرِجُ وَكَائِفَ الْغُيُوبِ
في وصف الشعراء والمنشئين ومحاسن النظم والنثر

مَقْدِفُ حَصَى الْفَرِيضِ وَجَارِهِ وَمَطْلَعُ شُمُوسِهِ وَأَقْمَارِهِ *
نَثَرَهُ سِحْرُ الْيَنَانِ وَنَظَّمَهُ فِطْعُ الْجُمَانِ * طَلَعَتْ شَمْسُ
الْأَدَبِ مِنْ أَفْقِ أَشْعَارِهِ وَتَغَيَّرَتْ بَنَائِعُهَا مِنْ خِلَالِ
آثَارِهِ * شَاعِرٌ تَوَقَّذَتْ جَهْرَاتُ أَفْكَارِهِ * شَاعِرٌ عَرَّائِسُ
أَفْكَارِهِ صَبَاحُ * إِنْ نَثَرَ فَالْخُيُومُ فِي أَفْلَاكِهَا أَوْ نَظَّمَ
فَالْجَوَاهِرُ فِي أَسْلَافِهَا * أَخَذَتْ بِجَمَاعِ الْقُلُوبِ كَلِمَتُهُ *
إِذَا كَتَبَ انْتَسَبَ إِلَيْهِ السِّحْرُ أَصَحَّ انْتِسَابٍ وَنَسَقَ الْمُعْجَزَاتِ
نَسَقَ حِسَابٍ وَارَى الْبَدَائِعَ بَيْضَ الْوُجُوهِ كَرِيمَةِ الْأَحْسَابِ *
إِنْ نَثَرَ رَأَيْتَ بَحْرًا يَزْخَرُ * إِذَا نَظَّمَ أَرَى يَنْظُمُ الْعُقُودَ
وَأَتَى بِأَحْسَنَ مِنْ رَقْمِ الْبُرُودِ * إِذَا كَتَبَ مَلَأَ الْمَهَارِقَ
بَيَانًا وَارَى السِّحْرَ عِمَانًا * هُوَ الْكَاتِبُ الَّذِي تَحْسُدُ أَرْقَامُ
الْطَرَازِ سَطُورَ قَلَمِهِ وَيَبُودُّ التَّبَرُّكُ كَانَ مِدَادَ كَلِمَتِهِ * هُوَ
الْكَاتِبُ الَّذِي تَتَقَادُّ إِلَى يَرَاعِهِ دَفَائِقُ الْمَعَانِي صَاغِرَةً

بِزِمَامٍ * نَثَرَ كَثْرَ التَّوَرِدِ وَنَظَّمَ كَظْمَ الْعَقْدِ * نَثَرَ كَالسَّحَرِ
 أَوْ أَدَقَّ وَنَظَّمَ كَالْمَاءِ أَوْ أَرَقَّ * نَثَرَ كَمَا تَنَفَّحَ الزَّهَرُ
 وَنَظَرَ كَمَا تَنَفَّسَ السَّحَرُ * رِسَالَةٌ تَضَحُّكَ عَنْ غُرِّ وَزَهْرِ
 وَقَصِيدَةٌ تَنْطَوِي عَلَى حَبَرٍ وَدُرِّ * كَلَامٌ كَمَا هَبَّ نَسِيمُ
 السَّحَرِ عَلَى صَفَحَاتِ الزَّهْرِ * كِتَابٌ مَطْلَعُهُ مَطْلَعُ أَهْلِ
 الْأَعْيَادِ وَمَوْعِدُهُ مَوْعِدُ نَيْلِ الْمُرَادِ * كِتَابٌ حَسْبُهُ بَطِيرُ
 مَنِ يَدِي لِخَفَّتِهِ وَيَلْطَفُ عَنْ حَسِي لِقَلَّتِهِ * صَحَائِفُ أَنْطَوَتْ
 الْحَاسِنُ تَحْتَ رَقٍّ مَشُورَهَا وَصَدَحَتْ حَمَائِمُ الْبَلَاغَةِ عَلَى
 أَغْصَانِ سَطُورَهَا * صَحَائِفُ تُتَوَبُّ عَنْ الصَّفَاحِ وَقَرَّاطِيسُ
 تَزُفُّ إِلَى الْأَسْمَاعِ عَرَائِسُ الْفَرَاحِ * صَحَائِفُ الْبَسْمَا
 الْحَبَرُ أَنْوَابًا مِنَ الْحَبَرِ وَدَجَّهَا صَوْبُ الْفِكْرِ لَا صَوْبُ الْمَطَرِ

في وصف الامراء والاشراف

فُلَانٌ مِنْ شَرَفِ الْعَنْصُرِ الْكَرِيمِ وَمَعْدِنِ الشَّرَفِ
 الصَّيِّمِ * أَصْلُ رَاسِخٍ وَقَرَعُ شَاخٍ وَحَجْدٌ بَادِخٌ * قَدْ رَكَّبَ
 اللَّهُ دَوْحَهُ فِي قَرَارَةِ الْعَبْدِ وَغَرَسَ بَعْنَهُ فِي مَنَبِتِ الْفَضْلِ *
 الْعَبْدُ لِسَانُ أَوْصَافِهِ وَالشَّرَفُ نَسَبُ أَسْلَافِهِ * دَوْحَةُ
 رَسَبَ عِرْفُهَا وَبَسَقَ فَرْعُهَا وَطَابَ عُودُهَا وَأَعْدَلَ

عَمُودُهَا وَفِيَّاتُ ظِلَالِهَا وَتَهْدَلْتُ ثِمَارَهَا وَتَفَرَّعَتْ
 أَغْصَانُهَا وَبَرَدَ مَقِيلُهَا * أَمِيرُ جَيْشِهِ الْهَيْمَمُ * دَوْحَةُ مَجْدِهِ
 وَرَيْفَةُ الظِّلِّ وَرَيْفَةُ * أَمِيرُ لَا عَيْبَ فِي نَدَاهُ إِلَّا أَنَّهُ يَسْتَعِيدُ
 كُلَّ حَرْ * هُوَ غُرَّةُ الْجَمَالِ وَصُورَةُ الْكَمَالِ * عَقْدُ الْمَنَاصِبِ
 بِهِ تَضِيدُ * أَمِيرُ عَيْقَتْ مِنْ شِبَائِلِهِ نَسَمَاتُ النَّدَى وَقَطَرَتْ
 مِنْ سَلْسِيلِ أَوْصَافِهِ مِيَاهُ الْعَجْدِ * جَامِعُ مَا تَفَرَّقَ مِنْ شَمْلِ
 الْفَضَائِلِ * نَاطِمُ مَا أَتَتْ مِنْ عَقْدِ الْمَائِرِ * أَنْارَتْ بِهِ نُجُومُ
 الْمَعَالِي وَشُمُوسُهَا * لَهُ شَرَفٌ بِإِذْخِ تَعَقُّدِ بِالْجُودِ ذَوَائِبُهُ *
 أَلْقَتْ إِلَيْهِ الرِّئَاسَةَ مَقَالِيدُهَا وَمَلَكْنَهُ طَرِيفُهَا وَتَلِيدُهَا *
 أَمِيرُ تَفَرَّعَ مِنْ دَوْحَةِ سَنَاءٍ وَتَحَدَّرَ مِنْ سُلَالَةِ أَكَابِرِ وَرِفَافِ
 أَسْرَةٍ وَمَنَابِرِ * مُرْتَضِعُ نَدَى الْعَجْدِ وَمُقَرَّبُ حَجَرِ الْفَضْلِ *
 لَهُ صَدْرٌ تَضِيقُ بِهِ الدَّهْنَاءُ وَتَفَرَّغُ إِلَيْهِ الدَّهْمَاءُ * لَهُ فِي
 كُلِّ مَكْرَمَةٍ غُرَّةُ الْإِصْبَاحِ وَفِي كُلِّ فَضِيلَةٍ قَائِمَةُ الْجَنَاحِ *
 لَهُ صُورَةٌ تَسْنُطِقُ الْأَفْوَاهَ بِالتَّسْنِيعِ وَيَتَفَرَّقُ فِيهَا مَاءُ
 الْكَرَمِ وَتُقْرَأُ فِيهَا صَحِيفَةُ الْبُشْرِ * بِنَايِعُ الْجُودِ تَنْجُورُ مِنْ
 أَنْامِلِهِ وَرَبِيعُ السَّمَاءِ يَضْحَكُ مِنْ فَوَاضِلِهِ * لَهُ أَخْلَاقُ
 خُلُقِنَ مِنَ الْفَضْلِ وَشَيْمٌ تَشَامُ مِنْهَا بَوَارِقُ الْعَجْدِ * أَرْجَ

الزَّمانُ بِفَضْلِهِ وَعَقِيمَ النِّسَاءِ عَنِ الْإِنِّانِ بِمِثْلِهِ * مَا لَهُ
لِلْعَفَاءِ مَبَاحٌ وَفَعَالُهُ فِي ظِلْمَةِ الدَّهْرِ مَصْبَاحٌ * مَنَاقِبُ
تَشْدُخُ فِي جَبِينِهَا غُرَّةُ الصَّبَاحِ وَتَتَهَادَى أَنْبَاءُهَا وَفُودُ
الرِّيحِ * سَأَلْتُ عَنْ أَخْبَارِهِ فَكَأَنِّي حَرَكْتُ الْمِسْكَ فَتَنِيَا
أَوْ صَبَّحْتُ الرُّوضِ أَنْبِيَا * هُوَ رَأَيْتُ نَبْلِهِمْ وَتَبَعْتُ فَضْلِهِمْ
وَوَاسِطَةَ عَقْدِهِمْ * لَهُ هِمَّةٌ عَلَا جَنَاحُهَا إِلَى عَنَانِ النَّجْمِ
وَأَمْتَدَّ صَبَاحُهَا مِنْ شَرْقٍ إِلَى غَرْبٍ * هِمَّتُهُ أَبْعَدُ مِنْ مَنَاطِ
الْفَرَقْدِ وَأَعْلَى مِنْ مَنَكِبِ الْجُوزَاءِ * مَوْضِعُهُ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ
مَوْضِعُ الْوَاسِطَةِ مِنَ الْعَقْدِ وَلَيْلَةُ النِّمِّ مِنَ الشَّهْرِ بَلْ لَيْلَةُ
الْقَدْرِ إِلَى مَطْلَعِ النُّجُومِ * هَطَلَتْ عَلَى سَحَابٍ عَيْنَانِهِ وَرَفَرَتْ
حَوْلِي أَجْنَحَتَا رِعَانِيهِ * قَدْ اسْتَظْهَرْتُ عَلَى جُورِ الْأَيَّامِ
بِعَدْلِهِ وَاسْتَنْزْتُ مِنْ دَهْرِي بِظِلِّهِ * قَدْ غَرَّقَنِي نِعْمُهُ حَتَّى
اسْتَنْفَدْتُ شُكْرَ لِسَانِي وَبَيْدِي * تَتَابَعَتْ نِعْمُهُ تَتَابَعُ الْقَطْرِ
عَلَى الْقَفْرِ وَتَرَادَفَتْ مِنْهُ تَرَادَفَ الْبَسْرِ إِلَى ذِي الْقَفْرِ *
لَهُ أَيَادٍ قَدْ عَمَّتِ الْأَفَاقَ وَطَوَّقَتْ الْأَعْنَاقَ * أَيَادٍ قَدْ
حَبَسَتْ عَلَيْهِ الشُّكْرَ وَاسْتَعْبَدَتْ لَهُ الْحُرَّ * مِنْ نَوَالْتِ تَوَالِي
الْقَطْرِ وَاتَّسَعَتْ سَعَةُ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَأَثَلَتْ كَاهِلَ الْحَرِّ *

عِنْدِي فَلَادَةٌ مُنْتَظِمَةٌ مِنْ مَنِّهِ قَدْ جَعَلَتْهَا وَقْفًا عَلَى تَحْوِيرِ
 الْأَيَّامِ وَجَلَوْنَهَا عَلَى أَبْصَارِ الْأَنَامِ * أَيَادِيهِ أَطْوَأَتْ
 فِي أَجْيَادِ الْأَحْرَارِ * أَيَادٍ يُفَرِّضُ لَهَا الشُّكْرَ وَيَجْتُمُّ وَمِنْ
 يَدَيْهَا الذِّكْرُ وَيَجْتُمُّ * أَيَادٍ تُثْقِلُ الْكَاهِلَ وَمِنْ تَنْعَبِ
 الْأَنَامِلِ * مِنْ هِيَ أَحْسَنُ أَنْرَامِ الْغَيْثِ فِي أَزَاهِيرِ
 الرَّبِيعِ وَأَحْلَى مَوَاقِعِ الْأَمْنِ عِنْدَ الْخَائِفِ الْمَرْوِعِ *
 أَيَادٍ لَا تُخْصَى أَوْ تُحْصَى مُحَاسِنُ النُّجُومِ وَمِنْ لَا تُحْصَرُ أَوْ
 تُحْصَرُ أَفْطَارُ الْغُيُومِ * زَادَتْ أَيَادِيهِ حَتَّى كَادَتْ تَجْهَدُ
 الْأَعْدَادَ وَتَسْبِقُ الْأَعْدَادَ

في وصف البكاء والمجزع وعظم المصائب والتعازي وما يتعلق بها
 خَبَرَ عَزَّ عَلَى النَّفُوسِ مَسْمُوعُهُ وَأَثَرَ فِي الْقُلُوبِ مَوْفِعُهُ *
 خَبَرَ تَسَنُّكَ لَهُ الْمَسَامِعُ وَتَرَجُّجِهِ الْأَضَالِجُ * مُصَابُ
 فَضِّ عُقُودِ الدَّمُوعِ وَشَبِّ النَّارِ بَيْنَ الضُّلُوعِ * مُصَابُ
 أَذَابِ دُمُوعِ الْأَحْرَارِ فَتَحَلَّبَتْ سَحَابُ الدَّمُوعِ الْغِزَارِ
 وَأَسْنَدَتْ مَسَالِكَ السُّكُونِ وَالْإِسْتِقْرَارِ * رُزْمًا نَكَا الْقُلُوبَ
 وَجَرَحَهَا وَأَحْرَّ الْأَعْبَادَ وَقَرَحَهَا فَالِدُمُوعُ وَكَيْفَةُ
 وَالْقُلُوبُ وَاجِفَةٌ وَالْهَمُّ وَارِدٌ وَالْأَنْسُ شَارِدٌ وَالنَّاسُ

مَا تَهُمُّ عَلَيْهِ وَاحِدٌ * غَرَبَ لِمَوْتِهِ نَجْمُ الْفَضْلِ وَكَسَدَتْ
 سَوْقُ الْأَدَبِ وَقَامَتْ نَوَادِيبُ السَّمَاحَةِ * لَطَمَتْ عَلَيْهِ
 الْحَاسِنُ خُدُودَهَا وَشَقَّتْ لَهُ الْمَنَاقِبُ جُيُوبَهَا وَبُرُودَهَا *
 رَزَقَتْهُ الْأَحْشَاءُ مُحَرِّقَةً وَالْأَجْفَانُ بِمَا فِيهَا غَرِيقَةً وَالْدَّمْعُ
 وَكَفَتْ وَالتَّحْزُنُ عَاصِفٌ * مَا أَعْظَمَهُ مَقْشُورًا وَمَا أَكْرَمَهُ
 مَوْجُودًا * إِنِّي لَأَنُوحُ عَلَيْهِ نَوْحَ الْمَنَاقِبِ وَأَرْثِيهِ مَعَ الثُّجُومِ
 الْقَوَائِبِ وَأَبْكِيهِ مَعَ الْمَعَالِي وَالْحَاسِنِ وَأُثْنِي عَلَيْهِ بِشَاءِ
 الْمَسَاعِي وَالْمَنَائِرِ * مَضَى وَالْحَاسِنُ تَبَكُّيهِ وَالْمَنَاقِبُ
 تُعْزِي الْعُيُونَ فِيهِ * كَانَ مَنْزِلُهُ مَأْلَفَ الْأَضْيَافِ وَمَأْنَسَ
 الْأَشْرَافِ وَمُنْجَى الرُّكَبِ وَمَقْصِدَ الْوَفْدِ * إِعْنَاضَ مِنْ
 تَرَاحِمِ الْمَوَاقِبِ تَحَاشَدَ الْمَاءِ وَمِنْ ضَجِجِ النِّدَاءِ وَالصَّهْلِ
 عَجِجِ الْبُكَاءِ وَالْعَوِيلِ * هَذِهِ الْمَكَارِمُ تَبْكِي شَجْوَهَا لِقَدْرِهِ
 وَتَبْلِسُ حِدَادَهَا مِنْ بَعْدِهِ * هَذِهِ الْحَاسِنُ قَدْ قَامَتْ
 نَوَادِيهَا مَعَ نَوَادِيهِ وَأَقْتَرَنْتَ مَصَائِبَهَا بِمَصَائِبِهِ

ذيل

في الادعية في خواتم الكتب

أَطَالَ اللَّهُ لِسِيدي الْبَقَاءَ كَطُولِ يَدِهِ بِالْعَطَاءِ وَمَدَّ
لَهُ فِي الْعُمُرِ كَامْتِدَادِ ظِلِّهِ عَلَى الْخَرِّ وَأَدَامَ لَهُ الْمَوَاهِبَ
كَمَا أَفَاضَ بِهِ الرِّغَائِبَ وَحَرَمَ لَدَيْهِ الْفَضَائِلَ كَمَا عَوَّذَ
بِوَالشَّمَائِلِ * لَا زَالَتِ الْأَلْسُنُ عَلَيْهِ بِالنِّسَاءِ نَاطِقَةً وَالْقُلُوبُ
عَلَى مَوَدَّتِهِ مَطَاطِقَةً وَالشَّهَادَاتُ لَهُ بِالْفَضْلِ مَتَنَاسِقَةً *
أَبْنَاهُ اللَّهُ لِلْجَمِيلِ يُعْلِمُ مَعَالِمَهُ وَيُجَنِّبُ مَكَارِمَهُ وَيَعْمُرُ
مَدَارِجَهُ وَيُسِرُّ نَتَائِجَهُ * أَدَامَ اللَّهُ لَهُ الْمَوَاهِبَ سَامِيَةً
الذَّوَابِ مَوْفِيَةً عَلَى أُمْنِيَةِ الرَّاجِي وَبُغْيَةِ الطَّالِبِ *
وَاللَّهُ يُنَاجِ لَهُ أَيَّامَ الْعِلَاءِ وَالْعِظَةِ وَالنِّمَاءِ وَالْبَسْطَةِ
لِتَرْتَعَ أَنْوَاعُ الْخُدَمِ فِي رِيَاضِ فَوَاضِلِهِ وَتَكْرَعَ أَصْنَافُ
الْحَشَمِ مِنْ حِضَاصِ مَوَاهِبِهِ * وَاللَّهُ تَعَالَى يَقْبَلُ الرَّئِيسَ
الْمَصَائِبَ وَيُعِيدُهُ مِنَ النَّوَائِبِ وَيَرْعَاهُ بِعَيْنِهِ الَّتِي لَا تَنَامُ
وَيَجْعَلُهُ فِي حِمَاةِ الَّذِي لَا يَرَامُ * لَا زَالَتِ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي

مَطَابَاهُ فِي أَمَانِيهِ وَأَمَالِهِ وَصَرَفَ اللَّهُ صُرُوفَ الْغَيْرِ عَنْ
إِصَابَةِ إِقْبَالِهِ وَكَمَالِهِ * أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ الْأَمِيرِ وَأَدَامَ
عِزَّهُ وَتَأْيِيدَهُ وَعُلُوَّهُ وَتَنْهِيدَهُ وَبَسْطَنَهُ وَتَوْطِيدَهُ وَظَاهَرَ
لَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ مَزِيدَهُ * أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ سَيِّدِي مُحَمَّدٍ
بِأَيْدِي الْأَقْدَارِ مَعْصُومًا مِنْ عَوَاذِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مُكْتَنَفًا
مِنْ لَطَائِفِ اللَّهِ الْمُخْفِيَةِ وَعَوَارِفِ صَنَائِعِهِ الْمُخْفِيَةِ بِمَا
يَدْفَعُ عَنْ حَوَازِيهِ نَوَائِبَ الْخُطُوبِ وَيَصْنَعُ لَهُ فِي طَبِ
الْمَكْرُوهِ نِهَآيَةَ الْعَجُوبِ

